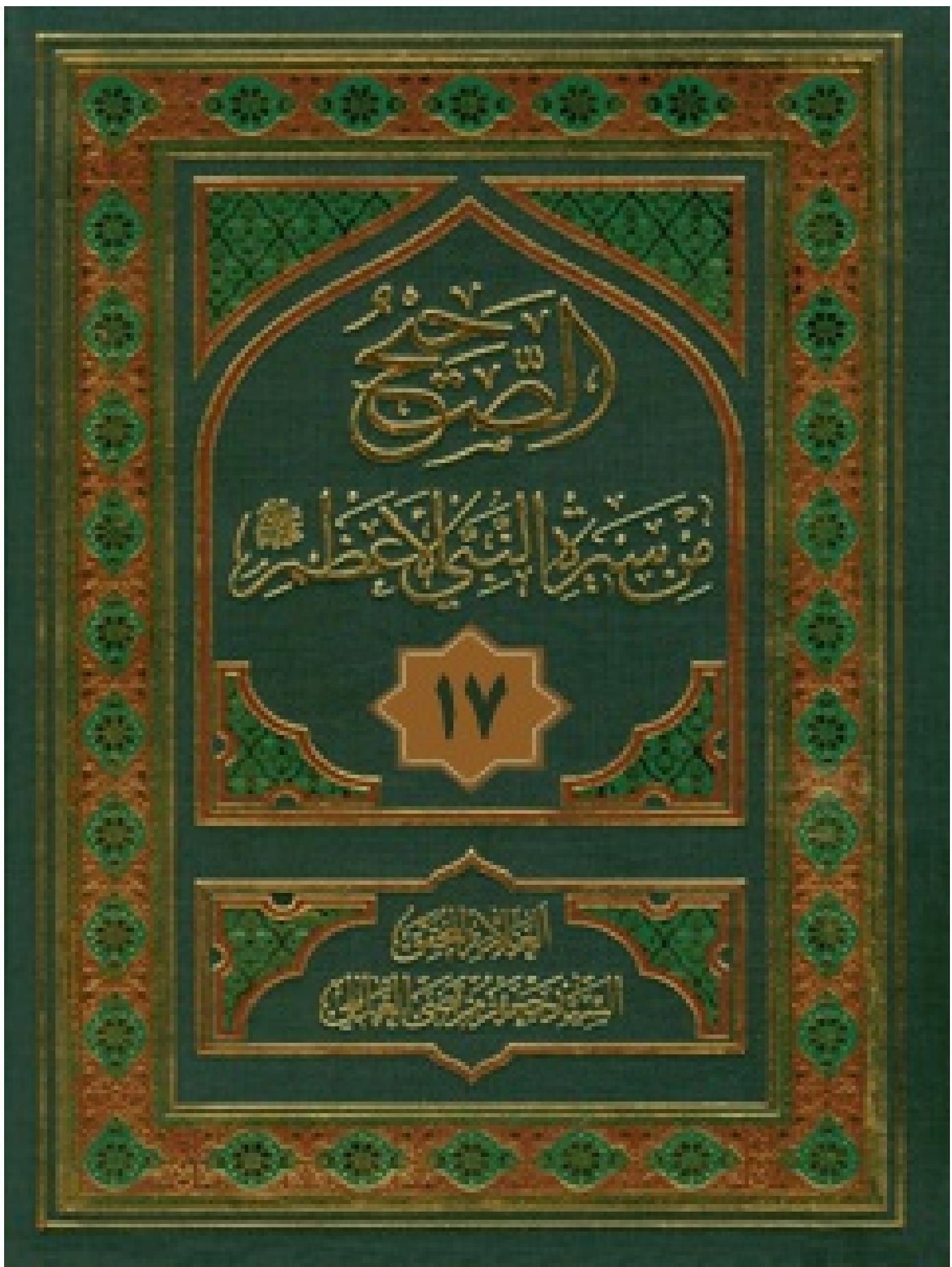




www.
www.
www.
www.
Ghaemiyeh.com
.org
.net
.ir



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

الصحيح من سيره النبى الاعظم(ص)

كاتب:

سيد جعفر مرتضى حسينى عاملی

نشرت فى الطباعة:

سحرگاهان

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحرييات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٥	الصحيح من سيره النبي الاعظم(ص) المجلد ١٧
١٥	اشارة
١٥	[تتمة القسم الثامن]
١٥	[تتمة الباب الرابع]
١٥	الفصل الرابع: كتاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَيْهِ الْمَقْوُضُ
١٥	اشارة
١٥	كتاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَيْهِ الْمَقْوُضُ:
١٦	قصة هذه الرسالة:
١٧	الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عِنْدَ الْمَقْوُضِ:
١٨	الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَعَ الْمَلِكِ فِي السرِّ:
١٨	كتاب المقوض إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:
١٩	هدايا المقوض إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:
٢١	عليك إِثْمَ القبط:
٢٢	الحرص على الملك:
٢٢	شبهات المقوض، لماذا؟!
٢٣	دور الدعاء في دعوة الأنبياء عليهم السلام:
٢٣	هدايا المقوض:
٢٣	القطط لا تطأوعه:
٢٤	وَجَدُوا بِهَا وَاسْتِيقْنَتُهَا أَنفُسُهُمْ:
٢٤	كتاب آخر مشكوك فيه:
٢٥	كلمات عن المقوض:
٢٥	لا تسمع القبط منك حرفاً واحداً:

٢٦	كتابه صلى الله عليه و آله إلى النجاشي الأول من مكة:
٢٧	إسلام النجاشي الأول:
٢٨	كلام الرسول صلى الله عليه و آله عند النجاشي الأول:
٢٨	إنما يفتضح الفاجر:
٢٩	كتاب النجاشي الأول إلى النبي صلى الله عليه و آله:
٣١	رسول النجاشي الأول و هداياته:
٣١	الإقرار للنجاشي الأول بالملك:
٣٢	سلام عليك:
٣٢	أحمد إليك الله:
٣٣	الملك:
٣٣	القدس:
٣٣	السلام، المؤمن:
٣٤	المهيمين:
٣٤	العزيز الجبار المتكبر:
٣٤	شهادة رسول الله صلى الله عليه و آله ليعسى أولاً:
٣٥	مريم البتول، الطيبة، الحصينة:
٣٦	فخلقه من روحه و نفخه:
٣٦	كما خلق آدم عليه السلام بيده و نفخه:
٣٦	الموالاة على طاعة الله عز و جل:
٣٧	أدعوك و جنودك:
٣٧	الفصل الخامس: كتاب النبي صلى الله عليه و آله إلى النجاشي الثاني
٣٧	إشارة
٣٧	كتاب النبي صلى الله عليه و آله إلى النجاشي الثاني:
٣٨	النجاشي ثلاثة، أسلم منهم اثنان:

٤٠	النجاشي يموت و هو مهاجر:
٤١	إخلاص النجاشي:
٤١	كتابه صلى الله عليه و آله إلى النجاشي الثالث:
٤٢	الباب الخامس حصون خيبر
٤٢	إشارة
٤٢	الفصل الأول: من المدينة إلى خيبر
٤٢	إشارة
٤٢	تقديم:
٤٣	بداية:
٤٤	ماذا عن خيبر؟!
٤٤	خيبر مقدسة!!
٤٥	تاريخ غزوة خيبر:
٤٦	فى أي شهر كانت؟!
٤٧	مدة حصار خيبر:
٤٧	مدة إقامته صلى الله عليه و آله فى خيبر:
٤٧	الاستنفار إلى خيبر:
٤٨	المستخلف على المدينة:
٤٩	خدمة أنس للنبي صلى الله عليه و آله:
٥٠	أم سلمة فى خيبر أيضاً:
٥١	إحساس يهود المدينة بالخطر:
٥٢	إجراءات فى الطريق إلى خيبر:
٥٥	الخطأ فى مضمون شعر عمر:
٥٥	ارتجاز عامر لرسول الله صلى الله عليه و آله:
٥٥	الإستغفار أمارة الشهادة:

٥٦	لا تحل الجنة لعاص:
٥٦	الكثرة لا خير فيها:
٥٧	أكذوبة الفتاة الحائض:
٥٩	إختيار الطريق إلى خير:
٦٠	التطير و التفاؤل:
٦٠	لا حول و لا قوة إلا بالله:
٦١	المطلوب هو الخير لا الغنائم:
٦٢	ابن أبي يحذر اليهود:
٦٣	غطفان تخاف، فتتراجع:
٦٦	الفصل الثاني: قبل أن يبدأ القتال
٦٦	اشارة
٦٦	وصول رسول الله صلى الله عليه و آله إلى خير:
٦٨	الجيش هو الخميس:
٦٨	خربت خير:
٦٨	إنحسار الإزار عن فخذ رسول الله صلى الله عليه و آله:
٧١	لا يظن اليهود: أنه صلى الله عليه و آله يغزوهم:
٧١	الأذان علامة الإسلام:
٧٢	إستعراضات و انتفاحات كاذبة:
٧٣	مشورة الحباب:
٧٣	اشارة
٧٤	ألف: الإنتقاص من رسول الله صلى الله عليه و آله:
٧٥	ب: إذا أمسينا تحولنا:
٧٥	اشارة
٧٥	الحباب ذو الرأى من هو؟!

٧٦	ج: حديث الراحلة:
٧٦	د: بناء المسجد في خيبر:
٧٧	صوابية تدبير اليهود:
٧٧	قطع نخيل النطاء:
٧٨	الأمان لمن أراد:
٧٩	من دخل النخل فهو آمن:
٨٠	جعل على عليه السلام على المقدمة:
٨٠	التشكيك في قيادة على عليه السلام:
٨١	على عليه السلام يسمع الناس أقوال النبي صلى الله عليه و آله:
٨١	جبرائيل يحب عليا عليه السلام:
٨١	الفصل الثالث: فتح حصن ناعم
٨١	إشارة
٨١	حصار حصن ناعم:
٨٣	على فرس، أو على حمار؟!
٨٤	الرأيات بدأت في خيبر:
٨٤	الزموا الأرض جلوسا:
٨٥	نداء لا تحل الجنة لعاش:
٨٥	الإنضباط ضرورة لا تقبل الجدل:
٨٦	تمنى لقاء العدو:
٨٦	يسلم الراعي و تعود الغنم:
٨٨	متى شبع النبي صلى الله عليه و آله من خبز الشعير؟!
٨٩	محمود بن مسلمة يقتل في حصن ناعم:
٩١	و في جميع الأحوال نقول:
٩١	أين قتل ابن مسلمة؟!

٩١	الفصل الرابع: فتح سائر حصنون النطأة و الشق
٩١	إشارة
٩١	حصار و فتح حصن الصعب بن معاذ:
٩٥	فرار المسلمين .. و ثبات الحباب:
٩٦	لماذا الإحراج؟:
٩٦	أوسمة أسلم:
٩٦	الموقف الشائن:
٩٧	اللواء للحباب بن المنذر:
٩٧	الصعب أكثرها طعاما:
٩٨	تسخين الماء في آنية اليهود:
٩٨	أعظم حصن خير:
٩٩	الإفخار في الحرب:
٩٩	خذها و أنا الغلام الغفارى ...
٩٩	حديث الشاتين، و قطع الغنم:
١٠٠	الحباب بن المنذر في الواجهة:
١٠٠	ابن مسلمة يقول: تبسم إلى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:
١٠١	الاهتمام بالطعام و الغنيمة:
١٠١	مدة الحصار:
١٠١	حصن قلة الزبير:
١٠٢	غير أننا نلاحظ:
١٠٣	بطولات موهومة:
١٠٤	نصب المنجنيق:
١٠٤	ذراري اليهود لم تكن في حصن الشق:
١٠٥	ابن مسلمة تارء، و الحباب أخرى:

- ١٠٥ موقع عثمان هو الأسباب:
- ١٠٦ عمر يأمر بضرب عنق شخص:
- ١٠٧ لا يعرف المنجنيق إلا هذا اليهودي:
- ١٠٧ لماذا خص النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بخطابه؟!
- ١٠٨ إسهامات عمر في فتح خير:
- ١٠٨ قتل مرحباً في القموص لا في الصعب:
- ١٠٩ حصن الشق:
- ١١١ ماذا عن فتح حصن النزار؟!
- ١١١ صفية في حصن النزار:
- ١١٢ الباب السادس فتح خير
- ١١٢ اشارة
- ١١٢ الفصل الأول: المنهزمون الفاشلون
- ١١٢ اشاره
- ١١٢ بدايه.
- ١١٣ القموص أعظم حصن خير:
- ١١٣ حصار القموص:
- ١١٣ رب اليهود:
- ١١٤ رايات الفاشلين:
- ١٢٠ رايتان أم ثلاث؟!
- ١٢٠ إرسال عمر مرتين:
- ١٢١ أين ابن مسلم، و الحباب، و الزبير؟!
- ١٢١ كتائب اليهود تهاجم الأنصار:
- ١٢١ اشارة
- ١٢٢ ألف: تعمد التعنيف على الحقائق:

- ١٢٣----- ب: لواء الأنصار، أم لواء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ!
- ١٢٣----- ج: حفظ ماء وجه الأنصارى:
- ١٢٣----- د: أين كان المهاجرون؟!
- ١٢٤----- ه: نداء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي اليهود:
- ١٢٤----- و: الصحابة يفرون حتى عن على عليه السلام!!
- ١٢٥----- تعابير ذات مغزى:
- ١٢٦----- أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟!
- ١٢٧----- عرّفهم ما يجب عليهم:
- ١٢٧----- حق الله و حق رسوله:
- ١٢٧----- لأن يهدى الله بك نسمة:
- ١٢٨----- اليهود، و كلمة التوحيد:
- ١٢٨----- التدرج في الاعتقادات، و في الأحكام:
- ١٢٩----- الفصل الثاني:
- ١٢٩----- وقفات لا بد منها
- ١٢٩----- هل قاتل المهزومون في خبیر؟!
- ١٣٠----- والأوصاف هي التالية:
- ١٣٠----- ١- يحب الله و رسوله:
- ١٣١----- ٢- يحبه الله و رسوله:
- ١٣١----- اشارة
- ١٣٢----- التزوير الرخيص .. تصرف و حذف:
- ١٣٢----- أقوال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في المصادر و المراجع:
- ١٣٥----- ابن الصياغ ينقل عن صحيح مسلم:
- ١٣٦----- ٣- كرار غير فرار:
- ١٣٦----- ٤- لا يولي الدبر:

- ١٣٦ لا يرجع حتى يفتح الله عليه:
- ١٣٧ لا يخزيه الله أبداً:
- ١٣٧ حتى أنت يا عمر؟!:
- ١٣٩ مقارنة ذات مغزى:
- ١٤١ كلهم يرجو أن يغطها:
- ١٤٢ حتى قريش:
- ١٤٢ لماذا الإعلان المسبق؟!؟
- ١٤٢ التدخل الإلهي:
- ١٤٣ النبي صلى الله عليه و آله يصنع المعجزة:
- ١٤٣ متى رممت عينا على عليه السلام؟
- ١٤٥ على عليه السلام فاجأهم:
- ١٤٥ لباس على عليه السلام في الحر و البرد:
- ١٤٧ الفصل الثالث:
- ١٤٧ قتل مرحبا .. أحداث و تفاصيل ..
- ١٤٧ علوتم و الذي أنزل التوراء:
- ١٤٨ قتل على عليه السلام مرحبا و الفرسان الثمانية:
- ١٥١ قطع رأس مرحبا لماذا؟!
- ١٥١ صفيحة تتدخل لمصلحة ولدها:
- ١٥٣ الزبیر حواری رسول الله صلى الله عليه و آله:
- ١٥٣ و يكفي أن نذكر شاهدا على ذلك:
- ١٥٤ لماذا تعظيم الزبیر؟!
- ١٥٨ صيغة أخرى لما جرى في خير:
- ١٥٨ إننا نذكر القارئ بالأمور التالية:
- ١٥٩ من سمي علينا عليه السلام بحیدرة؟!

١٦٠	الصحيح في هذه القضية:
١٦١	إشارات و دلالات:
١٦١	إشارة
١٦٢	ألف: سر زعامة مرحبا:
١٦٢	ب: اكفي مرحبا:
١٦٢	ج: الناس يربدون عليا عليه السلام:
١٦٣	د: تمثل أبليس:
١٦٥	شكوك حول مقتل عامر:
١٦٥	إننا نشك في هذه الرواية لما يلى:
١٦٥	شائعات أسيد بن حضير:
١٦٦	ابن مسلمية قاتل مرحبا .. كذبة مفضوحة:
١٦٨	ابن مسلمية يقتل كنانة بأخيه:
١٦٩	حدث العاقل بما لا يليق له:
١٦٩	إشارة
١٧٠	١- على عليه السلام يفى بوعده:
١٧١	٢- الإشتراك فى قتل محمود:
١٧١	٣- ابن مسلمية يفرّ بالرأي أيضا:
١٧٢	٤- الإختصاص فى سلب مرحبا:
١٧٢	الفهارس
١٧٢	إشارة
١٧٢	١- الفهرس الإجمالي
١٧٣	٢- الفهرس التفصيلي
١٧٩	تعريف مركز القائمة باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الصحيح من سيره النبي الاعظم(ص) المجلد ١٧

اشارة

سرشناسه : عاملی، جعفر مرتضی، ١٩٤٤ - م.

عنوان و نام پدیدآور : الصحيح من سیره النبي الاعظم(ص) / جعفر مرتضی العاملی
مشخصات نشر : سحرگاهان، ١٤١٩ق. = ١٣٧٧.

مشخصات ظاهری : ج ١٠

شابک : ١٣٠٠٠٠ ریال(دوره کامل) ؛ ١٣٠٠٠٠ ریال(دوره کامل) ؛ ١٣٠٠٠٠ ریال(دوره کامل) ؛
١٣٠٠٠٠ ریال(دوره کامل) ؛ ١٣٠٠٠٠ ریال(دوره کامل) ؛ ١٣٠٠٠٠ ریال(دوره کامل) ؛ ١٣٠٠٠٠ ریال(دوره کامل) ؛
١٣٠٠٠٠ ریال(دوره کامل) ؛ ١٣٠٠٠٠ ریال(دوره کامل) ؛ ١٣٠٠٠٠ ریال(دوره کامل) ؛ ١٣٠٠٠٠ ریال(دوره کامل) ؛
١٣٠٠٠٠ ریال(دوره کامل) ؛ ١٣٠٠٠٠ ریال(دوره کامل) ؛ ١٣٠٠٠٠ ریال(دوره کامل) ؛ ١٣٠٠٠٠ ریال(دوره کامل) ؛
١٣٠٠٠٠ ریال(دوره کامل) ؛ ١٣٠٠٠٠ ریال(دوره کامل) ؛ ١٣٠٠٠٠ ریال(دوره کامل) ؛ ١٣٠٠٠٠ ریال(دوره کامل)

وضعیت فهرست نویسی : فیبا

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است.

یادداشت : افست از روی چاپ بیروت: دار السیره

یادداشت : جلد دهم: الفهارس

یادداشت : کتابنامه

موضوع : محمد (ص)، پیامبر اسلام، ٥٣ قبل از هجرت - ١١٠ق -- سرگذشتname

موضوع : اسلام -- تاریخ -- از آغاز تا ٤١ق.

رده بندی کنگره : BP٢٢/٩ ع ٣ ص ١٣٧٧

رده بندی دیوبی : ٩٣/٢٩

شماره کتابشناسی ملی : م ٧٧-١٥٩٢٩

[تممه القسم الثامن]

[تممه الباب الرابع]

الفصل الرابع: کتاب النبي صَلَّی اللہُ عَلَیْهِ وَآلِہِ إِلَیْہِ الْمَوْقُوس

اشارة

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٧

کتاب النبي صَلَّی اللہُ عَلَیْهِ وَآلِہِ إِلَیْہِ الْمَوْقُوس:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنْ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى الْمَقْوَسِ، عَظِيمِ الْقَبْطِ:

سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهَدَى.

أَمَّا بَعْدُ ..

فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدُعَايَةِ الإِسْلَامِ، أَسْلَمْ تَسْلِمْ، [وَأَسْلَمْ] يُؤْتُكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرْتَينِ، فَإِنْ تُولِّيَتِ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ إِثْمُ الْقَبْطِ وَقُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ يَتَّبَعُونَ وَبَيْتُكُمْ أَلَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُهُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» ١.

(١) مکاتیب الرسول للعلامة الأحمدی ج ٢ ص ٤١٧ عن المصادر التالية، مع التذکیر بأنه اعتمد على الطبعات المتوفرة لديه: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٨٠ و سيرة زینی دحلان (بها مش الحلبية) ج ٣ ص ٧٠ و إعلام السائلین ص ١٩ و رسالات نبویة ص ٢٧٨ و أعيان الشیعہ ج ٢ ص ١٤٢ و فی (ط آخری) ج ٢ ص ٢٤٤ و جمھرہ رسائل العرب، عن صبح الأعشی ج ٦ ص ٣٧٨ و عن خطط المقریزی ج ١ ص ٢٩ و عن حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٢ و عن الموهاب اللدینی للقسطلانی ج ٣ ص ٣٩٧ و نشأة الدولة الإسلامية ص ٣٠٤ عن فتوح مصر (ط لیدن) ص ٤٦

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضی العاملی، ج ١٧، ص ٨:

و عن مجلة الهلال (عدد أكتوبر سنة ١٩٠٤ م) و صبح الأعشی ج ٦ ص ٣٥٨ - ٣٦٦ و زاد المعاد لابن القیم ج ٣ ص ٦١ و نصب الرایہ للزیلیعی ج ٤ ص ٤٢١.

و راجع: الإصابة ج ٣ ص ٥٣١ و دائرة المعارف لوجدى ج ٩ ص ٣١٧ و شرح المواهب للزرقانی ج ٣ ص ٣٤٧ و فتوح مصر لابن عبد الحكم ص ٤٦ و تاریخ الخميس ج ٢ ص ٣٧ و لغت نامه دهخدا (فارسی) ج ٤٣ ص ٩٥٥ و صبح الأعشی ج ٦ ص ٣٦٤ و المصباح المضیء ج ٢ ص ١٢٩ و الوثائق السیاسیة: ٤٩ / ١٠٥ عن فتوح مصر لابن عبد الحكم ص ٤٦ و عن مفید العلوم للقرزوینی و البیهقی و المنفلوطی و منشآت السلاطین لفریدون بک.

و وأشار إليه: الطبری ج ٣ ص ٦٤٥ و الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢١٠ و الیعقوبی ج ٢ ص ٦٧ و البداية و النهاية ج ٤ ص ٢٧٢ و حیاء الصحابة ج ١ ص ١١٧ و التنیه والإشراف ص ٢٢٧ و البحار ج ٢٠ ص ٢٨٣ و الطبقات ج ٢ ق ١ ص ٨٦ و ج ٢ ق ١ ص ١٦ و ج ١ ق ٣ ص ٨٠ و ابن هشام ج ٤ ص ٢٥٤ و ثقات ابن حبان ج ٢ ص ٥-٧ و فقه السیرة ص ٣٨٧ و الأموال لأبی عید ص ٣٦٧ و حیاء الحیوان للدمیری ج ٢ ص ٣٢٨ و کنز العمال ج ١٠ ص ٣٩٩ و المعجم الكبير للطبرانی ج ٤ ص ١٥ و الإصابة ج ١ ص ٣٠٠ فی ترجمة حاطب، و ج ٣ ص ٥٣٠ فی ترجمة المقوس، و الإستیعاب (هامش الإصابة) ج ١ ص ٣٥٠ و أسد الغابة ج ١ ص ٣٦٣ و الوثائق السیاسیة: ٤٩ / ١٣٥ و عن الوفاء لابن الجوزی ص ٧١٧ و انظر کایتانی ج ٦ ص ٤٩ و اشپرنکر ج ٣ ص ٢٦٥ و مجله ژورنال آزیاتیک (باریس سنة ١٩١٧ م) ص ٤٨٢ - ٤٩٨ و مجله إسلامک ریفیو لاکشاف أصل المکتوب فی کنیسه قرب اخمیم فی صعید مصر إلى آخر ما ذكره من المجلات. و راجع أيضاً: أنساب الأشراف تحقيق محمد حمید الله ص ٤٤٨ و المنتظم ج ٥ ص ٦٩ و ج ٣ ص ٢٧٥ و موسوعة التاريخ الإسلامي ج ٥ ص ٦٦٢ و عن عيون الأثر ج ٢ ص ٣٣١.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضی العاملی، ج ١٧، ص ٩:

قال العلامة الأحمدى رحمه الله:

قالوا: كتب «صلى الله عليه و آله» فى ذلك اليوم (الذى كتب فيه إلى الملوك) إلى المقوقس، عظيم القبط، و كان نصرايانا مع حاطب ابن أبي بلتعة «١».

(١) مکاتیب الرسول ج ١ ص ١٣ و ج ٢ ص ٤٢١ عن: السیرة الحلبیة ج ٣ ص ٢٨١ و زینی دحلان هامش الحلبیة ج ٣ ص ٧٠ و دلائل النبوة للبیهقی ج ٤ ص ٣٩٦ و البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٧٢ و حیاة الصحابة ج ١ ص ١١٧ و ١١٨ و الإصابة ج ٣ ص ٥٣٠ و ٥٣١ و أسد الغابه ١ ص ٣٦٢ و قاموس الرجال ج ٣ ص ٤٢ و حیاة الصحابة ج ١ ص ١١٧ و زاد المعاد ج ٣ ص ٦١ و التراتیب ج ١ ص ١٨٣ و ١٨٦ و کنز العمال ج ١٠ ص ٣٩٩ و المنتظم ج ٥ ص ٩ و راجع: مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٤٢ و البحار ج ٢٠ ص ٣٨٢ و ج ٢٢ ص ٢٥٠ و عن فتح الباری ج ٨ ص ٩٧ و تحفة الأحوذی ج ٧ ص ٤١٥ و الأحاد و المثانی ج ١ ص ٤٤٦ و نصب الراية ج ٤ ص ٤٩٠ و ج ٦ ص ٥٦٣ و الطبقات الكبرى ج ١ ص ١٣٤ و ٢٦٠ و تاریخ خلیفہ بن خیاط ص ٤٧ و ٥٢ و ٥٢ و الثقات ج ٢ ص ٦ و تاریخ مدینۃ دمشق ج ٣ ص ٢٣٥ و ج ٣٤ ص ٢٢٥ و كتاب المحرر ص ٧٦ و تهذیب الكمال ج ١ ص ١٩٧ و تاریخ الیعقوبی ج ٢ ص ٧٨ و تاریخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٢٨٨ و ٢٨٩ و ٣٠٧ و التنبیه و الإشراف ص ٢٢٧ و العبر و دیوان المبتدا و الخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٦ و موسوعة التاریخ الإسلامی ج ٢ ص ٦٥١ و عن السیرة النبویة لابن هشام ج ٤ ص ١٠٢٦ و عن عیون الأثر ج ٢ ص ٣٢١ و ٣٣١ و السیرة النبویة لابن کثیر ج ٣ ص ٣٤٣ و ٤٤٥ و ٥١٤ و سبل الهدی و الرشاد ج ١١ ص ٣٤٨.

الصحيح من السیرة النبویة، مرتضی العاملی، ج ١٧، ص: ١٠

فجاء حاطب بالكتاب حتى دخل مصر فلم يجد المقوقس هناك، فذهب إلى الإسكندرية، فأخبر أنه في مجلس مشرف على البحر، فركب حاطب سفينه، و حاذى مجلسه، وأشار بالكتاب إليه، فلما رأه المقوقس أمر بإحضاره بين يديه، فلما جيء به نظر إلى الكتاب، و فضه، وقرأه.

وقال لحاطب: ما منعه إن كان نبياً أن يدعوه على من خالقه، و أخرجه من بلده إلى غيرها أن يسلط عليهم، فاستعار (فاستعاد) منه الكلام ثم سكت.

فقال له حاطب: ألسنت شهدت أن عيسى بن مريم رسول الله؟ فما له حيث أخذه قومه، فأرادوا أن يقتلوه أن لا- يكون دعا عليهم أن يهلكهم الله تعالى، حتى رفعه الله إليه؟
قال: أحسنت، أنت حکیم من عند حکیم.

الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْمَقْوُسِ:

ثم قال له حاطب: إنه كان قبلك من يزعم أنه رب الأعلى (يعنى فرعون)، فأخذنه الله نکال الآخرة والأولى، فانتقم به، ثم انتقم منه، فاعتبر بغيرك، و لا يعتبر غيرك بك.

إن هذا النبي دعا الناس فكان أشدتهم عليه قريش، و أعداهم له يهود، و أقربهم منه النصارى، و لعمري ما بشارة موسى عيسى عليهما الصلاة و السلام إلا- كبشرأة عيسى بمحمد «صلی الله علیه و آله»، و ما دعاونا إياك إلى القرآن إلا كداعائك أهل التوراة إلى الإنجيل، و كلنبي أدرك قوماً فهم أمته، فالحق عليهم أن يطیعوه، فأنت ممن أدرك هذا النبي، و لسنا ننهاك عن

الصحيح من السیرة النبویة، مرتضی العاملی، ج ١٧، ص: ١١
دين المسيح، بل نامرک به.

قال المقوقس: إنني نظرت في أمر هذا النبي فوجده لا يأمر بمزهوه فيه، ولا ينهى عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضال، ولا

ال Kahn الكذاب، و وجدت معه آلة النبوة، بإخراج الخبر، والإخبار بالنجوى، و سأنظر، ثم أخذ الكتاب و جعله في حق من عاج، و ختم عليه، و دفعه إلى جاريته «١».

الرسول صلى الله عليه و آله مع الملك في السر:

و أرسل المقوقس يوما إلى حاطب فقال: أسألك عن ثلات.

قال: لا تسألني عن شيء إلا صدقتك.

قال: إلى ما يدعوا محمد؟

قلت: إلى أن نعبد الله وحده، و يأمر بالصلوة خمس صلوات في اليوم و الليل، و يأمر بصيام رمضان، و حج البيت، و الوفاء بالعهد، و ينهى عن أكل الميتة و الدم- إلى أن قال-: فوصفته فأوجزت.

قال: قد بقيت أشياء لم تذكرها: في عينيه حمرة قلما تفارقها، و بين كتفيه

(١) مكاتيب الرسول ج ١ ص ١٨٩ وج ٢ ص ٤٢٢ عن زيني دحلان ج ٣ ص ٧٠ و الحلبية ج ٣ ص ٢٨١ و الطبقات ج ٢ ق ١ ص ١٧ و فتوح مصر لابن عبد الحكم ص ٤٦ و زاد المعاد ج ٣ ص ٦١ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٣٧ و الدلائل للبيهقي ج ٤ ص ٣٩٦ و التراتيب الإدارية ج ١ ص ١٨٣ و الروض الأنف ج ٣ ص ٢٤٩ و سبل الهدى و الرشاد ج ١١ ص ٣٤٩ و نصب الراية للزياعي ج ٦ ص ٥٦٤.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٢،
خاتم النبوة، يركب الحمار «١»، و يلبس الشملة، و يجترى بالتمرات و الكسر، و لا يبالى من لاقى من عم أو ابن عم.
ثم قال المقوقس: هذه صفتة، و كنت أعلم أن نبيا قد بقى، و كنت أظن أن مخرجه بالشام، و هناك تخرج الأنبياء من قبله، فأراه قد
خرج في أرض العرب، في أرض جهد و بؤس، و القبط لا تطاوعنى في اتباعه، و أنا أحسن بملكى أن أفارقه.
و سيظهر على البلاد، و ينزل أصحابه من بعد بساحتنا هذه حتى يظهروا على ما هناء، و أنا لا أذكر للقطط من هذا حرفا واحدا، و لا
أحب أن تعلم بمحادثى إياك «٢».

كتاب المقوقس إلى رسول الله صلى الله عليه و آله:

ثم دعا كاتبه الذي يكتب له بالعربية، فكتب إلى النبي «صلى الله عليه و آله» «٣»:

(١) لعلها تصحيف كلمة (الجمل) فإن راكب الحمار هو عيسى، و راكب الجمل هو نبينا «صلى الله عليه و آله». و النجاشى- كما
سيأتي- قال: و إن بشارة موسى براكب الحمار، كإشارة عيسى براكب الجمل.

(٢) مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٤٢٣ عن: الإصابة ج ٣ ص ٥٣٠ في ترجمة المقوقس و زيني دحلان ج ٣ ص ٧٣ و الحلبية ج ٣ ص
٢٨٣ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٣٧.

و راجع: موسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٦٦٤.

(٣) مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٤٢٣ و قال: نقل كتاب المقوقس فينشأة الدولة الإسلامية: ٣٠٥ كما يلى: «باسمك اللهم» «من
المقوقس إلى محمد: أما بعد فقد

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص ١٣:

«بسم الله الرحمن الرحيم
لمحمد بن عبد الله، من المقوقس، عظيم القبط:
سلام عليك.
أما بعد ..

فقد رأيت كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه، وما تدعوه إليه، وقد علمت أن نبيا قد بقى.

وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت إليك بجاريتي لهما مكان في القبط عظيم، وبثياب، وأهديت إليك بغلة لركبها، والسلام عليك»^(١).

بلغني كتابك ورأيته وفهمت ما فيه أنت تقول: إن الله تعالى أرسلك رسولاً وفضلك تفضيلاً، وأنزل عليك قرآنًا مبيناً، فكشفنا يا محمد في علمنا عن خبرك، فوجدناك أقرب داع دعا إلى الله، وأصدق من تكلم بالصدق، ولو لا أنى ملكت عظيمًا لكنت أول من سار إليك لعلمي أنك خاتم الأنبياء، وسيد المرسلين، وإمام المتقيين» و هكذا نقله محمد حميد الله بالرقم ٥١ من فتوح مصر للواحدى:

١٠ و صبح الأعشى ج ٦ ص ٤٦٧.

(١) قال في مکاتیب الرسول ج ٢ ص ٤٢٣ و ٤٢٤ عن: الخلیفة ج ٣ ص ٢٨١ و سیرة دحلان بهامش الخلیفة ج ٣ ص ٧١ والإصابة ج ٣ ص ٥٣١ و صبح الأعشى ج ٦ ص ١٣٦ و ٤٦٧ و حیاة الحیوان ج ٢ ص ٣٢٨ و المنتظم ج ٣ ص ٢٧٤ و ٢٧٥ و فتوح مصر لابن عبد الحكم ص ٤٧ و زاد المعاد ج ٣ ص ٦١ و تأریخ الخميس ج ٢ ص ٣٧ و نشأة الدولة الإسلامية ص ٣٠٥ عن الوحدى والقلقشندي.
و راجع: رسالات نبوية ص ٢٨٠ و البحار ج ٢٠ ص ٣٨٣ و الوثائق السياسية: ١٣٦ / ٥٠ و المواهب اللدنية ج ٢ ص ٢٩٢ و مفید العلوم و مبید الهموم للقریونی

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص ١٤:

هدايا المقوقس إلى النبي صلى الله عليه و آله:

أرسل الملك إلى النبي «صلى الله عليه و آله» هدايا كثيرة، ذكرها المحدثون والمؤرخون، ونحن نذكرها إجمالاً:

- أهدى المقوقس إلى «صلى الله عليه و آله» جarie اسمها مارية، أم إبراهيم «عليه السلام»، ابن رسول الله «صلى الله عليه و آله»^(١).

ص ٨ و منشآت السلاطين ج ١ ص ٣٣ و نصب الراية ج ١١ ص ٢ و الوفاء لابن الجوزي ص ٧١٧ و قابل الأموال لأبي عبيد ص ٦٣٢ و الطبقات ج ٢ ق ١ ص ١٦ و ١٧ و شرح الزرقاني للمواهب ج ٢ ص ٣٤٩ و الأموال لابن زنجويه، و انظر كaitani ج ٦ ص ٤٩ و اشپرنکر ج ٣ ص ٢٦٥ و ٢٦٧.

و راجع: موسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٦٦٤ و ٦٦٥ و عن عيون الأثر لابن سيد الناس ج ٢ ص ٣٣٢ و سبل الهدى و الرشاد ج ١١ ص ٣٤٩.

(١) مکاتیب الرسول ج ٢ ص ٤٢٤ عن: الخلیفة ج ٣ ص ٢٨١ و زینی دحلان ج ٣ ص ٧١ والإصابة ج ٣ ص ٥٣١ وج ٤ ص ٣٣٥ و ٤٠٤ والإستیعاب (هامش الإصابة) ج ١ ص ٤٦ و ٤١١ و ٣٢٩ و الطبقات ج ٢ ق ١ ص ١٧ و الطبری ج ٢ ص ٦٤٩ و الكامل ج ٢ ص ٢١٠ و البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٧٢ و تاج العروس ج ٣ ص ٤ وج ٤ ص ١٨٢ وج ١٠ ص ٣٤١ في المقوقس، و حیاة

الصحابة ج ١ ص ١١٧ وزاد المعاد ج ٣ ص ٦١ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٣٧ و دلائل لبيهقي ج ٤ ص ٣٩٥ والمستدرك للحاكم ج ٤ ص ٣٨ و الأموال لأبي عبيد ص ٣٦٧ و البحار ج ٢٠ ص ٣٨٣ و ج ٢٢ ص ٢٦٣ و عن ج ٧٦ ص ١٠٥ و كنز العمال ج ١٠ ص ٣٩٩.

و راجع: السنن الكبرى لبيهقي ج ٩ ص ٢١٥ و نصب الرأي ج ٤ ص ٤٩٠ و أسد الغابة ج ٥ ص ٥٤٣ و إعلام الورى ج ١ ص ١٨٧ و السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥١٥.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٥:

٢- جارية أخرى اسمها: سيرين اخت مارية «١».

٣- جارية أخرى اسمها: قيسر، أو قيس، وهى اخت مارية أيضاً «٢».

٤- جارية أخرى سوداء، اسمها: بريرة «٣».

وفى الطبرى وال الكامل والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٧٢ و البحار ج ٢٠ ص ٣٨٣ أنه أهدى أربع جوار من دون أن يسميهن.

(١) مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٤٢٤ عن: الحلبية ج ٣ ص ٢٨١ و دحلان ج ٣ ص ٧١ والإصابة ج ٤ ص ٥٣١ وج ٤ ص ٣٣٥ و ٣٣٩ و ٤٠٤ والإستيعاب (هامش الإصابة) ج ١ ص ٤٦ وج ٤ ص ٤١٢ و البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٧٢ و تاج العروس ج ٣ ص ٤ و ج ٤ ص ٢٢٠ فى المقوقس، و حياة الصحابة ج ١ ص ١١٧ وزاد المعاد ج ٣ ص ٦١ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٣٧ و ١٨٢ و دلائل لأبى نعيم ج ٤ ص ٣٦٥ والمستدرك للحاكم ج ٤ ص ٣٨ و البحار ج ٢٠ ص ٣٨٣ و كنز العمال ج ١٠ ص ٣٩٩ و مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٣٩ و السنن الكبرى لبيهقي ج ٣ ص ٣٣٦ و عن المعجم الكبير ج ٢٤ ص ٣٠٦ وعن الطبقات الكبرى ج ١ ص ١٣٤ و ١٣٥ وج ٥ ص ٢٦٦ وج ٨ ص ٢١٢ و تاريخ مدينة دمشق ج ٣ ص ٢٣٦ وج ٤ ص ٣٠٧ وج ٣٤ ص ٢٩٢ و أسد الغابة ج ٢ ص ٦ وج ٣ ص ٢٨٥ وج ٤ ص ٥ ص ٤٨٥ و ٥٤٣ و سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٥٤٩ و المنتخب فى ذيل المذيل ص ١٠٨ و السيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٦٤٨ و سبل الهدى و الرشاد ج ١١ ص ٤١٣.

(٢) مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٤٢٥ عن: الحلبية ج ٣ ص ٢٨٢ و دحلان ج ٣ ص ٧١ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ١٨٢ و كنز العمال ج ١٠ ص ٣٩٩.

(٣) مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٤٢٥ عن: الحلبية ص ٣ ص ٢٨٢ و دحلان ج ٣ ص ٧١ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ١٨٢.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٦:

٥- غلاما خصيا أسود، اسمه: مأبور (و فى الطبقات شيرين) «١».

٦- بغلة شهباء، وهى دلدل «٢».

٧- حمارا أشهب يقال له: يغفور «٣».

(١) مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٤٢٥ عن: الحلبية ج ٣ ص ٢٨٢ و دحلان ج ٣ ص ٦١ والإصابة ج ٤ ص ١٣ والإستيعاب ج ٤ ص ٣٢٩ و ٤١٢ و البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٧٢ و (ط دار إحياء التراث) ج ٤ ص ٣١١ وج ٧ ص ٨٦ وج ٥ ص ٣٥٠ و ٣٢٤ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٣٨ و ١٨٢ والمستدرك ج ٤ ص ٣٨.

و راجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥١٥ وج ٤ ص ٦٤٨ و ٦٠٠ و موسوعة التاريخ الإسلامى ج ٢ ص ٦٦٦ عن المناقب ج ٢ ص ٢٢٥.

(٢) مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٤٢٥ عن: الحلبية ج ٣ ص ٢٨١ و ٢٨٢ و دحلان ج ٣ ص ٧١ والإصابة ج ٣ ص ٥٣١ وج ٤ ص ٣٣٥ و

٤٠٤ و الطبقات ج ٢ ق ١ ص ١٧ و البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٧٢ و تاج العروس في المقوس، و حياة الصحابة ج ١ ص ١١٧ و زاد المعاد ج ٣ ص ٦١ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٣٧ و ١٨٢ و الدلائل لليهقي ج ٤ ص ٣٩٥ و الأموال ص ٣٦٧ و البحار ج ٢٠ ص ٢٨٣ و المعجم الكبير للطبراني ج ٤ ص ١٥ و مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٤٦ و البحار ج ١٦ ص ١٠٨ و ١٢٦ و عن فتح الباري ج ٣ ص ٢٧٣ و فيض القديرين ج ٥ ص ٢٢٤ و عن عيون الأثر ج ٢ ص ٣٣٢ و ٤١٠ و سبل الهدى و الرشاد ج ٧ ص ٤٠٣.

(٣) مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٤٢٥ عن: الحلبية ج ٣ ص ٢٨١ و دحلان ج ٣ ص ٧١ و الإصابة ج ٣ ص ٥٣١ وج ٤ ص ٣٣٥ و ٤٠٤ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٣٨ و البحار ج ٢٠ ص ٣٨٣.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٧:

و قيل: اسمه عفیر «١».

قال الدياري، و قيل: و ألف دينار و عشرين ثوبا «٢».

وقال الدميري: و ألف مثقال ذهبا «٣».

-٨- فرسا و هو اللزاز «٤».

-٩- و أهدى إليه عسلا من عسل نبها (بكسر الباء الموحدة قريء من قرى مصر) «٥».

-١٠- و أهدى إليه مكحلة، و مربعة يوضع فيها المكحلة، و قارورة دهن، و المقص (و هو المقراض) و المسواك، و المشط، و مرآة. و قيل: أهدى أيضا عمائم و قباطي، و طيبا، و عودا، و مسكا، مع ألف

(١) البحار ج ٦١ ص ١٩٥ عن اليهقي. قالوا: أما يغور فأهداه للنبي «صلى الله عليه و آله» فوره بن عمر الجذامي في منصرف النبي «صلى الله عليه و آله» من حجة الوداع. راجع: البحار ج ٦١ ص ١٩٥ و الطبقات الكبرى ج ١ ص ٤٩١ و تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٤٢٢ و سبل الهدى و الرشاد ج ١١ ص ٤٢١ و سياقتي: زعمهم: أنه «صلى الله عليه و آله» أصاب هذا الحمار في خير.

(٢) تاريخ الخميس ج ٢ ص ١٨٢.

(٣) حياة الحيوان ج ٢ ص ٣٢٨.

(٤) مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٤٢٥ عن: الحلبية ج ٣ ص ٢٨٢ و دحلان ج ٣ ص ٧١ و سبل الهدى و الرشاد ج ١١ ص ٣٤٩.

(٥) مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٤٢٦ عن: الحلبية ج ٣ ص ٢٨٢ و دحلان ج ٣ ص ٧٢ و الإصابة ج ٣ ص ٥٣١ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٨ و حياة الحيوان ج ٢ ص ٣٢٨.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٨:

مثقال من ذهب، مع قدح من قوارير «١».

و زاد في البداية والنهاية: خفين ساذجين أسودين.

-١١- وقال بعض: إنه أرسل مع الهدايا طيبا يداوى مرضى المسلمين، فقال له النبي «صلى الله عليه و آله»: «ارجع إلى أهلك، فإننا قوم لا نأكل حتى نجوع، و إذا أكلنا لا نشبّع» «٢».

إلى هنا انتهى ما نقلناه عن كتاب العلامة الأحمدي رحمه الله «٣».

عليك إنتم القبط:

و لا يختلف كتاب النبي «صلى الله عليه و آله» إلى المقوس عن كتابه لكسري، و قيسري، إلا من حيث إنه حمله إنتم القبط الذين كان

المقوقس يحكمهم، إن لم يؤمن، ولم يفسح لهم المجال للتعرف على الإسلام، ولا أعندهم، ولا يسر لهم أمر الإيمان به .. بل يكون عزوفه عن الإيمان بالإسلام من أسباب انصرافهم عن هذا الأمر، و زهدهم فيه، هذا إن لم يمنعهم من ذلك بالقسر، والقهر، أو بإلقاء الشبهات، وإشاعة الأباطيل ضد الإسلام وأهله ..

(١) مكاسب الرسول ج ٢ ص ٤٢٦ عن: الحلبية ج ٣ ص ٣٨١ و ٣٨٢ و دحلان ج ٣ ص ٧١ و ٧٢ والإصابة ج ١ ص ٥٣١ وج ٤ ص ٣٣٥ و ٤٠٤ و تاج العروس في المقوقس، و حياة الصحابة ج ١ ص ١١٧ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٣٨ و الدلائل للبيهقي ج ٤ ص ٣٦٥ و حياة الحيوان ج ٢ ص ٣٢٨.

(٢) مكاسب الرسول ج ٢ ص ٤٢٦ عن: الحلبية ج ٣ ص ٣٨٣ و دحلان ج ٣ ص ٧٢.

(٣) مكاسب الرسول ج ٢ ص ٤٢١ - ٤٢٦.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٩

الحرص على الملك:

وليس في قولنا هنا أيه غضاضة: إن المقوقس أيضاً كان مثل هرقل، لا يرغب بانتشار الإيمان بنبوة رسول الله «صلى الله عليه و آله» بين الأقوام الذين يحكمهم، حرصاً منه على ملكه- بزعمه- و على نفوذ كلمته في تلك الأقوام، و عدم الرغبة في إفساح المجال لمشاركة أحد له في ذلك .. و ما ذلك إلا لأنه يعلم أن الطاعة للدين و لأهله أقوى و أعمق من الطاعة لأهل الدنيا .. فإن الطاعة لأهل الدين تأتى طوعية، و باندفاع ذاتي، و بتحريك وجداً، و رضا قلبي، و أنس و سرور و اغبطة روحى ..

أما طاعة الناس لملوكهم، فإنما تكون طمعاً في الدنيا، و رهبة من سطوتهم بهم. و شتان ما بين هذه الطاعة و تلك.

ولهذا حرص المقوقس على إبعاد رسول الله «صلى الله عليه و آله» و دعوته عن قومه برفق، و أناه، و لم يجاذف بإعلان الخصومة و العناد، لكن لا يكون هذا الاحتياط من موجبات إثارة فضول الناس لمعرفة أقوال هذا النبي الكريم، و تتبع سيرته و أفعاله، و استلهام موافقه .. و ذلك لأنه يعلم بأن ذلك سينتهي إلى قبولهم- و لو بصورة تدريجية- لهذا الدين، شاء أم أبي، و لسوف تهتر الأرض تحت قدمي كل معاند و جاحد، مهما طغى و بغي، و تكون النتيجة- من ثم- هي نفس النتيجة التي واجهها أهل مكة مع هذا النبي الكريم «صلى الله عليه و آله» ..

شبهات المقوقس، لماذا؟!:

و قد ذكرت النصوص المتقدمة: أن أول سؤال طرحته المقوقس على الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٠

حاطب ابن أبي بلتعة قد تضمن شبهة ربما لا- يلتفت أكثر الناس العاديين إلى حلها، و هي ليس فقط تكتفي لإثارة الشك في نبوة صاحب هذه الدعوة التي تعرض عليهم لأول مرة، و إنما هي تكتفى لترجح جانب النفي، و صرف النظر عن أي تفكير فيها ..

و قد جاءت إجابة حاطب ابن أبي بلتعة على هذه الشبهة قوية و قاطعة، و معبرة عن مستوى الثقافة، الذي فاجأ المقوقس، الذي كان يعلم: أن حاطباً مجرد حامل كتاب، و ليس معروفاً بالفضل و العلم بين أصحاب محمد رسول الله «صلى الله عليه و آله»، و إنما هو من الناس العاديين في ذلك المجتمع الناشئ، الذي أسسه «صلى الله عليه و آله» ..

و هذه الإجابات من شأنها أن تعطى الانطباع الذي لم يكن المقوقس يرغب في أن يراه في قومه تجاه هذا الشخص و من أرسله في

هذا الوقت الحساس بالذات ..

و نحن لا- نشك في أنه قد ندم على هذه الإثارة التي أراد لها أن تكون اختباراً لحاطب، و تحصيناً لرعايته عن التفكير في الدعوة المعروضة عليهم، و التي يحمل لهم حاطب كتاب صاحبها ..

دور الدعاء في دعوة الأنبياء عليهم السلام:

و الذي نريد لفت النظر إليه هنا هو: أن المقوقس حين سجل اعتراضه الأنف الذكر لم يكن يجهل بل كان يتجاهل: حقيقة دور الدعاء في حياة الأنبياء. أي أنه كان يعلم أن الدعاء لا توكل إليه مهما كرهه في حياتهم «عليهم السلام».

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٢١

بل دور الدعاء هو: توثيق الصلة بالله سبحانه، و إنشاء العلاقة الوجدانية و الروحية به تعالى ..

و قد يستجيب الله تعالى دعاء الداعين، و لكن بشروط أهمها أن لا ترك هذه الاستجابة أي أثر سلبي على الداعي نفسه من جهة .. و أن لا تكون سبباً في الإخلال بحقوق الآخرين من جهة أخرى ..

و منها حق الاختيار لهم، و حق الممارسة و التصرف فيما يختارونه؛ لأن الاستجابة للدعاء إذا كانت تؤثر على اختيار الناس، و تسلبهم القدرة عليه، فإنها تدخل في دائرة العداوة عليهم، و الظلم لهم. و نقض السنة الإلهية القائمة، و التي تقضي بحفظ ذلك لهم، ليصبح اعتبارها مناطاً للعقوبة و المثلوبة، و للسعادة و الشقاء.

فإذا كانت المخالفة تستتبع الدعاء من النبي «صلى الله عليه و آله» بأن يسلطه الله عز و جل على من يخالفه، بحيث يفقد ذلك المخالف قدرته بهذا القهر، و يتلاشى اختياره بهذا التسلیط، فذلك يعني أن يصبح إيمان هذا الشخص مولوداً قسرياً، نشاً و ترعرع تحت و طأة الخوف، و استثناء الرعب، و هذا هو الإكراه في الدين، الذي نفاه القرآن، حيث ينتفي معه دور العقل و الفكر، و التأمل و التدبر المأمور به، و الذي يطلب أن يرتكز الإيمان إليه، و يعتمد عليه ..

و إنما يطلب الأنبياء «عليهم السلام» من ربهم إهلاك قوم بأعيانهم؛ حين يبادر أولئك الأقوام باختيارهم إلى فعل ما استحقوا به نزول العذاب عليهم، و معاجلتهم بالعقوبة التي هي نتيجة أعمالهم.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٢٢

هدايا المقوقس:

و غنى عن القول: إن لا فائدة من كل تلك الهدايا التي أرسلها المقوقس إلى النبي «صلى الله عليه و آله»، فإنها هدايا تفيده كشخص في حياته الخاصة، و لا تفيد دعوته في شيء، بل هو أراد أن يماطل بها رسول الله «صلى الله عليه و آله»، و أن يدفعه عن التعرض بدعوته لأهل مملكته، مع علمه المسبق أيضاً: أن دعوته «صلى الله عليه و آله» ستصل إليهم، و سيدخلون في دين الله أفواجاً، تماماً كما علم بذلك قيسراً، و صرح به ..

و لكنه آثر أن يستمتع بزهرة الحياة الدنيا، و لو إلى حين، و رضى بأن يكون سبباً في إبقاء قومه في ضلالتهم، و أن يبوء - من ثم - بإثتمهم ..

القبط لا تطاوعله:

و قد صرحت المقوقس - كما فعل قيسراً - بأن القبط لا تطاوعله في اتباع رسول الله «صلى الله عليه و آله» .. و أنه يضمن بملكته أن

يفارقه ..

و هو كاذب في قوله هذا جزما، فإنه - كما أشار إليه كتاب رسول الله «صلى الله عليه و آله» - هو الذي يبوء بإثام القبط؛ لأنه يمنعهم من التعرف على دعوته «صلى الله عليه و آله»، بما يلقيه إليهم من شبهات، و يمارسه ضدهم من قهر و اضطهاد، و إرهاب، و استضعف لهم.

كما أنه يمنع رسول رسول الله «صلى الله عليه و آله»، من القيام بواجب الدعوة إلى الله سبحانه فيهم .. و حين أدعى المقوس أن القبط لا يطعونه. هل جرب ذلك معهم بالأساليب الحكيم؟! و بالتديير السليم و الذكي؟! أم أن هذا هو قرار

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٣:
الأهواء، و المصالح، و الرغبات الشخصية، الذى يريد التسويق له بهذه الطريقة الظالمه و اللا إنسانية؟!
و هل أفسح المجال لدعوة الإسلام، لكي يمارسوا دورهم في هذا السبيل؟!

وجحدوا بها و استيقنوا أنفسهم:

و بينما نرى المقوس يرسل بالهدايا إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله»، و يعترف بالنبوة له، حيث يقول:
«وجدت معه آل النبوة، بإخراج الخبر و الإخبار بالنحو» و نحو ذلك.
فإنه يقول: إنه يضن بملكه أن يفارقه ..

فإنه إذا كان محمد «صلى الله عليه و آله» نبيا، فعليه أن ينقاد له، و يستجيب لدعوته، و ليس له أن يمتنع عليه، و يعصيه، و يؤثر الاحتفاظ بملكه على طاعته، و الانقياد له ..

بل إن هذه المداراة الظاهرة من ملك مصر للنبي «صلى الله عليه و آله»، و إرساله الهدايا له. و البدء بـ «بسم الله الرحمن الرحيم»، ثم باسم رسول الله في رسائله له «صلى الله عليه و آله»، حيث قال:

«بسم الله الرحمن الرحيم: لمحمد بن عبد الله، من المقوس، عظيم القبط: سلام عليك ..
و كذلك الحال بالنسبة لقيس، حين كتب إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله»:

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٤:
.. إلى أحمد رسول الله، الذى بشر به عيسى، من قيس ملك الروم:

و فيه يقول: «و إنيأشهد أنك رسول الله، تجده عندنا في الإنجيل، بشروا بك عيسى بن مريم». الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى ج ١٧ ٢٤ وجحدوا بها و استيقنوا أنفسهم: ص : ٢٣

ذا الإيمان، و التخلص من تبعاته، فيلقيان بالمسؤولية على عاتق شعوبهما: الروم و القبط، و أن هذه الشعوب هي التي تأبى الإيمان، و بذلك يكون هذان الرجالان - بزعمهما - غير مسؤولين تجاهه «صلى الله عليه و آله»، و غير ملزمين بالطاعة ..

مع أن هذا كلام فارغ، فإنه لو صح أن قومهما قد رفضوا الإيمان - وقد تقدم أن هذا غير صحيح أيضا - فإن ذلك لا يعفي قيس و لا المقوس، و لا - غيرهما من الدخول في هذا الدين، و من طاعة رسول الله «صلى الله عليه و آله»، و التعامل مع قومهما بالحكمة و الموعظة الحسنة، و السعي لتسهيل تقبيلهما لدعوة الحق، و الدخول في دين الله تعالى، و الإيمان برسول الله «صلى الله عليه و آله» ..

ولكن ماذا نصنع بمن غرتهم الحياة الدنيا، و صدق عليهم إبليس ظنه، فجحدوا بها و استيقنوا أنفسهم؟!

كتاب آخر مشكوك فيه:

وقد نقلوا عن الواقدي: أنَّ الَّذِي كَتَبَ كِتَابَ رَسُولِ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» إِلَى الْمَقْوُسَ هُوَ أَبُو بَكْرٍ، وَأَنَّهُ كَتَبَ فِيهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصحيح من السيرة النبوية الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٥
الرحيم «١».

ولكن النص الذي ذكروه لهذا الكتاب مختلف عن النص الذي نقلناه.

كما أنَّ هذا النص المدعى يتضمن التهديد للمقوس بالحرب، مع أنَّ الحديث عن الحرب في أول رسالة دعوة يرسلها «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ليس له ما يبرره، وليس هو الأسلوب الحكيم المتوقع من قبل رسول الله، ولم يكن من عادته «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» أن يفعل ذلك ..

على أنَّ كتاب فتوح الشام، راوى هذه الرسالة و الذي ينسب إلى الواقدي إنما كتبه مؤلفه بهدف إرغام الروافض كما صرَّح به مؤلفه «٢».

وقد أخذ العلماء على هذا الكتاب: أنه قد اعتمد أسلوب القصاصين، وأنَّ أمارات الاصطناع ظاهرة على أسلوبه و مضامينه «٣». فهو كتاب غير موثوق، ولا يمكن الاعتماد عليه.

كلمات عن المقوس:

والمقوس بصيغة اسم الفاعل: هو لقب لكل من ملك مصر والإسكندرية.
وكان نصرانياً تابعاً لملك الروم، ومنصوباً من قبله.
وقيل: إنه تضمن مصر من قيسرت بتسعة عشر ألف ألف دينار «٤».

(١) رسالات نبوية ص ٢٨٠ عن المصباح المضيء ج ٢ ص ١٤٧ عن الواقدي، وجمهرة رسائل العرب ج ١ ص ٣٨. وراجع: فتوح الشام ج ٢ ص ٢٣.

(٢) راجع: فتوح الشام ج ١ ص ١١٦ و ١٥٤.

(٣) راجع: مکاتيب الرسول ج ٢ ص ٤١٩.

(٤) راجع: معجم البلدان ج ٥ ص ١٤١ و مکاتيب الرسول ج ٢ ص ٤٢٠.
الصحيح من السيرة النبوية الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٦:
والقبط- بكسر القاف- هم: أهل مصر، أو أهل مصر والإسكندرية «١».

لا تسمع القبط منك حرف واحداً:

وقد أكرم المقوس حاطب ابن أبي بلتعة، وبقي عنده حاطب خمسة أيام «٢»، ودفع له المقوس مائة دينار، وخمسة أثواب «٣».
وقال له: «القبط لا يطأوننى في اتباعه، ولا أحب أن تعلم بمجاوري إياك، وأنا أحسن بملكى أن أفارقك، وسيظهر على البلاد، وينزل بساحتنا هذه أصحابك من بعده».

فارجع إلى صاحبك، وارحل من عندى، ولا تسمع منك القبط حرف واحداً.

وبعث معه جيشاً إلى أن دخل إلى جزيرة العرب، فوجد قافلة ت يريد المدينة، فالتحق بها، ورد ذلك الجيش «٤».

(١) مكاسب الرسول ج ٢ ص ٤٢٠ عن السيرة الحلبية، وعن السيرة النبوية لدحlan، ومن لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٥٠١ و البحار ج ٧ ص ١٧٦ و عون المعبد ج ١١٧ و كنز العمال ج ١٢ ص ٤٧٥.

(٢) الطبقات الكبرى (ط ليدن) ج ١ ق ٢ ص ١٧ و (ط دار صادر) ج ١ ص ٢٦١ و دلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ٣٩٥ و مكاسب الرسول ج ٢ ص ٤٢٦ و موسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٦٦٤.

(٣) مكاسب الرسول ج ٢ ص ٤٢٦ عن السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٨١ وعن السيرة النبوية لدحlan (مطبوع مع الحلبية) ج ٣ ص ٧١ و نصب الراية ج ٦ ص ٥٦٤ و عن عيون الأثر ج ٢ ص ٣٣٢.

(٤) مكاسب الرسول ج ٢ ص ٤٢٦ و ٤٢٧ عن السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٨٣ و عن الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٧؛ وقد أظهرت هذه النصوص أموراً عديدة، منها:

١- اذعاؤه أن القبط لا يطاوونه، مع أنه لم يعرض ذلك عليهم، وقد دل على ذلك التعبير المذكور، حيث لم يقل: لم يطعوني، ليدل ذلك على أنه قد عرض عليهم الإيمان فرفضوه، بل قال: لا يطاوونى، الذي يستوطن: أنه يقول ذلك عن حسد و استنتاج.

٢- لماذا لا يحب أن يعلم القبط بمجاورة حاطب للمقويس؟ أليس ذلك إلا من أجل أن لا يتساءلوا عن السبب الذي جاء به إلى بلادهم، وقد يبذلون بعض المساعي لسماع أباء رسول الله «صلى الله عليه و آله» من أحد أتباعه، إذ إن النفوس تشوق و تشوف لسماع أباء من هذا القبيل.

و هي أباء يشعر الناس كلهم: أنها تهمهم و تعنفهم، ولها مساس بحياتهم، و بمستقبلهم، و بمصيرهم.

٣- ألا يستفاد من هذه المطالب: أن المقويس لم يعلم أحداً من القبط بقدوم رسول رسول الله «صلى الله عليه و آله»؟! وأنه قد حضر هذا الرسول، و حاصره عنده، و قد غمره بالإكرام و الإنعام، و أبقاءه تحت السيطرة، و تحت الرقابة التامة؟!

٤- لماذا لا يريد المقويس: أن تسمع منه القبط حرفاً واحداً؟! أليس هذا من الأدلة الواضحة على سعيه لتجهيل قومه؟!

السيرة النبوية لدحlan (مطبوع مع الحلبية) ج ٣ ص ٧٢ و راجع: نصب الراية ج ٦ ص ٥٦٤ و موسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٦٦٥ و عن السيرة النبوية لدحlan ج ٣ ص ٧٢ و ٧٣ و عيون الأثر ج ٢ ص ٣٣٢ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٣٨ و حياة الصحابة ج ١ ص

١١٨ و كنز العمال (ط الهند) ج ١٠ ص ٣٩٩.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٨.

ولماذا يهتم بهذا التجهيل؟! و ما الذي يخشاه من اطلاعهم على أخبار نبى يعترف هو بصحّة نبوته، و بعثته، و هو الذي لم تزل كتبهم السماوية تعدّهم به؟!

إن ذلك كله و سواه مما لم نذكره يدل على أن المقويس كان يسعى لإبعاد شبح الإسلام عن نفسه، و عن قومه، و كان يستخدم الكلمات المعسولة، و الهدايا، و سياسة المداراة لل المسلمين من جهة، و يتبع سياسة محاصرة قومه بالجهل، و الإبعاد عن موقع المواجهة، من جهة أخرى .. و ذلك من أجل أن يبقى على نفوذه، و يحتفظ بملكه، و لو كان ذلك لقاء إطفاء نور الله تعالى، و إشاعة الشبهات و الضلالات في الناس.

كتابه صلى الله عليه و آله إلى النجاشي الأول من مكة:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

من محمد رسول الله، إلى النجاشي الأصحام ملك الحبشة:
سلام عليك.

إني أحمد إليك الله، الملك، القدوس، (السلام) المؤمن، المهيمن، (العزيز، الجبار، المتكبر).
وأشهد أن عيسى بن مرريم روح الله، وكلمته ألقاها إلى مرريم البطل الطيبة الحصين، فحملت عيسى، فخلقه من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده ونفخه.

وإنى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعنى فتومن بي، وبالذى جاءنى، إني رسول الله.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٩

وقد بعثت إليكم ابن عمى جعفر، و معه نفر من المسلمين، فإذا جاؤوك، فأقر ودع التجبر. وإنى أدعوك و جنودك إلى الله عز و جل، وقد بلغت و نصحت فاقبلاوا.
والسلام على من اتبع الهدى» «١».

(١) راجع مصادر هذا الكتاب فى: مکاتيب الرسول للعلامة الأحمدى رحمه الله و هي التالية: إعلام الورى ص ٣٠ و في (ط أخرى) ص ٥٦ و الطبرى ج ٢ ص ٢٩٤ و في (ط أخرى) ص ٦٥٢ و البداية و النهاية ج ٣ ص ٨٣ و إعلام السائلين ص ٤ و ناسخ التواريخ فى بيان سيرة رسول الله «صلى الله عليه و آله» ص ٤٧٢ و الحلبية ج ٣ ص ٢٧٩ و زينى دحلان (هامش الحلبية) ج ٣ ص ٦٧ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٣٠ و أعيان الشيعة ج ٢ ص ٢٠٧ و في (ط أخرى) ج ١ ص ٢٤٣ و أسد الغابة ج ٤ ص ٨٦ و ج ١ ص ٦١ فى ترجمة أرمى بن أصحام، و البخارى ج ٢٠ ص ٣٩٢ و ج ١٨ ص ٤١٨ و ج ٢١ ص ٤١٩ و ج ٤٣ عن إعلام الورى و قصص الأنبياء للراوندى ص ٣٢٤ و جمهرة رسائل العرب ج ١ ص ٣٦ و صبح الأعشى ج ١ ص ٩١ و ج ٦ ص ٣٥٨ و ٣٥٩ و ٤٦٥ و رسالات نبوية ص ٢٨٩ و تأريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٧٩٠ و ٧٩١ و في (ط أخرى) ج ٢ ق ٢ ص ٣٦ و ثقافت ابن حبان ج ٢ ص ٩ و حياة الصحابة ج ١ ص ١٠٣ و الدلائل للبيهقي ج ٤ ص ٣٧٦ و ج ٢ ص ٧٨ و ٧٩ و في (ط أخرى) ص ٣٠٩ و ربى البرار ج ٣ ص ٢٩٧ و المصباح المضىء ج ٢ ص ٣٥ و زاد المعاد ج ٣ ص ٦٠ و إعجاز القرآن ص ١١٣ و المواهب اللدنية للقسطلاني شرح الزرقانى (كما فى الجمهرة) و نشأة الدولة الإسلامية:

١٥ / ٣٠١ و مدينة البلاغة ج ٢ ص ٢٤١ و المنتظم ج ٣ ص ٢٨٧ و الوثائق السياسية:

٢١ / ٩٩ عن جمع من تقدم، وعن المواهب ج ١ ص ٢٩١ و نصب الراية للزيلعى، و منشآت السلاطين لفريدون بك ج ١ ص ٣٢ و وسيلة المتعبدين (مخوططة بانكى

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٣٠

إسلام النجاشى الأول:

و قد ذكر المؤرخون - و النص للعلامة الأحمدى «رحمه الله» «١»:-
أنه لما أوصل عمرو بن أمية الكتاب إلى النجاشى، أخذه و وضعه على عينيه، و نزل عن سريره، و جلس على الأرض إجلالا و إعظاما، ثم أسلم، و دعا بحق من عاج، و جعل فيه الكتاب، و قال: لو كنت أستطيع أن آتيه لأتيه «٢».

پور) ص ٨ و إعجاز القرآن للباقلانى ص ٢٠٣ و إمتناع الأسماع للمقرizi (خطئة كويبلو إسطنبول) ص ١٠٢١ و المبعث و المغازى

لإسماعيل التيمي (خطيّة كوبيرلو) ورقة ١١٤ ورفع شأن الحبشان للسيوطى (خطيّة بروصه) ورقة ١١٠ والوفاء لابن الجوزى ص ٧٣٤ وراجع: التنبيه والإشراف ص ٢٢٦ والطبقات (ط ليدن) ج ٢ ق ١ ص ١٥ وق ١ ص ١٣٩ و(ط بيروت) ج ١ ص ٢٠٧ و ٢٥٨ وج ٤ ص ٢٤٩ وج ٨ ص ٩٧ و تهذيب تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ١١٤ والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢١٠ و ٢١٣ والإستيعاب (هامش الإصابة) ج ٢ ص ٤٩٧ و كنز العمال ج ١ ص ٢٣٩ وج ١٠ ص ٤١٩ والتراييـل الإداريـل ج ١ ص ١٦٥ و ١٩٧ و اليعقوبـيـل ج ٢ ص ٦٧ و المناقب ج ١ ص ١٦٤ . قال في الوثائق: (قابل سعيد بن منصور: ٢/٣ ٢٤٨٠ و انظر كايتاني ج ٦ ص ٥٣ و اشپرنـكـرـجـ ٣ـ صـ ٢٦٢ـ و راجـعـ:ـ الكـاملـ جـ ٢ـ صـ ٢١٠ـ وـ حـيـاةـ مـحـمـدـ لـهـيـكـلـ صـ ٣٥٣ـ وـ أـنـسـابـ الأـشـرافـ تـحـقـيقـ مـحـمـدـ حـمـيدـ اللـهـ صـ ٤٣٨ـ .)

(١) مکاتیب الرسول ج ٢ ص ٤٤٧ و ٤٤٨ و ٤٤٩ .
 (٢) مکاتیب الرسول ج ٢ ص ٤٤٧ عن الطبقات لابن سعد ج ٢ ق ١ ص ١٥ و ١٦ وعن السیرة الحلبیة ج ٣ ص ٢٧٩ وعن السیرة النبویة لدحلان (بهاـشـ الـحـلبـیـةـ)ـ جـ ٣ـ صـ ٦٧ـ وـ ٦٨ـ وـ المـصـبـاحـ الـمضـيـءـ جـ ٢ـ صـ ٣٥ـ . وـ رـاجـعـ:ـ مـیـزانـ الـحـکـمـةـ جـ ٤ـ الصـحـیـحـ منـ السـیرـةـ النـبـیـ الـأـعـظـمـ،ـ مـرـضـیـ الـعـامـلـیـ،ـ جـ ١٧ـ،ـ صـ ٣١ـ .

كلام الرسول صلى الله عليه و آله عند النجاشي الأول:

وقالوا: إن عمرو بن أمية قال للنجاشي: يا أصحمة، إن على القول و عليك الاستماع، إنك كأنك في الرقة علينا منا، و كأننا في الثقة بك منك، لأنّا لم نظن بك خيراً قط إلا لناه، ولم نحفظك على شر قط إلا أمناه، وقد أخذنا الحجة عليك من قبل آدم، والإنجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد، وقاض لا يجور، وفي ذلك موقع الخير وإصابة الفضل، وإنما فانت في هذا النبي الأمي كاليهود في عيسى بن مرريم، وقد فرق رسّله إلى الناس، فرجاك لما لم يرجهم له، و أمنك على ما خافهم عليه، لخير سالف وأجر يتّظر «١».
 فقال النجاشي: أشهد بالله: أنه النبي الذي ينتظره أهل الكتاب، وأن بشاره موسى براكب الحمار كبشره عيسى براكب الجمل، وأنه ليس الخبر كالعيان، ولكن أعوانى من الحبشه قليل، فانظرنى حتى أكثر الأعوان، وألين القلوب.
 وفي رواية: لو أستطيع أن آتيه لأتيته «٢».

ص ٣٢٠٩ و تاريخ مدينة دمشق ج ٤٥ ص ٤٣٠ و موسوعة التاريخ الإسلامي ج ١ ص ٥٧٣ و سبل الهدى و الرشد ج ١١ ص ٣٦٥ .
 (١) مکاتیب الرسول ج ٢ ص ٤٤٧ عن دحلان ج ٣ ص ٦٨ و الحلبیة ج ٣ ص ٢٧٩ و زاد المعاد ج ٣ ص ٦٠ و الروض الأنف ج ٣ ص ٣٠٤ و المصاحف المضيء ج ٢ ص ٣٩ و موسوعة التاريخ الإسلامي ج ١ ص ٥٧٢ وج ٢ ص ٦٥٤ و عيون الأثر ج ٢ ص ٣٢٩ و الطبقات الكبرى (ط دار صادر) ج ١ ص ٢٥٩ .
 (٢) مکاتیب الرسول ج ٢ ص ٤٤٨ عن السیرة النبویة لدحلان ج ٣ ص ٦٨ وعن السیرة الحلبیة ج ٣ ص ٢٨٠ و زاد المعاد ج ٣ ص ٦٠ .

الصحيح من السیرة النبویة، مرضی العاملی، ج ١٧، ص: ٣٢ .
 و نحن نرى: أن حامل رساله رسول الله «صلى الله عليه و آله» هو جعفر بن أبي طالب، إذ من المعلوم: أن النجاشي إنما أسلم على يدي جعفر فهذه الموعظة إن كانت قد صدرت من أحد فإنما صدرت من جعفر دون سواه باستثناء بعض الفقرات، كما سنو ضحه في الفقرة التالية:

إنما يفصح الفاجر:

هذا .. وقد ذكرت النصوص المتقدمة: أن عمرو بن أمية قال للنجاشي: «كأنك في الرقة علينا منا، و كأننا في الثقة بك منك، لأننا لم نظن بك خيراً قط إلا لناه الخ ..». و نقول:

قد نقل عن خط الشهيد رحمة الله ما يلى:

«قيل: كتب النجاشي كتاباً إلى النبي ﷺ عليه و آله» فقال رسول الله ﷺ لعلى «عليه السلام»: أكتب جواباً، وأجز.

فكتب «عليه السلام»: «بسم الله الرحمن الرحيم: أما بعد، فكأنك من الرقة علينا منا، و كأننا من الثقة بك منك، لأننا لا نرجو شيئاً منك إلا لناه، و لا تخاف منك أمراً إلا أمناه، و بالله التوفيق».

فقال النبي ﷺ عليه و آله: الحمد لله الذي جعل من أهلي ملوك، و شد أزرى بك»^١.

(١) البحار ج ٢٠ ص ٣٩٧ و (ط حجرية) ج ٦ ص ٥٧١ و مستدرک سفينة البحار ج ٩ ص ٥٤١ و مکاتیب الرسول ج ٢ ص ٤٥٣ و راجع: ناسخ التواریخ، ترجمة رسول الله ﷺ عليه و آله، و مدینة البلاغة ج ٢ ص ٢٤٤.

الصحيح من السیرة النبی الاعظـم، مرتضی العاملی، ج ١٧، ص ٣٣:
فالكلام المتقدم من إنشاء أمير المؤمنين «عليه السلام»، ولكن الأيدي الخائنة التي تسعى إلى تزوير الحقائق، وإلى سرقة جواهر كلام على «عليه السلام»، قد نسبت ذلك إلى عمرو بن أمية. ولكن الله يأبى إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، و المشركون، و أن يفتضح الفجار و المزورون لحقائق الدين والإيمان، و أن يحل بهم الخزي و العار، و أن يصيّبهم الخذلان و الخزي، و البوار، و يكون فيهم كالنار على المنار، و كالشمس في رابعة النهار، و ينتقم منهم في الدنيا و الآخرة العزيز الجبار.

كتاب النجاشي الأول إلى النبي ﷺ عليه و آله:

وقالوا أيضاً: إن النجاشي أحضر جعفرا رضوان الله تعالى عليه و أصحابه، وأسلم على يديه لله رب العالمين، و كتب بذلك إلى رسول الله ﷺ عليه و آله: «بسم الله الرحمن الرحيم.
إلى محمد رسول الله، من النجاشي الأصحح بن أبيجر.
سلام عليك يا نبی الله و رحمة الله و بركاته، من الذي لا إله إلا هو، الذي هداني للإسلام.
أما بعد ..

فقد بلغنى كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض، إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت ثفروقاً^١ إنه كما قلت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقد قربنا ابن عمك و أصحابه، فأشهد أنك

(١) الفروق: الأقماع التي تلتصق بالسر.

الصحيح من السیرة النبی الاعظـم، مرتضی العاملی، ج ١٧، ص ٣٤:
رسول الله، صادق، مصدق، وقد بايعتك، و بايعت ابن عمك، و أسلمت على يديه لله رب العالمين، و قد بعثت إليك بابني أرها بن الأصحح بن أبيجر، فإني لا أملك إلا نفسي، و إن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله، فإني أشهد أن ما تقول حق، و السلام عليك يا رسول الله»^١.

(١) مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٤٤٨ عن المصادر التالية: عن السيرة النبوية لدحلان ج ٣ ص ٦٧ و ٦٨ وعن السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٧٩ و تاريخ الأمم والملوک للطبری ج ٢ ص ٦٥٢ و في (ط أخرى) ص ٢٩٤ عن ابن إسحاق، و إعلام الورى ص ٣٠ و في (ط أخرى) ص ٥٦ و البخاري ج ٦ ص ٣٩٨ و ٥٦٧ (الطبعة الحجرية) وج ١٨ ص ٤١٩ وج ٢٠ ص ٣٩٢ وأسد الغابة ج ١ ص ٦٢ و ٦٣ و أعلام السائلين ص ٤ و ناسخ التواریخ ص ٢٧٣ من تأریخ رسول الله «صلی الله علیہ و آله» و ثقات ابن حبان ج ٢ ص ٩ و دلائل النبوة للبیهقی ج ٢ ص ٧٩ و حیاة الصحابة ج ١ ص ١٠٣ و مجموعة الوثائق السياسية ص ٤٦ و في (ط أخرى) ص ١٠٤ عن جمع ممن تقدم، و عن صبح الأعشی ج ٦ ص ٣٧٩ و ٤٦٦ و ٤٦٧ و سواطع الأنوار للتیمی (خطیة) ورقه ١١٤ ب، و ١١٥ ألف، و رفع شأن الحبشان للسيوطی (خطیة) ورقه ١١٠ ب، و إمتناع المقریزی (خطیة کوپرلو) ص ١٠٢١ و الوفاء لابن الجوزی ص ٧٣٥ و راجع: الكامل لابن الأثیر ج ٢ ص ٦٣ و المواهب اللدنیة (بشرح الزرقاوی) ج ٣ ص ٣٧٩ و المستدرک ج ٢ ص ٦٢٤ و تاریخ ابن خلدون ج ٢ ص ٧٩١ و في (ط أخرى) ج ٢ ق ٢ ص ٣٦ و البداية والنهاية ج ٣ ص ٨٤ و زاد المعاد لابن القیم ج ٣ ص ٦٠ و ٦١ و الشفاء للقاضی عیاض ج ١ ص ١٦٤ و نشأة الدولة الإسلامية: ١٧/٣٠٢ و رسالات نبوية ص ٢٩٠ و تاریخ الخمیس ج ٢ ص ٣٠ و الطبقات ج ٢ ق ١ ص ١٥ و مدینة البلاغة ج ٢ ص ٢٤٣ و نصب الرایة للزیلیعی ج ٤ ص ٤٢١ و دلائل النبوة للبیهقی ج ٢ ص ٧٩ و المنتظم ج ٣ ص ٢٨٨ و المصباح المضيء ج ٢ ص ٣٧.

الصحيح من السيرة النبوة الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٣٥

و كتب النجاشی إلیه «صلی الله علیہ و آله» فی جواب کتابه فی تزویج أم حبیبة ما يلى: «بسم الله الرحمن الرحيم .. إلى محمد «صلی الله علیہ و آله»، من النجاشی أصححه .. سلام عليك يا رسول الله من الله و رحمة الله و برکاته. .. أما بعد ..

فإنی قد زوجتك امرأة من قومك، و على دینک، و هی السيدة أم حبیبة بنت أبي سفیان، و أهدیتک هدیة جامعه: قميصا، و سراويل، و عطاها، و خفين ساذجين، و السلام عليك و رحمة الله و برکاته» «١».

و كتب إلى النبي «صلی الله علیہ و آله» أيضا فی جواب کتابه فی تجهیز المسلمين هذا الكتاب: «بسم الله الرحمن الرحيم.

إلى محمد «صلی الله علیہ و آله»، من النجاشی أصححه .. سلام عليك يا رسول الله من الله و رحمة الله و برکاته، لا إله إلا الذي هداني للإسلام. .. أما بعد ..

فقد أرسلت إليك يا رسول الله من كان عندي من أصحابك المهاجرين من مكة إلى بلادی، و ها أنا أرسلت إليك ابني أريحا في ستین

(١) مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٤٤٩ عن المصادر التالية: الوثائق ص ١٠٦ و في (ط أخرى) ص ٤٨ عن سواطع الأنوار للتیمی ص ٨١ و الطراز المنقوش لابن عبد الباقي، الباب الأول. و ابن الجوزی ص ٥٦٨ و ٥٦٩ ملخصا و نشأة الدولة الإسلامية: ١٨/٣٠٣.

الصحيح من السيرة النبوة الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٣٦

رجال من أهل الحبشة، و إن شئت أن آتيك بنفسی فعلت يا رسول الله، فإنی أشهد أن ما تقول حق، و السلام عليك يا رسول الله و رحمة الله و برکاته» «١».

رسول النجاشي الأول و هداياه:

لما طغت قريش و عت ضد الإسلام و المسلمين، وأفطروا في تعذيبهم قال لهم رسول الله «صلى الله عليه و آله»: «لو خرجمت إلى الجبنة، فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد. و هي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه»^(٢). ثم بعث المهاجرين تحت كفالة جعفر بن أبي طالب رضوان الله عليهمما «^(٣)

(١) مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٤٤٩ عن: الوثاق ص ٤٨ و في (ط أخرى) ص ١٠٤ عن الطراز المنقوش لابن عبد الباقي و ساطع الأنوار ص ٨٢ و قابل إعلام السائلين ص ٣ و المصباح المضيء ج ٢ ص ٣٧ و موسوعة التاريخ الإسلامي ج ١ ص ٥٧٦ و ج ٢ ص ٦٦١.

(٢) البحار ج ١٨ ص ٤١٢ و مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٤٤٩ و السنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ٩ وعن فتح الباري ج ٧ ص ١٤٣ وعن مجمع البيان ج ٣ ص ٤٠٠ و سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٢٠٨ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٧٠ وعن البداية و النهاية ج ٣ ص ٨٥ و ٩٢ و موسوعة التاريخ الإسلامي ج ١ ص ٥٥٥ و عن السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٢١٣ و السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٤ و ١٧ و سبل الهدى و الرشاد ج ١ ص ٢٢ و ج ٢ ص ٣٦٣.

(٣) راجع: الجزء الثاني من هذا الكتاب، و مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٤٥٠. و راجع: و البداية و النهاية ج ٣ ص ٩٨ عن أبي موسى، و السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ١١ و راجع: كنز الدقائق ج ٣ ص ١٧٣ و تفسير على بن إبراهيم ج ١ ص ١٧٦ و نور

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٣٧

و كتب إلى النجاشي فيهم، يوصيه بتكريمهم و قراهم. كما أن أبو طالب رضوان الله عليه أيضا كتب إليه في هذا المعنى كما تقدم في الأجزاء الأولى من هذا الكتاب، حين استعرض أحدهات هجرة المسلمين إلى الجبنة.

فأقام المسلمون هناك في رغد من العيش، و أمن من الغوايل، و رد النجاشي مبعوثي قريش ردا قبيحا، و صار تكريمه للMuslimين سببا للثورة عليه، و دفع الله تعالى عنه هذه المكائد.

و قد تقدم: أن رسول الله «صلى الله عليه و آله» كتب إلى النجاشي مع عمرو بن أمية في الدعوة إلى الإسلام - و الظاهر: أن المكتوب إليه هو النجاشي الثاني - فآمن و صدق، و كتب إليه أيضا في تزويج أم حبيبة، فزوجها منه «صلى الله عليه و آله»، و كتب إليه أيضا في إرسال جعفر صلوات الله عليه، و من معه من المسلمين، فجهزهم و أرسلهم في سفينتين مع هدايا، و مع الوفد الذي أرسله، لينظروا إلى كلامه و مجلسه و مشربه، فيشاهدو آيات رسالته، و أعلام نبوته، و أن زيه ليس هو زى الملوك و الجبارية. فوافوا المدينة، و أكرمهم رسول الله «صلى الله عليه و آله» حتى قام يخدمهم بنفسه الشريفة، فقال أصحابه: نحن نكفيك يا رسول الله. فقال: إنهم كانوا لأصحابي مكرمين، و إنني أحب أن أكافئهم، و قرأ

الثلجين ج ١ ص ٥٤٩ و البرهان ج ١ ص ٤٩٣ و مجمع البيان ج ٩ ص ٤٩٣ و في أسد الغابة ج ١ ص ٤٤ «بعث رسول الله «صلى الله عليه و آله» جعفرا في سبعين راكبا إلى النجاشي ..» و راجع ج ٥ ص ٢٥٠.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٣٨

عليهم رسول الله «صلى الله عليه و آله» القرآن، فبكوا، و رجعوا إلى النجاشي «١».

و قد خاطب النبي «صلى الله عليه و آله» النجاشي بعنوان «ملك الحبشة»، ولم يخاطب كسرى و لا قيسرو لا المقوقس بذلك .. لأنه «صلى الله عليه و آله» كان على يقين من إيمان النجاشي، ثم من عقله، و حسن تدبيره،

(١) اخترنا هذه النصوص من كتاب مكاتيب الرسول للعلامة الأحمدى «رحمه الله» تعالى فراجعه، و راجع أحداث هجرة الحبشة في مختلف كتب السيرة و التاريخ، و منها على سبيل المثال: المصنف لعبد الرزاق ج ٥ ص ٢٨٤ و حياة الصحابة ج ١ ص ٣٣١ و مستدرك الحاكم ج ٤ ص ٢١ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٨٨ و ج ٢ ص ٢١ و المعجم الكبير للطبراني ج ٢٥ ص ٢١٨ و ٢٢٣ و كشف الأستار ج ٢ ص ٢٩٧ و الدلائل للبيهقي ج ٢ و ج ٤ ص ٣٤٤ و البحار ج ١٨ ص ٤١٠ و ج ٢١ ص ١٩ و ٢٣ و ٢٤ و السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٣٤٤ و ج ٤ ص ٣ و الدر المنشور ج ٥ ص ١٣٣ و ج ٢ ص ٣٠٢ و ٣٠٣ و سيرة ابن إسحاق ص ٢١٣ و تاريخ العقوبى ج ٢ ص ٢٣ و ٢٤ و كنز الدقائق ج ٣ ص ١٧٣ و مجمع البيان ج ٣ ص ٢٣٣ و ج ٩ ص ٢٤٤ و نور الثقلين ج ١ ص ٥٤٦ و البرهان (تفسير القرماني) ج ١ ص ٤٩٣ و تفسير القرماني ج ١ ص ١٧٦ و الشفاء للقاضى عياض ج ١ ص ٢٥٩ و البداية والنهاية ج ٣ ص ٦٦ و ج ٤ ص ٢٦٢ و ٢٠٥ و الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ٧٦ و تاريخ الأمم والملوک (ط دار المعارف بمصر) ج ٢ ص ٣٢٨ و عن السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٦٠ و ج ٣ ص ٥٦ و السيرة النبوية لدحلان (بها مش الحلبية) ج ١ ص ٢٥١ و ج ٢ ص ٢٥١.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٩

وأمانته، و عدله، فإنه ملك لا يظلم عنده أحد، كما تقدم، فلم يكن هناك أى محذور من الإقرار له بالملك على قومه، و تفويفه تدبير أمورهم إليه، فإنه أحرى بذلك من كل أحد ..
و هكذا فعل رسول الله «صلى الله عليه و آله» ..

سلام عليك:

و كان النبي «صلى الله عليه و آله» - كما قلنا - يكتب إلى المسلم: سلام عليك، أو سلم أنت، أو نحو ذلك، و يكتب إلى غير المسلم: السلام على من اتبع الهدى.

و قد لاحظنا هنا: أنه «صلى الله عليه و آله» يبدأ كتابه للنجاشي بقوله:
«سلام عليك، أو سلم أنت».

و هذا يشير إلى: أنه «صلى الله عليه و آله» كان يعلم بقبول النجاشي بكل ما يرضي الله سبحانه، و لا يتوقع منه أى تلاؤ أو استكبار عن قبول الدعوة الإلهية، فهو يؤمن بعيسى «عليه السلام»، من حيث يرى: أن في ذلك الإيمان رضاه تعالى، و لا بد أن يتواصل و يستمر هذا الإيمان، و لا ينقطع.

بل هو يتناهى و يكبر و يتحول تلقائيا إلى الإسلام.

أحمد إليك الله:

و لسنا بحاجة للإشارة إلى: أنه «صلى الله عليه و آله» قد ساق حمده لله حتى أوصله إلى النجاشي، ليؤنسه و يسره به، و ليحببه إليه، و لم يفعل ذلك مع كسرى و قيسرو ..

و في هذا دلالة أخرى على: أن النجاشي قريب إلى الله تعالى، و هو يأنس الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٤٠

بحمده، و الثناء عليه، و لا يغتر بملكه و طاعة الناس له، إلى حد الشعور بالاستغناء عنه تعالى، و الاستكبار عن طاعته ..

الملك:

و قد تقدم: أنه «صلى الله عليه و آله» قد خاطب النجاشي: بأنه «ملك الحبشة» و لكنه عاد و ذكره: بأن الله تعالى هو الملك على الإطلاق، و له دون سواه الملك الحقيقي، الذي لا يخضع في مالكيته إلى جعل، و إنشاء من أحد، و أما من سواه، فمالكيته و سلطانه يحتاج إلى إنشاء و اعتبار و جعل من قبل من بيده الأمر، و هو المالك الحقيقي، و الخالق، و المهيمن.

القدوس:

ثم عقب ذلك بذكر سائر صفات الله سبحانه، و التي يحاول الملوك، أن يستأثروا بها لأنفسهم، بنحو أو آخر. فذكر من ذلك صفة «القدوس» التي هي من صيغ التكثير و التشديد (المبالغة) في تقدير الله و تنزيهه عن أي نقص، أو عجز، أو عيب، أو حاجة و ما إلى ذلك.

فلا معنى لأن ينسب إليه أحد ظلما، أو جهلا، أو بخلا، أو .. أو ..

وبمقاييسه بسيطة يتجلى للإنسان عجزه حتى لو كان ملكا، و تظهر له عيوبه، و يشعر بأنه يحتاج إلى غيره، حتى إلى رعيته، أو إلى بعضهم، ليرفع نقائصه، و يصل إلى مراداته.

ومفروض بهذا الشعور الداخلي، و الإقرار الوجданى، أن ينتهى به إلى التسليم لله الملك القدس، و أن يطلب منه سبحانه تلبية حاجاته، و تقوية ضعفه، و إكمال نقصه، و رفع عجزه ..

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٤١

السلام، المؤمن:

و رغم أن الله مالك، و أن مقتضى ألوهيته أن يكون عباده مطاعين، خاضعين، منقادين له .. فإن الناس، سواء في ذلك الملك أم السوقه يستكبرون على ربهم، و لا يخضعون، و لا ينقادون له، و لا يطلبون حاجاتهم منه، و لا يعترفون بضعفهم أمام قوته، و بنقصهم أمام كماله، و بفقرهم أمام غناه و .. و ..

ولكنه تبارك و تعالى لا يعاملهم بما يستحقون، و لا يعاجلهم بالعقوبة على ما يقترفون، و لا يبادرهم بالانتقام رغم أنهم مجرمون. بل هو السلام الحانى، و المؤمن لهم من كل ما يخافون و يحذرون، و هو التواب على من تاب، و المؤمن لهم من العذاب.

أما سلام الملوك، فإنه يفرض بالقوة، و هو ليس في حقيقته سلام، بل هو إذلال و قهر .. ولذلك الأمن الذي يأتي من قبلهم فإنه يكون خوفا و استكانة، و استخداة، و خمودا ..

المهيمن:

و لم تكن صفة السلام و المؤمن فيه تعالى، من أجل أنه فاقد للسيطرة، و غير متمكن من الإمساك بمقاييس الأمور بسبب قلة خبرة، أو انحسار سلطان، أو ضعف في مستوى مراقبة الأحوال ..

بل من أجل أنه تعالى: يمنح السلام و الأمن لمستحقيه و طاليه من موقع الشاهدية، و الرقابة، و الإمساك بالأمور بصورة حقيقة، و بقدرة و فاعلية، فكان المهيمن و الشاهد. لا بواسطة الاستعانة بغيره، و لا بالاعتماد

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص ٤٢:
على الوسائل المتاحة له، كما هو حال ملوك الأرض، بل بالقدرة الذاتية، و الشاهدية الحقيقة ..

العزيز الجبار المتكبر:

و الله تعالى هو العزيز، الجبار، المتكبر على نحو الحقيقة، و أما ملوك الأرض فإنهم يدعون ذلك لأنفسهم، و لكن على سبيل تسمية الأمور بغير أسمائها الحقيقة، فيصورون ذلهم و مهانتهم عزا و كرامة، و يصورون ضعفهم الذي يجرهم إلى ظلم الآخرين - على قاعدة: و إنما يحتاج إلى الظلم الضعيف «١» - جبروتا، و بطشا و قوة ..

كما أن صغر أنفسهم حين يغطونه بانتفاخات كاذبة يسمونه كبراء، مع أن جبروت الله هو عين عدله، و عزته تبارك و تعالى كرامة كامنة في حقيقة ذاته، و تجلی في المظاهر المشيرة إلى عظمته ..

(١) من دعاء السجاد «عليه السلام» يوم الأضحى و الجمعة، راجع: الصحفة السجادية (ط مؤسسة المهدى قم) ص ٣٤٩ - ٣٥٣ و راجع: المقنعة للمفید ص ١٢٩ و مصباح المتهجد ص ٢٧٠ و ٤٢٣ و ٢٧٤ و مكارم الأخلاق ص ٢٩٥ و إقبال الأعمال ج ١ ص ٢٥٠ و ٣٢٦ و ٥٠١ و من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٤٩١ و تهذيب الأحكام ج ٣ ص ٨٨ و المزار لابن المشهدی ص ٤٧١ و عن إقبال الأعمال ج ١ ص ٢٠٥ و ٣٢٦ و ٥٠١ و ج ٢ ص ١٨١ و جمال الأسبوع ص ١١١ و ١٣٣ و ٢٦٦ و البحار ج ٥ ص ٥٣ و عن ج ٨٤ ص ٢٠٣ و ٢٦١ و ٢٦٨ و عن ج ٨٦ ص ٢٩٥ و عن ج ٨٧ ص ٣٢٩ و عن ج ٨٨ ص ٢٤ و عن ج ٩٥ ص ١٨ و ١٣١ و ٢٠٨ و ٢٨٦ و نور البراهين ج ٢ ص ٣٠٦ و ميزان الحكمـة ج ٣ ص ١٩١٤ و جامع البيان ج ١٧ ص ٨٢.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص ٤٣:

شهادة رسول الله صلى الله عليه و آله ليعسى أولاً:

و الذى يستوقف الباحث هنا: أن رسول الله «صلى الله عليه و آله» نفسه و قبل أن يطلب من غيره شيئاً قد بادر إلى الشهادة ليعسى «عليه السلام»، بما يعتقد فيه، و في أمه على نبينا و آله و على عيسى و أمه الصلاة و السلام، فقال: أشهد أن عيسى بن مریم روح الله.

و قد اقتصرت شهادته على النقطة المحورية للخلاف في أمر عيسى «عليه السلام»، و هي نقطة الارتكاز للديانة المسيحية كلها، حتى إذا تعرضت هذه النقطة لأى اهتزاز، فإن ذلك سوف يزعزع بناء تلك الديانة كله، و يسقط الهيكل على رؤوس أصحابه .. ألا و هي قضية خلق عيسى، فقرر أنه «عليه السلام» مخلوق لله تعالى، حين وصفه بأنه روح الله و كلمته ..

أى أنه روح خلقه الله بحكمته، و اختاره و اصطفاه، و أضافه إلى نفسه، من بين سائر الأرواح.

و هو كلمة الله أيضاً؛ لأنه ولد من غير أب، بل بواسطة كلمته، و هي قوله تعالى: كُن .. فكان.

إإن كان عيسى «عليه السلام» روحًا مخلوقاً لله عز و جل، بواسطة أمره التكويني. و إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كُن فيكون «١». فهو مخلوق محدث، لا يحمل أى عنصر إلهي، و هذا بالذات هو ما تقضي به العقول، و تهدى إليه الفطرة السليمة و الصافية ..

(١) الآية ٨٢ من سورة يس.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص ٤٤:

مريم البتو، الطيبة، الحصينة:

ثم إنه «صلى الله عليه و آله» قد شهد لمريم بثلاثة أوصاف هي:

١- البتو: و تعنى: المرأة المتبتلة التي قررت الانقطاع عن الرجال، من حيث إنها تلتزم العفة والعصمة عن كل ما لا يرضاه الله في هذا الإتجاه، أو المنقطعة إلى الله تعالى عن الدنيا و زيتها، أو كما قال أحمد بن حنبل: (انقطاعها عن نساء أهل زمانها، و نساء الأمة عفافا، و فضلا، و دينا، و حسبا) «١».

فعن على «عليه السلام»: أن النبي «صلى الله عليه و آله» سئل ما البتو، فإنما سمعناك يا رسول الله تقول: إن مريم بتول، و فاطمة بتول؟ فقال «صلى الله عليه و آله»: البتو التي لم تر حمرة قط. أى لم تحضر فإن الحيض مكروه في بنات الأنبياء «٢».

(١) راجع: لسان العرب (نشر أدب الحوزة-قم) ج ١١ ص ٣٤ مادة: بتل. و راجع:

النهاية في اللغة، مادة بتل أيضا. و الكافي ج ٥ ص ٥٠٩ و معاني الأخبار ص ٦٤ و المزار الكبير لابن المشهدى ص ٧٨ و البحار ج ٦ ص ٦٤ و ج ١٤ ص ٣٠٠ و ج ٤٣ ص ١٥ و عن ج ٩٧ ص ٢٠١ و مکاتيب الرسول ج ٢ ص ٤٣٥ و تحفة الأحوذى ج ٤ ص ١٧١ و اللمعة البيضاء ص ٢٠٣ و بيت الأحزان ص ٢٦ و السيدة فاطمة الزهراء للبيومى ص ١٠٩.

(٢) علل الشرائع ج ١ ص ١٨١ و معاني الأخبار للصدقى ص ٦٤ و مشرق الشمس للبهائى العاملى ص ٣٢٥ و روضة الوعاظين ص ١٤٩ و مستدرک الوسائل ج ٢ ص ٣٧ و دلائل الإمامة ص ١٥٠ و مستدرک سفينۃ البحار ج ١ ص ٢٧٧ و البحار ج ٤٣ ص ١٥ و ج ٧٨ ص ١١٢ و مکاتيب الرسول ج ٢ ص ٤٣٥ و كشف الغمة ج ٢ ص ٩٢.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٤٥.

و البتل: القطع، و منه قيل لمريم: البتو و لفاطمة «عليها السلام»، لانقطاعها عن نساء زمانها، دينا و فضلا، و رغبة في الآخرة «١». و التبتل: الانقطاع إلى عبادة الله «٢».

و امرأة متبتلة: كل جزء منها يقوم بنفسه في الحسن «٣».

و قيل لفاطمة البتو: لانقطاعها عن الأزواج غير على «عليه السلام» أو لانقطاعها عن نظرائها في الحسن و الشرف «٤». أو لأنها تبتلت عن النظير «٥».

٢- الطيبة: أي الطاهرة التي صرخ الله تعالى بظهورتها، عما نسبه اليهود إليها حين قالوا لها: يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء و ما كانت أمك بغيًا «٦».

و قال تعالى: و إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرِيْمَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَ طَهَّرَكِ وَ اصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ «٧».

٣- الحصينة: و هي المرأة العفيفة- المتشددة في عفتها، المتمنة بها، كما

(١) سبل السلام لابن حجر ج ٣ ص ١١١ و شرح مسلم لل النووي ج ٩ ص ١٧٦.

(٢) الكافي هامش ج ٢ ص ٣٧٩ و من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٥٧ و التبيان ج ١٠ ص ١٦٤ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٩ ص ٤٤.

(٣) رسائل المرتضى ج ٤ ص ٨٥.

(٤) فتح الباري ج ٩ ص ٩٦.

(٥) مکاتيب الرسول ج ٢ ص ٤٣٥ عن ابن الهروي.

(٦) الآية ٢٨ من سورة مريم.

(٧) الآية ٤٢ من سورة آل عمران.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٤٦
يتمكن المحارب في حصنه ..

فخلقه من روحه و نفخه:

و بعد التلويع جاء التصریح: بأن عیسی «عليه السلام» مخلوق محدث، وأن الله سبحانه قد خلقه من روح اختاره و اصطفاه، و نسبه إلى نفسه كما ينسب الشيء إلى مالكه و صاحبه، فيقال: بيته، و قميصه، و نحو ذلك ..
ثم بين كيفية هذا الخلق و أنه بنفخ الروح فيه بعد تكونه في بطن أمه مریم جنينا كاما ..

كما خلق آدم عليه السلام بيده و نفخه:

ثم بالغ في تحديد كيفية الخلق وأسبابه و شؤونه حين قرر: أن خلقه مثل خلق آدم «عليه السلام»، فإن الله تعالى خلقه بيده، أى بقدرته التي يعبر عنها باليدي، كما قال تعالى: يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ «١». أى أن قدرة الله و بطشه فوق قدرتهم و بطشهم، ولكن بما أن البطش، و إعمال القدرة إنما يكون بواسطة اليدي؛ فإنه تعالى أورد هذه الكلمة أيضاً إمعاناً في تجسيد المعنى إلى حد أصبح شيئاً يناله الإنسان بحواسه الظاهرة. فقد تجلت القدرة و تجسدت آثارها حتى أصبحت و كأنها يد ظاهرة للعيان ..

ثم أشار إلى كيفية حلول الروح في جسد آدم و عیسی «عليهما السلام»، وقال: إن ذلك قد جاء بطريقة النفخ، الذي هو عبارة عن الإيجاد و التكوين المباشر في داخل الجسد نفسه ..

(١) الآية ١٠ من سورة الفتح.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٤٧

الموالاة على طاعة الله عز و جل:

و بعد أن دعا النبي «صلی الله علیه و آله» النجاشی إلى شهادة أن لا إله إلا الله، - وقد تحدثنا عن هذه الشهادة حين الكلام عن رسالته «صلی الله علیه و آله» لکسری - طلب منه الموالاة على طاعة الله سبحانه. فيكون بذلك قد حدد المنطلق والإطار للعلاقة الروحية، و لطريقة تعامله مع جميع البشر و يدخل في هذا السياق إرشاد الناس إلى المعاير، و الضوابط، من خلال المبادرة منه «صلی الله علیه و آله» نفسه إلى التعامل مع الناس على أساسها، و من خلالها، و يسوقهم بذلك إلى السعي للحصول على وضوح الرؤية، و الاستفادة من جميع القدرات، و الطاقات التي زودهم الله تعالى بها بصورة صحيحة ..

ولا يكل ذلك إلى الأهواء والميول، و نزوات الغرائز، و هذا النهج من شأنه إذا اتباعه: أن يخرجهم من العشوائية و الإبهام، و الغموض، إلى آفاق بالغة الصفاء، شديدة الوضوح، وفقاً لقوله تعالى: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا إِيمَانُ وَلِكُنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ «١».

وقال: لَيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْنَهُ وَيَحْيِي مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْنَهُ «٢».

وقال أيضاً: أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْنَهُ مِنْ رَبِّهِ كَمْ زُيَّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ «٣».

و الآيات المشيرة إلى هذا المعنى كثيرة ..

- (١) الآية ٥٢ من سورة الشورى.
- (٢) الآية ٤٢ من سورة الأنفال.
- (٣) الآية ١٤ من سورة محمد.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٤٨

أدعوك و جنودك:

و بعد ذكر أمور أخرى - أشرنا إلى بعض دلالاتها حين تكلمنا عن رسالته «صلى الله عليه و آله» إلى كسرى - قال «صلى الله عليه و آله» للنجاشي: «و إني أدعوك و جنودك إلى الله عز و جل ..».

و الأمر الشائع بين الناس هو خضوع الجنادل لقادتهم و لملوکهم فيما يعرضونه عليهم، حيث يكون كل همهم و سعيهم محصورا في تنفيذ أوامرهم، و الكون رهن إشارتهم في إقامة صرح العدل، أو في إشاعة الذل و الظلم و التعدى على حد سواء ..

و من الواضح: أن الجنود هم الأداة التي يعتمد عليها الملوك في بسط سلطانهم و نفوذهم، و بهم يوسعون دائرة حكمهم، و هم الأدوات التي يستفيدون منها في قهر الناس، و في ظلمهم و ابتزاز حقوقهم ..

ولكن رسول الله «صلى الله عليه و آله» .. قد وجه خطابه إلى هؤلاء بالاستقلال عن قادتهم النجاشي، ليشير لديهم الإحساس بهذه الاستقلالية، و لفهمهم أن هناك أمورا لا يجوز لأحد أن يقرها لهم، أو أن ينوب عنهم فيها. و من ذلك معرفة الله سبحانه و الخصوص له، و الاعتراف بالأئية المرسلين و الطاعة لهم، و العمل بأحكامه تعالى و شرائعه، و الالتزام بأوامره و نواهيه.

و يلاحظ: أنه «صلى الله عليه و آله» لم يذكر ذلك في كتابه لكسرى و قيصر، و المقوقس؛ لأنه كان عارفا بأنهم سوف يستكريون عن قبول دعوته، فضلا عن أن يفسحوا المجال لدعوة أي كان من الناس إلى دين الحق، فكيف إن كانوا من جندهم الذين يعتمدون عليهم في استمرار

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٤٩:
سلطهم على الآخرين، و يستخدمونهم بمثابة أدوات للبطش، و الإذلال و القهر و العدوان على الناس.

هذا .. و ليس في الرسالة: أن على النجاشي إثم أحد من الناس، بخلاف رسالة كسرى و قيصر و المقوقس؛ فإنه قد حملهم إثم أقوامهم في صورة عدم قبولهم دعوته ..

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٥١

الفصل الخامس: كتاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى النجاشي الثاني

إشارة

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٥٣:

كتاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى النجاشي الثاني:

تقدم: أن الرسول «صلى الله عليه و آله» قد كتب في سنة ست أو سبع إلى كسرى و قيصر، و النجاشي، و المقوقس، و غيرهم بنسخة

واحدة، يدعوهם فيها إلى الإسلام، وفي هذه الكتب كلها كتب الآية المباركة: قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدْ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَ لَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلُّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ.

ونص كتابه إلى هؤلاء، واحد كما تقدم .. و هو يختلف عن النص الذي قدمنا: أنه «صلى الله عليه و آله» قد كتبه للنجاشي الأول.

والنص الذي ذكرناه يدل: على أن ذلك الكتاب قد أرسل إلى النجاشي الأول حين هجرة جعفر و المسلمين إلى الحبشة، مما يدل على: أن الذي كتبه في سنة سبع كان موجها إلى نجاشي آخر غير النجاشي الأول، فلا يلاحظ ما يلى:

١- قول أنس: «إن النبي «صلى الله عليه و آله» كتب إلى كسرى و إلى قيسرو، و إلى النجاشي، و إلى كل جبار يدعوهם إلى الله تعالى، و ليس

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٥٤
بالنجاشي الذي صلي عليه النبي «صلى الله عليه و آله» .. ١).

٢- إن النجاشي الأول الذي مدحه النبي «صلى الله عليه و آله»، و هاجر إليه المسلمين قد أسلم على يد جعفر بن أبي طالب و آمن به «صلى الله عليه و آله»، وقد روى عن الحسن بن علي العسكري «عليهم السلام» عن آبائه «عليهم السلام»: «أن رسول الله «صلى الله عليه و آله» لما أتاه جبرائيل «عليه السلام» بنعي النجاشي بكى بكاء الحزين عليه، وقال: إن أحاكم أصححه - و هو اسم النجاشي - مات، ثم خرج إلى الجبانة و صلي عليه و كبر سبعا، فخفض الله له كل مرتفع حتى رأى جنازته و هو بالحبشة ٢». و كان ذلك من معجزاته «صلى الله عليه و آله».

(١) الدر المثور ج ٣ ص ٧ عن أبي الشيخ، و ابن مردويه، و عن صحيح مسلم، و الجامع الصحيح للترمذى ج ٥ ص ٦٨ و مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٤٣٧ و ميزان الحكماء ج ٤ ص ٣٢١٤ و صحيح مسلم ج ٥ ص ١٦٦ و شرح مسلم للنووى ج ١٢ ص ١١٢ و نصب الراية ج ٦ ص ٥٥٩ و فتح القدير ج ٢ ص ١٠٦ و عن البداية و النهاية ج ٤ ص ٢٩٩ و السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٩٤ و سبل الهدى و الرشاد ج ١١ ص ٣٤٥.

(٢) راجع: البحار ج ١٨ ص ٤١٨ و ج ٧٨ ص ٣٤٨ و الأقطاب الفقهية لابن أبي جمهور ص ٦٥ و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٥٢ و الخصال ص ٣٥٩ و باب السبعة حديث رقم ٤٧ و الوسائل (ط مؤسسة أهل البيت) ج ٣ ص ١٠٧ و مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٢٧٥ و مستدرك سفينة البحار ج ٩ ص ٥٤١ و مسنن الإمام الرضا ج ٢ ص ٤١٧ و ٤٩٠ و عوالى الآلى ج ٢ ص ٦٠ و راجع: المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ١٤٦ و مجمع البيان ج ٢ ص ٥٦١ و الكشاف (ط سنة ١٤٠٦ هـ) ج ١ ص ٤٥٩.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٥٥

أما الذي كتب إليه حين كتب إلى الملوك و الجبارين فهو النجاشي الثاني الذي استولى على السلطة بعد وفاة النجاشي الأول .. وقد زعموا: أنه هو الذي خرق كتاب رسول الله «صلى الله عليه و آله»، وأنه «صلى الله عليه و آله» قال: «إنى كتبت بكتابي إلى النجاشي فخرقه، و الله مخرق ملكه» ١).

و نحن نقول:

إن ذلك غير دقيق، فإن الظاهر هو: أن هناك ملوكاً ثلاثة من ملوك الحبشة كلهم عاصروا رسول الله «صلى الله عليه و آله»، و سি�تضاع ذلك فيما يأتي.

النجاشي ثلاثة، أسلم منهم اثنان:

بل إننا نستقرب: أن يكون ثلاثة من ملوك الحبشة قد عاصروا رسول الله «صلى الله عليه و آله»، و قد كاتبهم «صلى الله عليه و آله»

جميعاً، و هم:

١- النجاشي الأول، الذي أرسل النبي «صلى الله عليه و آله» إليه جعفر، وأرسل إليه الرسالة الأولى التي قدمتها و شرحتها، وقد أسلم هذا و آمن ..

(١) راجع: مسنن أحمد ج ٤ ص ٧٥ و تهذيب تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ١١٤ و حياة الصحابة ج ١ ص ١٠٧ و نصب الراية ج ٤ ص ٤١٨ و راجع: مجمع الزوائد ج ٨ ص ٢٣٥ و المنتظم ج ٣ ص ٢٨٩ و مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٤١٦ و كنز العمال ج ١ ص ٢٦٨ وعن البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٠ و السيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٢٨ و سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٤٥٨ و ج ١١ ص ٣٥٥. الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٥٦.

٢- النجاشي الثاني، الذي مات حين زواج النبي «صلى الله عليه و آله» بأم سلمة، في أول الهجرة. حسبما ورد في الرواية المتقدمة .. و الظاهر من رواية أنس المتقدمة: أنه توفى قبل سنة ست أو سبع، أي قبل كتابة النبي «صلى الله عليه و آله» إلى الملوك و الجارين. فقول من قال: إنه مات سنة تسع، أو بعد غزوة مؤتة، أو سنة ثمان «١»، لا مجال لقبوله ..

و ربما يكون القول بوفاته سنة تسع ناشئاً عن الاشتباه في قراءة الكلمة، حيث يكثر تصحيف كلمة (سبع) بكلمة (تسعة) بسبب اتحادهما في الشكل مع عدم وجود النقط في الحروف في تلك العصور ..

و الحال: أن النجاشي الأول رحمه الله قد مات - على ما يظهر - في أول الهجرة، و النجاشي الثاني مات في سنة سبع، أو في آخر سنة ست، ثم تولى الحكم بعده النجاشي الثالث، فكتب إليه «صلى الله عليه و آله»، فخرق الكتاب، و أخبر «صلى الله عليه و آله» بتخريص ملكه ..

و مما يدل على موت النجاشي الأول في أوائل الهجرة: أن أم كلثوم

(١) راجع هذه الأقوال في: البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٧٧ و أسد الغابة ج ١ ص ٩٩ و الإصابة ج ١ ص ١٠٩ و ١٠٢ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٣٠ و البحار ج ٢١ ص ٣٦٨ و عن العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ٢ ص ٨٢٦ و الكامل ج ٢ ص ٢٩٣ و راجع: عمدة القاري ج ١٧ ص ١٥ و فتح الباري ج ٧ ص ١٤٦ و عن تاريخ الأمم و الملوك. ج ٣ ص ١٢٢ و مرآة الجنان ج ١ حوادث سنة تسع، و زاد المعاد ج ٣ ص ٦٠ و مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٤٣٨ عنهم، و عن السيرة النبوية لدحلان ج ٣ ص ٦٩ و عن السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٨٠ و غير ذلك كثير.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٥٧.

قالت: «لما بنى النبي «صلى الله عليه و آله» بأم سلمة»، قال:

«قد أهديت إلى النجاشي أوراقاً من مسک و حلية، و إنني لأرأه قد مات. و لا أرى الهدية إلا سترد على..». فكان كما قال «١».

و كان زواج النبي «صلى الله عليه و آله» بأم سلمة في السنة الرابعة «٢».

و قيل: في السنة الثالثة «٣»، أو في الثانية «٤».

(١) مجمع الزوائد ج ٨ ص ٢٨٩ و راجع: المعجم الكبير ج ٢٥ ص ٢٣ و ج ٢٣ ص ٨١ و ج ٣٥٣ و مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٤٣٩ و عن البداية والنهاية ج ٤ ص ٣١٧ و السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٢٥ و الخلاف و الوفاق لعلى بن محمد القمي ص ٣٧٠ عن الخلاف ج ٣ ص ٥٥٥ و الإنفاس للحجاوي ج ٢ ص ٣٢ و مغنى المحتاج للشربيني ج ٢ ص ٤٠٠ و إعانة الطالبين ج ٣ ص ١٧٥ و دلائل النبوة ص

- ١٥٠ و سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ١٠٩ و الطبقات الكبرى ج ٨ ص ٩٥ و الأحاديث والثانى ج ٦ ص ٢٢٦ .
- (٢) الإصابة ج ٤ ص ٤٥٨ و البداية والنهاية ج ٤ ص ٩ و راجع: تاريخ الأمم والملوک ج ٢ ص ٢٣٠ و تنقیح المقال ج ٣ ص ٧٢ و التنبيه والإشراف ص ٢١٣ و سيرة مغلطای ص ٥٥ و الإستیعاب (مطبوع مع الإصابة) ج ٤ ص ٤٢١ و ٤٢٢ و سير أعلام النبلاء ج ١٦ ص ١٠٠ و شرح مسند أبي حنيفة ص ٢٠٣ و الطبقات الكبرى (ط دار صادر) ج ٨ ص ٢١٧ و معرفة الثقات ج ١ ص ٩٧ و عن أسد الغابة ج ٣ ص ١٩٦ .
- (٣) راجع: المغازي للواقدي ج ١ ص ٣٤٤ و الطبقات الكبرى ج ٨ ص ٨٧ و معرفة الثقات ج ١ ص ٩٧ و عن فتح الباري ج ١ ص ٣٢٤ و سير أعلام النبلاء ج ١٦ ص ١٠٠ .
- (٤) راجع: تنقیح المقال ج ٣ ص ٧٢ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٦ و سيرة مغلطای ص ٥٥ و المستدرک للحاکم ج ٤ ص ٣ و سبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ١٤٥ و تاريخ مدينة دمشق ج ٣ ص ٢٠٨ .
- الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص ٥٨:
- فلم مات النجاشی الأول تولی العهد بعده النجاشی الثاني، فراسله أيضاً رسول الله «صلی الله علیه و آله»، و دعاه إلى الإسلام، فأسلم أيضاً. كما دلت عليه رواية زراره، عن أبي جعفر عليه السلام: أنه «كان رسول الله «صلی الله علیه و آله» بعث قبل أن يسیر إلى خير عمرو بن أمیة الضمری إلى النجاشی عظیم الحبشه، و دعاه إلى الإسلام، و كان أمر عمرو أن يتقدم بجعفر و أصحابه. فجهز النجاشی جعفراً وأصحابه بجهاز حسن، و أمر لهم بكسوة، و حملهم في سفينتين»^١ .
- و لعل هذا هو الذي مات آخر سنة ست، أو في أول سنة سبع، و الظاهر: أنه هو الذي أرسل وفداً إلى المدينة للتحقيق في أمر نبوة رسول الله «صلی الله علیه و آله»^٢ .
- كما أنه هو الذي كتب إليه النبي «صلی الله علیه و آله» في تزویج أم حبیبة، فزوجه إياها، و أصدقها النجاشی نفسه أربعة آلاف درهم^٣ .

- (١) راجع: إعلام الورى ج ١ ص ٢١٠ و البحار ج ٢١ ص ٢٣ و مکاتیب الرسول ج ٢ ص ٤٤٥ و الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٥٨ و تاريخ مدينة دمشق ج ٤٥ ص ٤٣٠ .
- (٢) الدر المنشور ج ٢ ص ٣٠٢ و البداية والنهاية ج ٣ ص ١٨ و إعلام الورى ص ٦ و تفسیر المیزان ج ٦ ص ٨٥ و أسباب نزول الآیات ص ١٣٧ و زاد المسیر ج ٢ ص ٣١٠ و تفسیر الجلالین ص ٣٥٠ و لباب النقول ص ٨٤ و فتح القدير ج ٢ ص ٦٩ .
- (٣) الوسائل ج ١٥ ص ٦ و الكافی ج ٥ ص ٢٨٢ و المحاسن للبرقی ص ٢٤٠ و مرآة العقول ج ٢٠ ص ١١١ و من لا يحضره الفقيه ج ٣ ص ٤٧٣ و علل الشرایع ج ٢ ص ٥٠٠ و مکارم الأخلاق ص ٢٣٦ و عن البحار ج ١٠٠ ص ٣٤٩ و عن سنن الصیح من السیرة النبي الأعظم، مرتضی العاملی، ج ١٧، ص ٥٩:

٣- النجاشی الثالث: وهو الذي نص كتابه يتوافق مع نص كتابه «صلی الله علیه و آله» لکسری، و قیصر، و المقوقس، و فيه آیة الكلمة السواء، ولم يسلم هذا، بل مزق- هذا الخیث- كتاب رسول الله «صلی الله علیه و آله»، فأخبر «صلی الله علیه و آله»: أن الله سيمزق ملکه، حسبما تقدم.

النجاشی يموت و هو مهاجر:

و قد ذكر القمي: أن النجاشی وفد على رسول الله «صلی الله علیه و آله»، فلما عبر البحر توفى رحمه الله تعالى^١ .

ويحتمل أن يكون المقصود بهذا الكلام هو النجاشی الأول، ويحتمل أن يكون المقصود هو الثاني، ولم نستطع أن نتحقق من هذا

الأمر و زمانه، بسبب قلة النصوص.

أبي داود ج ١ ص ٤٦٨ و سنن النسائي ج ٦ ص ١١٩ و عون المعبدج ٦ ص ٩٥ و مسنن ابن راهويه ج ٤ ص ٢٧ و السنن الكبرى للنسائي ج ٣ ص ٣١٥ و المتنقى من السنن المستندة ص ١٧٩ و كشف الخفاء ج ١ ص ٣٨٨ و دفع شبهة التشبيه لابن الجوزي ص ٥٣ و تاريخ مدينة دمشق ج ٦٩ ص ١٣٦ و تهذيب الكمال ج ١ ص ٢٠٤ و سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٤٤٢ و ج ٢ ص ٢٢١ وج ٧ ص ١٣٨ و السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٧٣ و سبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ١٩٤.

(١) البخاري ج ١٨ ص ٤١٦ و مكاسب الرسول ج ٢ ص ٤٥٢ عن ناسخ التواريخت، ترجمة رسول الله «صلى الله عليه و آله» ص ٢٧٣ و مدينة البلاغة ج ٢ ص ٢٤٤ و ميزان الحكمة ج ٤ ص ٣٤٢٦ و تفسير القمي ج ١ ص ١٧٩ و التفسير الصافي ج ٢ ص ٧٩ و التفسير الأصفى ج ١ ص ٢٩٢ و نور الثقلين ج ١ ص ٦٦٤.

الصحيح من السيرة النبوية للأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٦٠

إلاص النجاشى:

و مما يدل على مدى محبة النجاشى لرسول الله «صلى الله عليه و آله» و اهتمامه بظهور أمره، و إعزاز دينه، ما روى عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: «أرسل النجاشى إلى جعفر بن أبي طالب و أصحابه، فدخلوا عليه، و هو فى بيت جالس على التراب، و عليه خلقان الشياطين.

قال: فقال جعفر «عليه السلام»: فأشفقنا منه حين رأيناها على تلك الحال، فلما رأى ما بنا، و تغير وجهها قال: الحمد لله الذى نصر محمدا، و أقر عينه، ألا أبشركم؟
فقلت: بلى أيها الملك.

فقال: إنه جاءنى الساعة من نحو أرضكم عين من عيونى هناك، فأخبرنى أن الله عز و جل قد نصر نبى محمدا «صلى الله عليه و آله»، و أهلك عدوه، و أسر فلان و فلان، التقوا بواحد يقال له: بدر، كثير الأراك، لكانى أنظر إليه حيث كنت أرعى لسيدى هناك، و هو رجل من بنى ضمرة.

فقال له جعفر: أيها الملك، فما لى أراك جالسا على التراب، و عليك هذه الخلقات؟
فقال له: يا جعفر، إننا نجد فيما أنزل الله على عيسى «عليه السلام»: أن من حق الله على عباده أن يحدثوا له تواضعًا عند ما يحدث لهم من نعمه، فلما أحدث الله عز و جل لي نعمة بمحمد «صلى الله عليه و آله» أحدثت الله هذا التواضع.
فلما بلغ ذلك النبي «صلى الله عليه و آله» قال لأصحابه: إن الصدق تزيد صاحبها كثرة، فتصدقوا برحمة الله، و إن التواضع يزيد صاحبه رفعة،

الصحيح من السيرة النبوية للأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٦١
فتواضعوا برككم الله، و إن العفو يزيد صاحبه عزة، فاعفوا برككم الله «١».

كتابه صلى الله عليه و آله إلى النجاشى الثالث:

«بسم الله الرحمن الرحيم».

هذا كتاب من محمد رسول الله، إلى النجاشى الأصم عظيم الحبسه.

سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، وأن محمدا عبده ورسوله، وأدعوك بدعاه الله، فإني أنا رسوله، فأسلم تسلماً. يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلامه سواءً يئننا وَيئنكم أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلُّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ، فإن أبیت فعليك إثم النصارى من قومك» (٢).

(١) راجع: مکاتیب الرسول ج ٢ ص ٤٥٤ عن الكافی ج ٢ ص ١٢١ وقال راجع:

البحار ج ٧٢ ص ١٢٤ و راجع شرحه هناك، و مرآة العقول ج ٨ ص ٢٤٣ و أمالی الشیخ ج ١ ص ١٣ و أمالی المفید ص ٢٣٨ و البداية والنهاية ج ٣ ص ٣٠٧ و دلائل النبوة لليهقی ج ٢ ص ٤٠٤ و الوسائل (ط دار الإسلامیة) ج ١١ ص ٢١٨.

(٢) مکاتیب الرسول ج ٢ ص ٤٥٥ و ٤٥٦ عن المصادر التالية: دلائل النبوة لليهقی ج ٢ ص ٧٨ و في (ط أخرى) ج ٢ ص ٣٠٨ و زینی دحلان هامش الحلیة ج ٣ ص ٦٩ و البداية والنهاية ج ٣ ص ٨٣ عن اليهقی فی الدلائل، و رسالات نبویة ص ٢٩١ و سیرة ابن إسحاق (الجزء المطبوع) ص ٢١٠ و في (ط أخرى) ص ٢٢٨ و المستدرک للحاکم ج ٢ ص ٦٢٣ و الوثائق: ٢٢ / ١٠٣ قال: و قابل إعلام السائلین، و شرح المواهب للزرقانی ج ٣ ص ٣٤٦ و نشأة الدولة الإسلامية ص ٣٠٢ و الأموال لأبی عبید ص ٣٤ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٣٦ و السیرة النبویة لابن هشام ج ٢ ص ٤١.

الصحيح من السیرة النبویة الأعظم، مرتضی العاملی، ج ١٧، ص: ٦٢.

ويبدو كما قلنا: أن المقصود بالنجاشی هنا: هو النجاشی الثالث الذي خرق كتاب رسول الله «صلی الله علیه وآلہ وسپتما» ووضحتنا آنفاً.

هذا .. وقد شرحنا مضمون هذا الكتاب، حين تكلّمنا عن كتابه «صلی الله علیه وآلہ» لکسری، فيمكن الرجوع إلى هناك.

و حسبنا ما ذكرناه في هذا السياق، ولنتقل إلى الحديث عن غزوة خير في الفصول التالية:

الصحيح من السیرة النبویة الأعظم، مرتضی العاملی، ج ١٧، ص: ٦٣.

الباب الخامس حصن خير

إشارة

الفصل الأول: من المدينة .. إلى خير الفصل الثاني: قبل أن يبدأ القتال الفصل الثالث: فتح حصن ناعم الفصل الرابع: فتح سائر حصنو النطاء والشق

الصحيح من السیرة النبویة الأعظم، مرتضی العاملی، ج ١٧، ص: ٦٥.

الفصل الأول: من المدينة إلى خير

إشارة

الصحيح من السیرة النبویة الأعظم، مرتضی العاملی، ج ١٧، ص: ٦٧.

تقديم:

فقد كانت هدنة الحديبية قد أعطت الانطباع بأن المسلمين قد أصبحوا قوة كبيرة، فرضاً هيبيتهم في المنطقة بأسراها .. الأمر الذي دعا قريشاً إلى القبول بالهدنة، بعد أن أنهكتها الحروب المتالية معهم ..
بل إنه «صلى الله عليه و آله» أصبح يعمل على نشر دعوته في كل بقاع الدنيا، وهو يرسل إلى أعظم ملوك الأرض - طالباً منهم الدخول في دينه - في خطاب قوى و حازم.

ولم يعد في المحيط الذي يعيش فيه قوة كبيرة متماسكة، يمكن أن يحسب لها حساب، إلا يهود منطقة خير، الذين كانوا قادرين على تجهيز عشرة آلاف مقاتل، بل أكثر من ذلك. وهي قوة لا يستهان بها، إذ لديهم حصون منيعة، وقدرات اقتصادية، ولسوف تكون المواجهة صعبة معهم، ولا سيما إذا أرادوا اتباع أسلوب التسويف، و إتلاف الوقت، بالاستفادة من الحصون الكثيرة التي تحت يدهم، التي كان فيها من المؤمن، والأقوات ما يكفي لأشهر طويلة.
وليبقى الجيش الإسلامي، الذي لم يكن يملك الكثير من ذلك، ليبقى في العراء يعيش الملل، و يكابد لحظات الانتظار الطويلة، و الثقلية، دون أن

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٦٨

تلوح له في الأفق بارقة أمل، و ليرهقه الخمول و الكسل، حيث لا مجال له للقيام بأى عمل ..

و كانت استعراضات يهود خير لقوتهم، و ظهور اغترارهم بها، و ركونهم إليها، قد لفتت الأنظار، و لعلها تركت آثاراً على بعض الضعفاء في المنطقة، مثل غطفان، و سوها.

ولكن الأمور قد سارت في غير الاتجاه الذي توقعوه، إذ سرعان ما تهافت أحالمهم، و دكت حصونهم، و خابت آمالهم، و أنجز الله تعالى لنبيه وعده، و نصر جنده، و هزم جموع اليهود وحده، و كانت كلمة الله هي العليا، و كلمة الباطل هي السفلى. كما سنبينه في سياق حديثنا هذا.

بداية:

إن الذي يراجع المصادر والموسوعات التاريخية، و الحديبية، يلاحظ: أن ثمة فرقاً بين ما دونوه من أحداث، و أشاروا إليه من جزئيات و تفاصيل في تاريخهم لمرحلة ما قبل الحديبية و خير، ثم في تاريخهم للحديبية و لخير فيما بعدهما ..
حيث يلاحظ: أن المرحلة السابقة تعرض فيها الأحداث بما لها من طابع كلي و عام، و لا تجد فيها من الاستغراق في الجزئيات و التفاصيل ما يقترب إلى مستوى ما حفلت به الأحداث المتأخرة عن الحديبية ..

و لعل من أسباب ذلك هو: أن الحديبية قد أفسحت المجال لاختلاط المسلمين مع غيرهم في التجارة، و إنشاء العلاقات، و جهر بالإسلام من كان متستراً به، و دخلت فئات كثيرة في هذا الدين، أو كانت تتهدأ لذلك،

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٦٩

و هي تقوم برصد حركة الواقع، و بملائحة الأمور بعين الرضا و القبول ..

إما بهدف تحصيل القناعة و الاعتقاد التام، أو من أجل الحفاظ على المصالح، و الحصول على الامتيازات، أو ما إلى ذلك ..

و بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه و آله» حاول كل أولئك الذين يريدون أن يبرروا لموافقت و سياسات، و ممارسات، و أقاويل، و مذاهب بعينها - حاولوا - أن يرجعوا إلى هذه الفترة التي عاشهوا مع رسول الله «صلى الله عليه و آله»، و استفادوا من مشاهداتهم لحركاته و سماته، و مواقفه، و كل أحواله منها، فاتخذوا منها مرجعاً لإنشاء منظومة التعليم و التوجيهات و السياسات، و المذاهب الاعتقادية، و الفقهية، التي لم تكن لتجد طريقها إلى عقل، و وجдан و حياة الناس لو لم تستمد شرعيتها من حياته «صلى الله عليه و آله»، و من أقواله، و أفعاله، و مواقفه ..

أما الفترة التي سبقت هذا المفصل التاريخي فقد غاب عنها أكثر هؤلاء، و جهلوها الكثير من جزئياتها و تفاصيلها، فأنتج ذلك عجزاً عن التوصل بها في إنشاء تلك المنظومة، وفق ما يريدون، و على حسب ما يشتهون.

و بعد هذه الإلماحه السريعه نقول:

ماذا عن خير؟!

خير اسم منطقة تقع على ثلاثة أيام من المدينة، على يسار الحاج القادم من الشام. و بينها وبين المدينة ثمانية برد (و البريد أربعه فراسخ، و الفرسخ ثلاثة أميال، و كل ميل أربعة آلاف خطوة، و كل خطوة ثلاثة أقدام).

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٧٠

و الخير بلسان اليهود: هو الحصن، ولذا سميت خيبر أيضاً^١.

و في هذه المنطقة حصون و مزارع، و نخل كثير، حتى قالوا: كان في الكتبية، أربعون ألف عذق. و توصف خير بكثرة التمر^٢.

و في خير ثمانية حصون، هي: النطاء، و الوطيط، و السالم، و الكتبية، و الشق، و الصعب، و ناعم، و القموص.

قال الماوردي وغيره: «و كان أول حصن فتحه رسول الله «صلى الله عليه و آله» فيها ناعم، ثم القموص، ثم حصن الصعب بن معاذ. و كان أعظم حصون خير، و أكثرها مالاً، و طعاماً، و حيواناً، ثم الشق، و النطاء، و الكتبية.

فهذه الحصون الستة فتحها النبي «صلى الله عليه و آله» عنوة، ثم افتتح الوطيط و السالم، و هو آخر فتوح خير صلحاً. بعد أن حاصرهم.

و ملك من هذه الحصون الثمانية ثلاثة حصون: الكتبية، و الوطيط، و السالم. أما الكتبية، فأخذها بخمس الغنائم، و أما الوطيط و السالم فهما مما أفاء الله عليه؛ لأنه فتحهما صلحاً، فصارت هذه الحصون الثلاثة بالفيء^٣.

(١) راجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٢ و راجع: تهذيب المقال ج ٥ ص ٤٢١ و تاج العروس ج ٣ ص ١٦٨.

(٢) راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣١ و سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١٥٢ و وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢١٠.

(٣) الأحكام السلطانية ج ١ ص ٢٠٠ و راجع: المغازى للواقدي ج ٢ ص ٦٧٠ و ٦٧١ و وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٩ و عمدة الأخبار ص ٣١٥ و تاريخ الأمم و الملوك

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٧١

ولكن هذا الكلام الأخير غير مقبول في فقه أهل البيت «عليهم السلام»، و سيأتي البحث عن ذلك إن شاء الله. كما أن ما ذكره: من أن فتح حصن الصعب قد كان بعد فتح حصن القموص غير دقيق، كما سندكره إن شاء الله تعالى.

خير مقدسة!!

قال الصالحي الشامي: «و لابن زبالة حديث: «ميلان في ميل من خير مقدس».

و حديث: «خير مقدسة و السوارقية مؤتفكة».

و حديث: «نعم القرية في سنين الدجال خير» ..^١.

و السوارقية: «قرية أبي بكر، بين مكة و المدينة، و هي نجدية، فيها مزارع و نخل كثير»^٢.

و نقول:

إن الحديث عن كون خير نعم القرية في زمن الدجال موضع ريب

ج ٢ ص ٣٠٢ و الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٢١ و السيرة الحلبية ج ٣ ص و السيرة النبوية لدحان (مطبوع مع الحلبية) ج ٣ ص و السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٣٥١.

(١) راجع ما تقدم: في سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٥٢ و وفاة الوفاء ج ٤ ص ١٢١٠.

(٢) مراصد الاطلاع ج ٢ ص ٧٥١ و وفاة الوفاء ج ٤ ص ١٢٣٨ و معجم البلدان ج ٣ ص ٢٧٦.

الصحيح من السيرة النبوية الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٧٢: و شكك، ولعله من أفائك اليهود أنفسهم.

إلا أن يكون المقصود بهذا الحديث: أنها تكون موضعاً مأموناً، بسبب وجود سبعين ألفاً من اليهود مع الدجال، على كل رجل منهم ساج و سيف محلى «١».

و من الطبيعي: أن يهتم يهود خير بأمر الدجال، ما دام أن الدجال يأمر بأوامرهم، و ينتهي إلى مقاصدهم .. و ربما تكون هذه الأحاديث من موضوعات اليهود لتعظيم البلاد التي كانوا يسكنونها، و للإيحاء بأن حرب النبي «صلى الله عليه و آله» لهم فيها كانت انتهاكاً لحرمة ما هو مقدس .. على أننا لا ندرى: ما الذي جعل قرية أبي بكر؛ «مؤتفكة» أى تفعل الأفك و الافتراء، دون سائر القرى و الله هو العالم ..

تاريخ غزوة خير:

لما قدم رسول الله «صلى الله عليه و آله» إلى المدينة من الحديبية، و ذلك في ذي الحجة - كما قال ابن إسحاق - من سنة ست، مكت بها عشرين ليلة، أو قريباً منها، ثم خرج في المحرم إلى خير.

و كان الله عز وجل وعده إليها، و هو بالحديبية، فقد نزلت عليه سورة الفتح، فيما بين مكة و المدينة، و فيها قوله تعالى: وَعَدَ اللَّهُ مَغَازِمَ كَثِيرَةً

(١) وفاة الوفاء ج ١ ص ٦٢ عن أحمد، و الطبراني في الأوسط، و رجال أحمد رجال الصحيح، و مسنده لأحمد ج ٣ ص ٢٩٢ و الأحادي و المثنى ج ٢ ص ٤٤٩ و كنز العمال ج ١٢ ص ٢٤٨.

الصحيح من السيرة النبوية الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٧٣: تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ «١» يعني خير «٢».

و عن ابن عباس: أقام بعد الحديبية في المدينة عشر ليال «٣».

و عن سليمان التيمي: خمسة عشر يوماً «٤».

و قيل: أقام شهراً وبعض شهر «٥».

و قال مالك: كانت خير سنة ست، و إليه ذهب محمد بن حزم. و الجمهور - كما في زاد المعاد - أنها في السابعة «٦».

و يمكن الجمع: بأن من أطلق سنة ست فإنما جاءه كلامه بناءً على ابتداء السنة من شهر الهجرة الحقيقي و هو ربيع الأول. و ابن حزم من هؤلاء أيضاً، فإنه يرى: ابتداء السنة الهجرية من شهر ربيع الأول «٧».

و نقل الحلبي عن الجمهور: أنه سار إلى خير بعد أن مضى من محرم

- (١) الآية ٢٠ من سورة الفتح.
- (٢) راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١١٥ و ١٥٢ و ١٥٣ عن ابن عقبة، و ابن إسحاق، و راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣١ و البحار ج ٢١ ص ١ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٣.
- (٣) سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١٥٣.
- (٤) سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١٥٣.
- (٥) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣١.
- (٦) الإمتناع للمقرنیزی ج ١ ص ٣١٠ و راجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٢ و سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١٥٢ و ١٥٣ و السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣١.
- (٧) سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١٥٣ و راجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٢ عن المواهب اللدنیة. الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٧٤: السنة السابعة، عشرون يوماً، أو قريباً من ذلك «١».
- و قال محمد بن موسى الخوارزمي: غزاها النبي «صلی الله علیه و آله» حين مضى ست سنين و ثلاثة أشهر و واحد وعشرون يوماً للهجرة «٢».
- و هذا معناه: أنها كانت في آخر جمادى الأولى، بناء على: أن أول السنة هجرية هو ربيع الأول.

في أي شهر كانت؟!

قيل: إن غزو خير كانت في شهر صفر «٣».

وقيل: في ربيع الأول «٤».

وقيل: في جمادى الأولى «٥».

وقيل أيضاً: إنها في شهر رمضان «٦».

ولعل سبب هذا القول الأخير هو: تصحيف الكلمة حنين بكلمة خير.

فإن النبي «صلی الله علیه و آله» قد سار إلى حنين بعد الفتح، وقد كان الفتح في شهر رمضان «٧».

- (١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣١.
- (٢) معجم البلدان ج ٢ ص ٤٠٩ و ٤١٠.
- (٣) سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١٥٢ و ١٥٣ و المغازى للواقدى ج ٢ ص ٦٣٤.
- (٤) سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١٥٣ و راجع: المغازى للواقدى ج ٢ ص ٦٣٤.
- (٥) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٢.
- (٦) سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١٥٣.
- (٧) راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١٥٣.
- الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٧٥.

مدة حصار خير:

و قالوا: إنه «صلى الله عليه و آله» أقام يحاصر خير بضع عشرة ليلة، إلى أن فتحها في صفر «١». و سئلني: أن ذلك غير دقيق، وأن حصارها قد تعدى الأيام إلى الأشهر كما سنرى، و لعله يتحدث عن حصار بعض حصنها فقط ..

مدة إقامته صلى الله عليه و آله في خير:

و قد روى عن ابن عباس: أنه «صلى الله عليه و آله» أقام بخير ستة أشهر يجمع بين الصالاتين «٢». و عنه أيضاً: أنه أقام بها أربعين يوماً، و سنته ضعيف «٣». و أن حساب أيام الحصار للحصون المختلفة، وفق ما ورد في النصوص التاريخية، و الروائية يعطى: أن الحصار قد دام عشرات الأيام .. و إن لم يصل إلى ستة أشهر ..

الاستنفار إلى خير:

قال الواقدي: أمر رسول الله «صلى الله عليه و آله» أصحابه بالخروج، فجدوا في ذلك، و استنفروا من حوله ممن شهد الحديبية، يغزون معه.

و جاء المخلفون عنه في غزوة الحديبية ليخرجوا معه رجاء الغنية،

(١) سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١٥٢ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٢.

(٢) سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١٥٦ عن الطبراني في الأوسط.

(٣) سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١٥٦ عن البيهقي.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ٧، ص: ٧٦: و لأنها ريف الحجاز طعاماً و ودكاً و أموالاً، فقال «صلى الله عليه و آله»:

«لا تخرجو معى إلا راغبين في الجهاد، فأما الغنية فلا» «١».

ثم أمر منادياً ينادي بذلك، فنادى به «٢».

ونقول:

١- إن غزوة الحديبية كانت بمثابة امتحان للكثيرين، من حيث إن نتائجها لم تكن واضحة لكثير من الناس الذين يرصدون سير الأمور فيها.

مع أن الحقيقة هي: أنه قد كان فيها ما لم يكن متوقعاً، فإن النتائج كانت باهرة على أكثر من صعيد، و في أكثر من اتجاه.

٢- و من النتائج التي ظهرت: أن النبي «صلى الله عليه و آله» قد أصبح قادراً على المبادرة لإزالة الشوكة الجارحة من خاصرة الكيان الإسلامي، المتمثلة باليهود، الذين ما فتئوا يسعون في إثارة الناس ضده، و يحرضون القبائل المختلفة على حربه، و يشاركون في هذه الحروب بالمال و الرجال، و إفساد القلوب، و تسميم الأجواء باستمرار.

٣- إن العدو الذي كان له امتداد طبيعي في المنطقة، بسبب موقعه من المقدسات، و بسبب علاقاته، و نفوذه الديني و التجاري، و الاجتماعي في المنطقة- إن هذا العدو- قد لجم، و أقصى عن موقع التأثير المباشر، و تهيأت الفرصة لكثير من الناس لممارسة

حرياتهم، في التعرف على دعوة الإسلام

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١١٥ و السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣١٠ والإمتناع للمقرنizi ص ٣١٠ والمغازي للوقدى ج ٢ ص ٦٣٤.

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣١٠ والإمتناع للمقرنizi ص ٣١٠ والمغازي للوقدى ج ٢ ص ٦٣٤.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٧٧

عن قرب، ومن دون خوف أو رهبة من أحد ..

و أصبح بإمكان الكيان الإسلامي أن يرتب أوضاعه الداخلية، وأن يعالج المشاكل التي يفرضها عليه، أو يخلقها له أعداؤه الذين يعيشون في محيطه، أو في المحيط القريب منه، والشديد التأثير عليه ..

٤- إن الإنجاز الذي حققه المسلمون في الحديبية قد أذكى فيهم الطموح، وبعث فيهم ثقة بأنفسهم، وأعطاهم حيوية ونشاطاً غير عادي.

و بدا للكثيرين منهم أن رحلتهم إلى خير كانت رحلة الاستيلاء على المغانم، والفوز بها.

و قد رسم هذا الاعتقاد لدى الكثيرين منهم الوعد الإلهي بهذه المغانم، فقد قال تعالى: **وَعَدْ كُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ .. ١١**.

حيث فسرت هذه الآية بما مكنهم الله تعالى منه في خير .. حسبما تقدم في أواخر الحديث عن صلح الحديبية ..

٥- إن ما فعله المخلفون في قضية الحديبية كان شديد الخطورة في أكثر من اتجاه، فعدا عن أنه يعبر عن ضعفهم الإيماني، وعن حبهم للدنيا، فإنه يجرئ الآخرين على ممارسة هذا الأسلوب في التعاطي مع أوامر رسول الله «صلى الله عليه و آله»، الأمر الذي يمهد لاختلالات خطيرة، ربما تؤثر على الكيان الإسلامي كلها.

٦- ثم إن النداء بحرمان هؤلاء، و بتخصيص أولئك، لابد أن يثير الشعور لدى أهل الحديبية بالعزء والكرامة، و يقابله شعور آخر بالخزي

(١) الآية ٢٠ من سورة الفتاح.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٧٨

و بالذنب لدى الذين تخلعوا حرصاً على الحياة بالأمس، و شدوا الرحال طمعاً بالغنية اليوم.

و كفى بذلك محفزاً لمزيد من النصحية والإقدام لأولئك، و رادعاً عن تكرار ما حدث لدى هؤلاء، و درساً لغيرهم ممن لهم يسرون على نفس الطريق.

المستخلف على المدينة:

وقال ابن هشام وغيره: إنه «صلى الله عليه و آله» استخلف على المدينة «نميلاً» - بالتصغير - ابن عبد الله الليثي **١**.

و قيل: بل استخلف سباع بن عرفطة - بضم العين و الفاء **٢**.

و قيل: أبا ذر **٣**.

و لعل سبب هذه الاختلافات الكثيرة في أمثال هذه الأمور هو: أن الرواية كانوا يروون من حفظهم، و كانت الغزوات كثيرة، و

المعلومات

- (١) سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١١٥ عن ابن هشام، و السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣١ و الإمتناع ص ٣١٠.
- (٢) سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١١٥ عن أحمد، و سعيد بن منصور، و البخاري في التاريخ الصغير، و ابن خزيمه، و الطحاوي، و الحاكم، و البيهقي عن أبي هريرة، و التاريخ الصغير ج ١ ص ٤٣ و دلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ١٩٨ و السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣١ و الإصابة ج ٢ ص ١٣ و الإمتناع ص ٣١٠ و المغازى للواقدي ج ٣ ص ٦٣٦ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٢.
- (٣) الإمتناع ص ٣١٠ و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٦٣٧.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص ٧٩:
غزيره، فيتفق أن يختلط الأمر على بعض الرواية بين غزوه وأخرى ..

كما أنه قد يكون هناك سياسات أو عصبيات، أو مصالح لدى بعض الفئات تقتضي بإقصاء فريق، و بإعطاء الموقف، و إيكال المهمات إلى فريق آخر ..

خدمة أنس للنبي صلى الله عليه و آله:

و قد ادعى أنس: أن رسول الله «صلى الله عليه و آله» قد قال لأبي طلحة، حين أراد الخروج إلى خير: التمسوا لي غلاما من غلمانكم يخدموني، فخرج أبو طلحة مردفي، و أنا غلام قد راهقت، فكان رسول الله «صلى الله عليه و آله» إذا نزل خدمته، فسمعته كثيرا ما يقول: إني أعوذ بك من الهم و الحزن، و العجز و الكسل، و البخل، و الجبن، و ضلع الدين، و غلبة الرجال «١».
و مما يؤيد أن يكون أول اتصال لأنس بالنبي «صلى الله عليه و آله» في خير:
أنهم يقولون: إنه غزا مع النبي «صلى الله عليه و آله» ثمان غزوات فقط «٢».
و هذا يكذب ما زعموه، من أن أمه أتت به إلى النبي «صلى الله عليه و آله» و قالت له: هذا غلام كاتب.
قال: فخدمته تسع سنين فما قال لشيء صنعته: أسأت، أو بئس ما

- (١) مسند أحمد ج ٣ ص ١٥٩ و سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١١٥ و السنن الكبرى ج ٩ ص ١٢٥ و سنن النسائي ج ٨ ص ٢٧٤ و عن البخاري ج ١١ ص ١٧٧ (٦٣٦٣) و السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣١.
- (٢) الإصابة ج ١ ص ٧١.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص ٨٠:
صنعت «١».

و في رواية أخرى: أنها قالت: هذا أنس غلام يخدمك فاقبليه.
و ذكرها: أنه خرج معه «صلى الله عليه و آله» إلى بدر يخدمه «٢».
نعم، و قد كان أنس يستحق هذه الأوسمة، فإنه كان على السقاية في البحرين من قبل أبي بكر «٣».
و كان يثبت أقوایل تفید فی تأیید خلافة مناوئی علی «علیہ السلام»، و یحجب حقائق حساسة، یستفید من حجبها، و إنكارها هذا الفريق بالذات.

فهو من أجل هذا و ذاك یستحق أن تزجي له المدائح، و أن تسطر له المآثر، ليصبح كلامه أكثر وقعا، و أعظم أثرا ..
و قد استحق من جهة أخرى أن يدعو عليه أمير المؤمنين «علیہ السلام» بسبب كتمانه حديث الغدير مرة، و حديث الطير أخرى، و لموقفه من طلحة و الزبير في حرب الجمل الثالثة، فأصيب بالبرص، و عد في جملة البرصان !! «٤».
ولكن كل أباطيلهم و أضاليلهم لم تستطع حجب الحقيقة، فقد روی عن الصادق «علیہ السلام» أنه قال: ثلاثة كانوا يكذبون على النبي

«صلی»

- (١) أسد الغابة ج ١ ص ١٢٨.
- (٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣١ والإستيعاب (بها مش الإصابة) ج ١ ص ٧٢ و راجع: الإصابة ج ١ ص ٧١.
- (٣) الإصابة ج ١ ص ٧٢.
- (٤) راجع: اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ص ٤٥ و المعارف لابن قتيبة ص ٥٨٠ والإرشاد للمفید ص ١٦٦ و ١٦٧ و الخصال ص ٢١٩ والأمالى للصادق المجلس ٢٦ ص ١٠٦ و ٥٢١ و ٥٢٢.
- الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٨١:
الله عليه و آله: أبو هريرة، وأنس بن مالك، و امرأة «١».

أم سلمة في خير أيضا:

و أخرج «صلی الله عليه و آله» معه إلى خير أم المؤمنين أم سلمة «رحمها الله» [٢]. مع أنها كانت معه في غزوة الحديبية أيضا .. و لنا وقفه مع هذا الأمر بالذات:
فإنه إذا كان «صلی الله عليه و آله» يقرع بين نسائه، لتعيين التي تخرج معه في سفره كما يدعون، فإن القرعة تكون قد وقعت على أم سلمة مرتين ..
و إذا كان الله تعالى يسدد نبيه «صلی الله عليه و آله»، لتصيب قرعته ما يحبه الله تعالى، أو ما فيه مصلحة لرسول الله «صلی الله عليه و آله»، فإن هذا يدل على اجتماع هذين الأمرين معا في حق أم سلمة رضوان الله تعالى عليها؛ فإن هذه المرأة الفاضلة، و التي هي أفضل نساء النبي «صلی الله عليه و آله» بعد خديجة، كان الله يحبها و كانت المصلحة تقضي بأن تكون هي دون سواها معه في غزوتين هما من أخطر ما مر برسول الله «صلی الله عليه و آله» و بال المسلمين، و أشد حساسية، و يحتاج النبي «صلی الله عليه و آله» فيها إلى هدوء البال، و إلى إبعاد أي نوع من أنواع الأذى أو النكد، و المنغصات له ..

- (١) الخصال ج ١ ص ١٨٩ و ١٩٠ والإيضاح ص ٥٤١ و البحار ج ٢ ص ٢١٧ و ج ٢٢ ص ١٠٢ و ج ٢٤٢ ص ٦٤٠ عن الخصال و ج ١٠٨ ص ٣١ و معجم رجال الحديث ج ٤ ص ١٥١ و ج ١١ ص ٧٩ و مستدرک سفينة البحار ج ٩ ص ٨١.
- (٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣١ و سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٤٢ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٢.
- الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٨٢:
و كما كان واضحأ أنه: وَ مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لَا - مُؤْمِنَةٌ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ .. «١» بل لا بد من الطاعة و الإنقياد.

فإن من الواضح أيضا: أن لا حق للنساء بمرافقه أزواجهن في السفر من الناحية الشرعية، و يستطيع الزوج أن يختار أيتهن شاء لمرافقته .. و لكن الرسول «صلی الله عليه و آله» التزم بالقرعة بينهن.

فذلك يعني: أنه قد جعل لهن ما يشبه الحق، رفقا منه بهن، و عطفا منه عليهن ..

و إنما جعل «صلی الله عليه و آله» طريقة للتعيين - مع علمه بأن الله تعالى هو الذي يتولى تسديده، و هو الذي يختار له - من أجل تسكين خواطهن، و عدم إثارة أي من المشاعر السلبية لديهن، حتى لو كن يظلمن أنفسهن و غيرهن، و يظلمن رسول الله «صلی الله

عليه و آله» أيضا في ذلک ..

ولو لا- ما ذكرنا، لأمكن أن يقال: لقد كان بإمكانه «صلى الله عليه و آله» أن لا يخرج معه منهن أحداً، أو أن يخرجهن في أسفاره بصورة متواالية، وفق تراتبية القسم والليلة لهن. أو وفق قرعه تحديد هذه التراتبية.

إحساس يهود المدينة بالخطر:

قال الصالحي الشامي:

ولما تجهز رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» وَالنَّاسُ، شقَّ عَلَى يَهُودِ الْمَدِينَةِ الَّذِينَ هُمْ مَوَادِعُ رَسُولِ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، وَعَرَفُوا أَنَّهُ إِنْ دَخَلَ

(١) الآية ٣٦ من سورة الأحزاب.

الصحيح من السيرة النبوية الأعظم، مرتضى العاملی، ج ۱۷، ص ۸۳:
خير أهلك أهل خير، كما أهلك بنی قينقاع، و النضیر، و فریظة

و لم يبق أحد من يهود المدينة له على أحد من المسلمين حق إلا لزمه، و طالبه به. و عن ابن أبي حدرد، بسنده صحيح: أنه كان لأبي الشحم اليهودي خمسة دراهم. و لفظ الطبراني، و الواقدي: أربعة دراهم، في شعير أخذه لأهله فلزمته.

فقال: أجلنى، فإني أرجو أن أقدم عليك فأقضيك حكك إن شاء الله، قد وعد الله - تعالى - نبيه أن يغنمك خير.

فقال أبو الشحم حسدا و بغيأ: أتحسبون أن قتال خيابر مثل ما تلقون من الأعراب؟ فيها:- و التوراة- عشرة آلاف مقاتل.
و ترافقا إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله»، فقال رسول الله «صلى الله عليه و آله»: «أعطيه حقه».

قال عبد الله: و الذى بعثك بالحق ما أقدر عليها.

قال: أَعْطَهُ حَقَّهُ.

قال: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» إِذَا قَالَ: ثَلَاثَةٌ لَمْ يَرَاجِعُ.

قال عبد الله: فخررت، فبعث أحد ثوبي بثلاثة دراهم، وطلبت بقية حقه، فدفعت إليه، ولبست ثوبي الآخر. وأعطاني ابن أسلم بن حريش - بفتح الحاء وكسر الراء - ثوبا آخر.

و لفظ الطبراني: فخرج به ابن أبي حدرد إلى السوق، و على رأسه عصابة، و هو يأتمر بمئر، فتنزع العمامة عن رأسه فأتمر بها، و نزع البردة فقال: اشتري مني هذه، فباعها منه بالدرارهم، فمررت عجوز فقالت: ما لك يا

الصحيح من السيرة النبوية الأعظم، مرتضى العاملی، ج ۱۷، ص ۸۴:
صاحب رسول الله «صلی اللہ علیہ و آله»؟ فأخبرها.

فقالت: ها دونك هذا البرد، فطرحته عليه.

فخرجت في ثوبين مع المسلمين، وقلت لـالله تعالى- من خير، وغنمته أمرأة بينها وبين أبي الشحم قرابة، فبعثتها منه «أ». ونقول:

١- إن يهود المدينة قد جربوا حظهم في الحرب مع رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» و رأوا بأم أعينهم كيف أن الله تعالى نصره عليهم .. و عرفوا مسبقاً نتائج حركته باتجاه خير .. و قد كانت ردة الفعل لديهم غريبة و عجيبة، من حيث إنها اقتصرت على السعي لحفظ أموالهم مهما كانت زهيدة، حتى ما كان بمقدار أربعة دراهم في شعير، فصاروا يلحون بمطالبة غرمائهم، و يلزمونهم بدفعها، و

كأنهم يظنون: أن انتصار المسلمين في خيبر سوف ينشأ عنه ضياع تلك الأموال ..

و ربما كان المحفز على تفكيرهم هذا هو: اعتقادهم أن ضعف و حاجة المسلمين إليهم، و حاجتهم إلى تسكين الأوضاع، التي كانت دقيقة و حساسة بسبب القوة الضاربة التي كانت لليهود في المنطقة، هو الذي يفرض على المسلمين إلى الوفاء بالعهود، و قضاء الديون.

(١) سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١١٥ و ١١٦ عن الواقدي عن شيوخه، وعن أحمد، و الطبراني، و مسند أحمد ج ٣ ص ٤٢٣ و مجمع الروايد ج ٤ ص ١٢٩ و الطبراني في المعجم الصغير ص ٢٣٤ و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٦٣٤ و ٦٣٥، و راجع: نيل الأوطار ج ٩ ص ١٨٢ و فيض القدير ج ٥ ص ١٩٥ و تاريخ مدينة دمشق ج ٢٧ ص ٣٤٣ و أسد الغابة ج ٣ ص ١٤٢.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٨٥

فهم قد قاسوا المسلمين على أنفسهم، فإن هذا بالذات هو طريقة و ديدن اليهود في التعامل مع الآخرين، وهذه هي معايرهم وأساليبهم حيث إنهم يخضعون لقوء المال، أو لقهر السلطان، أو سيمارسون مكرًا و استدراجاً، أو ما إلى ذلك.

و قد فاتهم أن المسلمين - حتى العاديين منهم - إنما يتعاملون معهم و مع غيرهم بالمبادئ و القيم، و بموجبات الأخلاق و الذم.

و لقد صدق الذي قال: و كل إباء بالذى فيه ينضح.

-٢- و رغم خوف اليهود الشديد من أن يكون مصير أهل خيبر مثل مصير بنى قينقاع و النصیر و قريظة، وقد رأوا بأم أعينهم، كيف أن المسلمين قد انتصروا على أعدائهم، رغم كثرة العدد، و حسن العدة لدى أولئك الأعداء، مع قلة في العدد و ضعف في العدة في جانب المسلمين.

و قد تكرر هذا النصر أكثر من مرة و مرتين، فلا مجال لأن يتوهم أحد أن الصدفة هي التي فرضته، بل هو سنة إلهية، و لطف رباني أجراه الله على أيديهم، و لهج به القرآن، و أصبح تشريعاً يفرض على المسلمين الالتزام بمقتضياته. نعم، رغم ذلك كله، فإن اليهود توهموا: أن كثرة العدد سيكون لها شأن في مسار الحرب، و مصير القائمين بها.

إجراءات في الطريق إلى خيبر:

و قال المؤرخون أيضاً:

و جاء أبو عبس ابن جبر، فقال: يا رسول الله، ما عندى نفقه، ولا زاد، ولا ثوب أخرج فيه، فأعطاه رسول الله «صلى الله عليه و آله» شقة سنبلانية:

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٨٦

(جنس من الغليظ، شبيه بالكري巴斯).

قال سلمة: خرجنا مع النبي «صلى الله عليه و آله» إلى خيبر، فسرنا ليلاً، فقال رجل من القوم، لعامر بن (ستان) الأكوع: ألا تسمعنا من هنیهاتك؟ و كان عامر رجلاً شاعراً، فنزل يحدو بال القوم، يقول:

اللهم لو لا أنت ما اهتدينا لا تصدقنا و لا صلينا

فاغفر فداء لك ما اتقينا و ألقين سكينة علينا

و ثبت الأقدام إن لاقينا إنا إذا صبح بنا أتينا

و بالصائح عولوا علينا

فقال رسول الله «صلى الله عليه و آله»: «من هذا السائق؟»؟

قالوا: عامر بن الأكوع.
قال: «يرحمه الله».
وفي رواية: «غفر لك ربك».
قال: و ما استغفر رسول الله «صلى الله عليه و آله» لانسان يخصه إلا استشهاد.
فقال عمر، وهو على جمل: وجبت يا رسول الله، لو لا أمتعدنا بعامر.
وفي نص آخر: أن النبي «صلى الله عليه و آله» هو الذي طلب ذلك من عامر، فقال عامر: يا رسول الله، قد تولى قوله. أى الشعر.
فقال له عمر: اسمع، وأطع. فنزل يرتज الخ .. ١.

(١) راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣١ و راجع: المغازى للواقدى ج ٢ ص ٦٣٨ و ٦٣٩ و سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١١٦ و في
الهامش: و أخرجه البخارى ج ٧ ص ٥٣٠ (٤١٩٦) و أخرجه مسلم ج ٣ ص ١٤٢٧ (١٢٣ / ١٨٠٢).
الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٨٧
وروى الحارث بن أبي أسماء، عن أبي أمامة. و البيهقى عن ثوبان: أن رسول الله «صلى الله عليه و آله» قال في غزوة خيبر: «من كان
مضعفاً أو مصعباً فليرجع». و أمر بلا فنادى بذلك، فرجع ناس، و في القوم رجل على صعب، فمر من الليل على سواد فنفر به فصرعه، فلما جاؤوا به رسول الله
«صلى الله عليه و آله» قال: «ما شأن صاحبكم؟». فأخبروه، فقال: «يا بلال، ما كنت أذنت في الناس، من كان مضعفاً أو مصعباً فليرجع؟»
قال: نعم. فأبى أن يصلى عليه.
زاد البيهقى: و أمر بلا فنادى في الناس: «الجنة لا تحل ل العاص» ثلاثة ١.
قال محمد بن عمر: و بينما رسول الله «صلى الله عليه و آله» في الطريق في ليلة مقمرة، إذ أبصر رجلاً يسير أمامه عليه شيء يبرق في
القمر، كأنه في شمس و عليه بيضة، فقال رسول الله «صلى الله عليه و آله»: «من هذا؟». فقيل: أبو عبس بن جبر.
فقال رسول الله «صلى الله عليه و آله»: «أدر كوه». قال: فأدر كونى فحبسونى، فأخذنى ما تقدم و ما تأخر، فظنت أنه قد

(١) سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١١٦ و ١١٧ و في هامشه قال: أخرجه البخارى ج ٧ ص ٥٣٠ (٤١٩٦) و أخرجه مسلم ج ٣ ص
١٤٢٧ (١٢٣ / ١٨٠٢)، و البيهقى في الدلائل ج ٤ ص ٢٠١ و راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣١ و ٣٢ و ٥٣ و ٥٤ و البخارى ج ٢١ ص ٢ و
٣ و بغية الباحث ص ٩٩ و غريب الحديث ج ١ ص ٧١٧ و النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ج ٣ ص ٢٩.
الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٨٨

أنزل في أمر من السماء، فجعلت أذكر ما فعلت حتى لحقني رسول الله «صلى الله عليه و آله»، فقال: «ما لك تقدم الناس لا تسير
معهم؟». قلت: يا رسول الله، إن ناقتي نجيبة.
قال: فأين الشقيقة التي كسوتك؟
قلت: يا رسول الله، بعثها بثمانية دراهم، فتزودت بدرهمين و تركت لأهلي درهماً، و ابتعت هذه البردة بأربعه دراهم.

فتبع رسول الله «صلى الله عليه و آله» ثم قال: «أنت و الله يا أبو عبس و أصحابك من الفقراء. و الذى نفسى بيده، لئن سلمتم و عشتم قليلاً ليكثرن زادكم، و ليكثرن ما تتركون لأهلكم، و لتكتثرن دراهمكم و عيدهكم، و ما ذلك لكم بخیر». قال أبو عبس: فكان والله كما قال رسول الله «صلى الله عليه و آله».

قال سويد بن النعمان: إن رسول الله «صلى الله عليه و آله» لما وصل إلى الصهباء- و هي أدنى خير- صلى العصر، ثم دعا بالأزواد فلم يؤت إلا بالسويق، فأمر به فتري، فأكل رسول الله «صلى الله عليه و آله» و أكلنا معه. ثم قام إلى المغرب، فمضمض و مضمضنا، ثم صلى، ولم يتوضأ. رواه البخاري «١» و البيهقي.

(١) سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١١٧ و في هامشه عن البخاري ج ٧ ص ٥٢٩ (٤١٩٥) و المغازى للواقدى ج ٢ ص ٦٣٥ و ٦٣٦ و راجع: الموطأ لمالك ج ١ ص ٢٦ و مسند أحمد ج ٣ ص ٤٦٢ و عن صحيح البخاري ج ١ ص ٥٩ و ج ٤ ص ١٣ و ج ٥ ص ٧٢ و ج ٦ ص ١٩٨ و السنن الكبرى للبيهقي ج ١ ص ١٦٠ و المصنف للصناعي ج ١ ص ١٧٨ عن البخاري من طريق مالك و الحميدى الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٨٩

زاد محمد بن عمر: ثم صلى بالناس العشاء، ثم دعا بالأدلاء، فجاء حسيل بن خارجة، و عبد الله بن نعيم الأشعري، فقال رسول الله «صلى الله عليه و آله» لحسيل: يا حسيل: امض أمامنا حتى تأخذنا صدور الأودية، حتى تأتى خير من بينها و بين الشام، فأحول بينهم و بين الشام، و بين حلفائهم من غطفان».

فقال حسيل: أنا أسلك بك، فانتهى به إلى موضع له طرق، فقال: يا رسول الله، إن لها طرقاً تؤتي منها كلها.

فقال رسول الله «صلى الله عليه و آله»: «سمها لى». و كان رسول الله «صلى الله عليه و آله» يحب الفأل الحسن، و الاسم الحسن، و يكره الطيرة، و الاسم القبيح.

فقال: لها طريق يقال لها: حزن، و طريق يقال لها: شاش، و طريق يقال لها: حاطب، فقال رسول الله «صلى الله عليه و آله»: «لا تسلكها». قال: لم يبق إلا طريق واحد يقال له: مرحباً، فقال رسول الله «صلى الله عليه و آله»: «اسلكها» «١».

عن ابن عينه، و شرح معانى الآثار ج ١ ص ٦٦ و صحيح ابن حبان ج ٣ ص ٤٣٢ و المعجم الكبير ج ٧ ص ٨٧ و كنز العمال ج ٩ ص ٥٠٥ و أسد الغابة ج ٢ ص ٣٨١ و معجم ما استعجم ج ٣ ص ٨٤٤.

(١) سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١١٧ و ١١٨ و المغازى للواقدى ج ٢ ص ٦٣٩ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٢ الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٩٠ و نقول:

إن لنا هنا وقوفات هي التالية: الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى ج ٩٠ ١٧ لمن الشعر المتقدم؟ ص : ٩٠ قد ذكرت الرواية المتقدمة: أن الشعر المذكور: «اللهم لو لا الله ما اهتدينا» إنما هو لعامر بن الأكوع.

مع أنه قد روی في الصحاح، و منها كتاب البخاري، في كتاب الجهاد: أنه من شعر عبد الله بن رواحة «١».

قال الصالحي الشامي: «فيحتمل أن يكون هو و عامر توارداً على ما توارداً عليه، بدليل ما وقع لكل منهما مما ليس عند الآخر، و استعan عامر ببعض ما سبقه إليه ابن رواحة» «٢».

و يحتمل أيضاً: أن يكون عامر قد أخذه كله من ابن رواحة؛ لأنه مجرد حاد، يختار ما يناسبه من الحداء، و لو كان قد نطق به أو نظمه غيره.

الخطأ في مضمون شعر عامر:

هذا، ولا معنى لقوله في ذلك الشعر مخاطبًا الله تعالى: «فاغفر فداء لك ما اتقينا»، إذا لا معنى لأن يفدي أحد الله بالنفس، لأن ذلك يستبطن توقع حلول مكرور بالمقدي - ليجعل المتكلّم نفسه فداء له من ذلك، وهذا

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٥٣ و البخاري (المغازي ص ٣٨) و (الأدب ص ٩٠) و صحيح مسلم (الجهاد ص ١٢٣) و مستند أحمد ج ٤ ص ٤٨.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٥٣.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٩١
يستطعن جواز الفنا على الله تعالى، وأنه لو لم يحصل الفداء له، لأمكن أن تحل المصيبة به، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ارتجاز عامر لرسول الله صلى الله عليه و آله:

و قد يقال: إن الذي كان يرتجز لرسول الله «صلى الله عليه و آله» في أسفاره هو البراء بن مالك، لا عامر بن الأكوع.
ويجاب: بأن المقصود: أنه كان يرتجز له في غالب أسفاره، أو في بعضها كما صرحت به بعض الروايات «١».

الاستغفار أمارة الشهادة:

و قد ذكرت الروايات المتقدمة: أن عمر بن الخطاب قد خاف على عامر، حتى قال لرسول الله «صلى الله عليه و آله»: لو لا أمعتنا عامر. و ذلك لأن النبي «صلى الله عليه و آله» كان إذا استغفر لإنسان استشهد.
غير أنها نقول: إن ذلك لا يمكن قبوله:

فأولاً: لم يثبت: أنه «صلى الله عليه و آله» استغفر لعامر، فقد اختلفت الروايات في ذلك، حيث يقول بعضها: إنه «صلى الله عليه و آله»
قال: يرحمه الله.

ثانياً: لنفرض: أنه قد ثبت استغفار النبي «صلى الله عليه و آله» لعامر، ولكن قوله: إنه ما استغفر «صلى الله عليه و آله» لإنسان يخصه
إلا استشهد ..

لا يمكن أن يصح، لأن كتب الحديث والتاريخ مشحونة بالأخبار المصرحة باستغفاره «صلى الله عليه و آله» للكثيرين من صحابته،
لم يصبهم

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٢.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٩٢.

شيء، بل عاشوا بعده عشرات السنوات، فراجع:

١- استغفاره «صلى الله عليه و آله» لأبي بكر «١».

٢- واستغفاره لأبي موسى الأشعري «٢».

٣- واستغفاره «صلى الله عليه و آله» لحذيفة، ولأم «٣».

٤- واستغفر للمقصرين في الحديبية ..

و غير ذلك ..

لا تحل الجنة ل العاص:

إن هناك أمورا قد يستهين الإنسان بها، فلا يطع الأوامر الصادرة بشأنها، زعما منه: أنه قادر على تجاوز سلبياتها ..
غير أن هذا المنطق: مرفوض في الإسلام جملة و تفصيلا، لأكثر من جهة ..
فأولاً: ليس بالضرورة أن يكون ما اعتقد أنه المبرر لقرارات القيادة هو المبرر الحقيقي لها فعلا؛ لأن للقيادة آفاقها، و علاقاتها، و
وسائلها التي تمكّنها من المواجهة الصحيحة، من خلال رصد الأمور بصورة أدق و أشمل، يمكنها من وضع كل الأمور في مواضعها
الصحيحة و في الدائرة الأوسع في المحيط الذي تتحرك فيه، ضمن سلسلة من الدواعي و المقتضيات التي ربما

(١) مسنند أحمد ج ٥ ص ٦٥ و عن صحيح البخاري (فضائل أصحاب النبي ص ٥).

(٢) عن صحيح البخاري (دعوات ص ١٩ الترجمة ص ٤٩ المغازى ص ٥٥) و صحيح مسلم (فضائل الصحابة ص ١٦٥).

(٣) مسنند أحمد ج ٥ ص ٣٩١ و ٣٩٢.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٩٣:

لا تخطر للآخرين على بال، أو لا تمر لهم في خيال، بحكم محدودية نظرتهم، و ضآلّة حجم معارفهم، و قلة اطلاعهم على ذلك كله ..
ثانياً: إنه حين يكون لدى كثيرين من الناس مراكب تصعب السيطرة عليها، و تحتاج إلى بذل جهد، و ربما إلى تعاون، و تعاضد،
فذلك معناه إشغال الناس عن قضيّتهم الأساس، في شأن داخلي غير ذي جدوى، تصعيّد فيه الجهود، التي يفترض توفيرها لتصريف في
سبيل ما هو أهم، و نفعه أعم، هذا عدا عما ينشأ عن ذلك من تشويش في الفكر، و إخلال بالنظام العام.

ثالثاً: إن عدم صلاة رسول الله «صلى الله عليه و آله» على ذلك الذي لم يمثل للأمر، قد أظهر أن خلاف هذا الرجل لم يكن ناشئا
عن مجرد حالة عفوية، أو تلبية لرغبة شخصية، أو نتيجة غفلة حدثت له، أو نحو ذلك.

بل كان قاصدا لهذا الخلاف، عامدا إليه، و ربما يصل ذلك إلى حد المؤامرة الهدافـة إلى إحداث بلبلـة، و تشويش، و إخلال.

بالإضافة إلى: إسقاط حرمة الأوامر النبوية، و تجربـة الناس على خلافه «صلى الله عليه و آله»، و عصيان أوامره، و الاستهانـة بتوجيهاته ..

و لعل هذا هو السبب في: أنه «صلى الله عليه و آله» قد رفض أن يشرفه بالصلاـة عليه.

و رابعاً: إن الإعلـان بطريقـة النداء في الناس: لا تحل الجنة ل العاص، لابد أن يكون له تأثيرـه القوى في ردع الناس عن محاـكاـة ذلك
العصـى في فعلـه، و بالتالي فرض الالتزام بالنـظام، و تنفيـذ القرارات الصـادـرة، بـانضـباطـة تـامـة، و بدـقة و أـمانـة.

الصـحيح من السـيرة النبي الأـعظم، مرـتضـى العـاملـى، ج ١٧، ص: ٩٤:

الكثـرة لا خـير فيها:

و قد ذكرت الروايات قصة أبي عبس مع رسول «صلـى الله عليه و آله» ..

و وجـدـنا أنها تـشير إلى عـدـة أمـورـ، نـذـكـرـ منها:

١- أنه «صلـى الله عليه و آله» قد بـادر إلى السـؤـالـ عن حالـة رـأـىـ أنها قد خـالـفتـ النـظـمـ الطـبـيعـيـ لـمسـيـرـةـ الجـيشـ، و هـىـ انـفـرـادـ أبيـ عـبسـ

عن الناس.

و تقدّمه عليهم.

و النبي «صلى الله عليه و آله»، وإن لم يكن قد ألزم الناس برعایة نظم عينه، ولكن ذلك لا يعني السماح بالحالة التي قد تبدو نشازاً بحسب ما جرت عليه طریقة الناس في حالات كهذه ..

و جاء تفسير أبي عبس كافياً و ربما مرضياً لرسول الله «صلى الله عليه و آله»؛ فإن الاستعانة بالناقة النجيبة يريح رسول الله «صلى الله عليه و آله»، في مسیر كهذا ..

٢- ثم أتبع «صلى الله عليه و آله» سؤاله الأول بسؤال آخر يفضي إلى إعطاء توضیحات عن لباس أبي عبس المميز، الذي يشير أكثر من شبهة و سؤال عن مكونات أبي عبس، و عن رواده و مصادره. فالبريق القوى، يضخم التصورات و يوهم: أن أبو عبس قد أصاب كنزًا، أو استولى على ثروة بطريقة قد تكون مشروعة، و قد لا تكون !!

و مهد رسول الله «صلى الله عليه و آله» للإجابة المقنعة، و القاطعة لكل احتمال، و ظن و شبهة، حين ضمن سؤاله تعريف الناس بمصدر المال. حتى لم يعد أبو عبس بحاجة إلى تقديم إثبات بذلك، بل اقتصرت مهمته على بيان موارد مصارف ذلك المال، و صحة تصرفه فيه .. و بذلك يكون «صلى

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٩٥

الله عليه و آله» قد جنبه غضاضة الإحساس بأن ثمة تهمة تموج في نظرات الناس إليه، و أنه يحتاج إلى إعداد وسائل دفعها عن نفسه ..

٣- ثم إنه «صلى الله عليه و آله» قد تقدم خطوة أخرى باتجاه حسم الأمر لصالح أبي عبس، حين أعلن براءة أبي عبس من أيّة شبهة من هذا القبيل، و بين أنه يعيش حالة الفقر و الحاجة حقاً، ليس وحده، و إنما هو و أصحابه الفقراء.

٤- ثم شفع ذلك بالإخبار عن أمر غبي، من شأنه: أن يفرح الكثيرين من الناس من طلاب الدنيا، حيث أخبره: أنه هو و أصحابه، إن سلموا و عاشوا فسيكثر زادهم، و ما يتربّونه لأهليهم، و ستكثر دراهمهم و عبيدهم.

و قد تضمن هذا الخبر الإشارة إلى أمرین:

أحدهما: أنه قد إشار إلى احتمال سلامتهم و بقائهم على قيد الحياة، و لكنه لم يجزم لهم بذلك.

حيث قال: لئن سلمتم و عشتم، و ذلك لكي يعطيم الفرصة لإخلاص النيّة في الجهاد، و ليتمكنم من الإقدام على ما فيه احتمالات الشهادة، و لا يحرّمكم من السعي لنيل هذا المقام الجليل ..

الثاني: أنه قد بين لهم: أن تحقيق ما يخبرهم به لا ينبغي أن يكون من أسباب اغترارهم بأنفسهم، و تخيل أن ذلك عطية و كرامة إلهية لهم، بسبب رفعه مقامهم في طاعته، و علو درجتهم في الإخلاص له ..

بل ذلك امتحان و ابتلاء، لا بد لهم من أن يذروا منه، حتى لا يقعوا في فخ الركون إلى الدنيا، و الاغترار بزخارفها، و بهارجها ..

و بذلك يكون قد أعطاهم القاعدة الصحيحة في التعامل مع الكثارات

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٩٦

الدنيوية، و منحهم النظرة الصائبة، و التقييم السليم لمثل هذا الأمر الخطير ..

أكذوبة الفتاة الحائض:

و رووا: أن إحدى النساء اللواتي حضرن خير قالت: فأردفني رسول الله «صلى الله عليه و آله» على حقيقة رحله، قالت: فلما كان الصبح، و أناخ راحلته، و نزلت عن حقيقة رحله، و إذا بها دم مني. و كانت أول حيضة حضرتها.

قالت: فتقبضت إلى الناقة، و استحبست.

فلما رأى رسول الله «صلى الله عليه و آله» حالى، قال: ما لك، لعلك نفست؟
قلت: نعم.
قال: فأصلحى من نفسك، ثم خذى إماء من ماء فاطر حى فيه ملحًا، ثم أغسلى ما أصاب الحقيقة من الدم، ثم عودى لمرتلوك.
قالت: فكنت لا أظهر من حيضة إلا جعلت فى طهرى ملحًا. وأوصت أن يجعل ذلك فى غسلها حين ماتت «١».
و نقول:

إننا نشك فى صحة هذه الرواية، بل لا نرتاب فى كذبها، و ذلك لما يلى:
أولاً: لا معنى لجعل الملح فى طهرها، و لا فى غسلها، فإن غسل الدم

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٥٦ و السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٨٧ و مسنن أحمد ج ٦ ص ٣٨٠ و سنن أبي داود ج ١ ص ٧٨ و السنن الكبرى للبيهقي ج ٢ ص ٤٠٧ و البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٣٢ و السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٨٠٤
الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرضى العاملى، ج ١٧، ص ٩٧:
الذى أصاب حقيقة الرحل بالماء و الملح شيء، و جعله فى طهرها شيء آخر ..
على أننا لا ندرى داعيا لوضع الملح فى الماء، فإن الماء يكفى لغسل حقيقة الرحل ..
ثانياً: إنه لا ريب فى أن بلوغ الفتاة إنما هو بإتمامها تسع سنين ..
و الفتيات إنما يحضرن - غالباً - في سن الثالثة عشرة.

و من الواضح: أن النبي «صلى الله عليه و آله» لا يمكن أن يردد خلفه من تكون في هذه السن، أو أقل من ذلك أيضاً ..
و قد تحدثنا عن موضوع بلوغ الفتاة بشيء من التفصيل في غزوة بنى قريظة، فراجع ..

ثالثاً: إن الكل يعلم: أن علياً «عليه السلام» كان لا يلقى السلام على الشابة من النساء «١» فكيف برسول الله «صلى الله عليه و آله» «٢».

(١) راجع: الكافي ج ٥ ص ٥٣٥ و من لا يحضره الفقيه ج ٣ ص ٤٦١ و الوسائل (ط دار الإسلامية) ج ٨ ص ٤٥٨ و مستدرك الوسائل ج ٨ ص ٣٧٣ و ج ١٤ ص ٢٩٠ و مكارم الأخلاق ص ٢٣٥ و مشكاة الأنوار للطبرسي ص ٢٤٧ و البحار ج ١٠١ ص ٣٧ و جواهر الكلام ج ١١ ص ١١٨ و ج ٢٩ ص ٩٩ و جامع المقاصد ج ١٢ ص ٣٤ و مسائل الأفهام ج ٧ ص ٥٦ و مجمع الفائد للمحقق الأردبيلي ج ٢ ص ٤٩٥ و ج ٣ ص ١٢١ و الحدائق الناضرة ج ٩ ص ٨٣ و مستند الشيعة ج ١٦ ص ٦١.

(٢) راجع: الكافي ج ٢ ص ٦٤٨ و البحار ج ٤٠ ص ٢٣٥ و ج ١٦ ص ٢٢٩ و الوسائل (ط دار الإسلامية) ج ٨ ص ٤٥٢ و في هامشه عن من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٥٢.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرضى العاملى، ج ١٧، ص ٩٨:
ورد النهى عن الجلوس في مجلس تقوم عنه المرأة حتى يبرد «١».

فهل يرضى بأن يردد خلفه فتاة في سن من تحيسن؟!

رابعاً: ما معنى: أن يردد النبي «صلى الله عليه و آله» هذه الفتاة الأجنبية عنه، و لماذا لم يردد زوجته أم سلمة، أو أيها من زوجاته في أية غزوة من الغزوات؟!

و هل لم يوجد من يتبع بارتداد هذه الفتاة سوى رسول الله «صلى الله عليه و آله»؟!

و من كان يردد أم زياد الأشجعى، التي خرجت إلى خير في خمسة نسوة ليداوين الجرحى، و لغير ذلك، فأسمهم لهن تمرا! «٢».
بل لقد حضر خير عشرون امرأة.

فلماذا لم يجعل هذه الفتاة معهن؟! أو مع زوجته أم سلمة في هودجه؟!
 خامساً: هل ارتدفها «صلى الله عليه و آله» على ناقته، أم على فرسه، أم على حماره؟!
 فقد تقدم: أنهم قد اختلفوا في أنه: هل كان النبي «صلى الله عليه و آله» راكبا فرسا، أم حمارا مخطوما برسن من ليف، و تحته أكاف من ليف!!
 وقد ذكرنا ما يدل: على هذا و ذاك فيما يأتي تحت عنوان: «وصول النبي «صلى الله عليه و آله» إلى خير».

(١) راجع: الوسائل (ط دار الإسلامية) ج ١٤ ص ١٨٥ و في هامشه عن الكافي (الفروع) ج ٢ ص ٧٧ و عن من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ١٨٣.

(٢) مسند أحمد ج ٥ ص ٢٧١ و في التراتيب الإدارية ج ٢ ص ٥١١ عن أبي داود: حنين بدل خير. و لعله تصحيف؛ لأجل عدم وجود نقط للحرروف في تلك الأزمنة.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٩٩
 وقد رجعوا: أنه قد ركب الحمار في الطريق إلى خير، ثم ركب الفرس، حين نشب القتال ..
 وأما الحديث الذي صرخ: بأن الناقة مأمورة، فلا دلالة فيه على أنه «صلى الله عليه و آله» كان راكبا عليها.
 و حتى لو دل على ذلك، فإنه يصبح متعارضا مع حديث ركوبه للحمار، أو الفرس، حسبما أوضحتناه ..
 وفي جميع الأحوال نقول:

إذا كان راكبا للفرس، فلماذا لا تركب هي على الناقة، أو الحمار؟ و إن كان راكبا على الحمار فيمكن أن تركب هي الناقة أو الفرس، و كذا لو كان قد ركب الناقة، فالحمار و الفرس صالحان للركوب، فلا حاجة - إلى إرداها خلفه «صلى الله عليه و آله» ..

اختيار الطريق إلى خير:

و عن حديث طلب النبي «صلى الله عليه و آله» من الدليل: أن يأخذ بهم في صدور الأودية، حتى يأتي بهم إلى خير من جهة الشام، نقول:

- ١- إنه «صلى الله عليه و آله» يكون بذلك قد تحاشى الظهور على قمم الجبال، و على جوانبها التي تظهر للرأي البعيد، لكنه يتحاشى رؤية الناس لجيشه الضارب، و يكون في مawai عن موقع الرصد التي ربما يكون العدو قد أقامها في الموضع المشرف ..
- ٢- إنه «صلى الله عليه و آله» قد اختار أن يسلك الدليل طريقا تؤدي بهم إلى خير من جهة الشام، و هو الطريق الذي يشعر اليهود بالأمن من

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٠٠
 جهته، و لا يشعرون بالحاجة إلى رصده بدقة و بفعالية ..

٣- إنه «صلى الله عليه و آله» قد أوضح أيضا: أنه يريد أن يقطع عن اليهود المدد من جهة الشام، سواء أكان المدد مالا، أم رجالا، أم عتادا، أم طعاما، أم غير ذلك.

٤- إنه «صلى الله عليه و آله» يريد أيضا: أن يحول بين اليهود و بين حلفائهم من غطفان، و سألي: أن هذا هو ما حصل بالفعل، و ذلك حين جاءت غطفان لمعونتهم، ثم تراجعت خوفا من أن يتمكن «صلى الله عليه و آله» من مهاجمة ديارهم و أهلיהם.

التطيير و التفاؤل:

وَاللَّافِتُ هُنَا قَوْلُهُمْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» قَدْ طَلَبَ مِنَ الدَّلِيلِ أَنْ يُسَمِّيَ لَهُ الْطَّرِقَ إِلَى الْخَيْرِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يُحِبُّ الْفَأْلَ
الْحَسَنَ، فَسَمَاهَا لَهُ، فَاخْتَارَ أَحَدَهَا.

أولاً: إن من الواضح: أن طلب تسميتها ليس بالضرورة أن يكون من أجل أن يتفاعل بأسمائها، فإن ذلك بعيد عن شأن النبي «صلى الله عليه و آله» و مقامه. وقد تكلمنا عن بعض ما يرتبط بذلك في جزء سابق من هذا الكتاب.

ثانياً: إن من جملة الطرق التي سماها الدليل طريقاً باسم «شاس» وليس في هذه الكلمة التفاؤل، أو التشاوُم.

ثالثاً: من أين ثبت لهم: أنه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» قد رفض السير في تلك الطريق من منطلق التشاوُم والتَّفَاؤل، فقد يكون الغرض هو:

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضي العاملی، ج ۱۷، ص ۱۰۱

١- أن يظهر خبرة الدليل، وأنه قادر على إنجاز المهمة التي أوكلت إليه.

٢- أن يوجهه إلى الطريقة الأكثـر أمناً، و الأشد ملاءمة للأهداف المتـ خـاء.

٣- أن يعرف الناس بأنه «صلي الله عليه و آله» عالم بمسالك تلك البلاد، وإن لم يكن قد و طأتها قدمه من قبل.

لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ

روى أصحاب الكتب الستة، عن أبي موسى الأشعري، قال: أشرف الناس على واد، فرفعوا أصواتهم بالتكبير: «الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله».

فقال رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»: «أربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، إنكم تدعون سميقا قريبا، وهو معكم».

و أنا خلف دابة رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَسَمِعْنِي وَأَنَا أَقُولُ»:

لَا حُوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

فقال: «يا عيد الله بن قيس». .

قلت: ليك يا رسول الله، فداكى أبيه و أمي.

قال: «ألا أدلّك على كلمة من كنز الجنة»؟

قالت: بلى يا رسول الله، فداك أبي وأمي.

قال: «لا حول و لا قوّة إلّا بالله» (١).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٥٠ وفي هامشه عن: البیهقی ج ٢ ص ١٨٤ و ابن أبي عاصم ج ١ ص ٢٧٤ و الطبری ج ٨ ص ١٤٧ و ابن السنی (٥١٢) و عبد

^{١٠٢} الصحيح من السيرة النبوية الأعظم، مرتضي العاملی، ج ١٧، ص:

و نقول:

هناك حالات تتناسب الجماعات، و هي تواجه قضاياها الكبرى، لا يصح الانسياق معها، بل لا بد من معالجتها و التخلص منها. و من هذه الحالات: أن اجتماعها مع بعضها البعض قد يشعرها بالفورة بدرجة قد تتجاوز حدود قوتها الطبيعية، الأمر الذي يهدى لوقوعها في براثن الغفلة عن بعض التغرات التي تعانى منها .. و ربما يكون ذلك سببا في تدني مستوى قوتها بصورة كبيرة و خطيرة ..

وقد ظهر مصداق ذلك في حرب حنين، حيث تلاشت قوة المسلمين أو كادت، بسبب هذا الشعور بالذات. فقد قال تعالى: لَقَدْ نَصَرْتُكُمُ اللَّهَ فِي مَيَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حَيَّنِ إِذْ أَعْجَبْتُكُمْ كَمْ تُكْمِلُونَ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحْبَتْ ثُمَّ وَلَيْسُمْ مُدْبِرِينَ ۝ ۱).

ومن هذه الحالات أيضاً، هيمنة العقل الجماعي على تلك الجماعة، وتدنى مستوى تفكيرها ليصل إلى أضعف حالاته ..

الرازق (٩٢٤٤) وانظر البداية والنهاية ج ٤ ص ٢١٣ وراجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٣ ومسند أحمد ج ٤ ص ٤١٨ و ٤٠٢ وج ٥ ص ٢٦٥ وعن صحيح البخاري ج ٥ ص ٧٥ وج ٧ ص ١٦٩ وعن صحيح مسلم ج ٨ ص ٧٤ ومجمع الزوائد ج ١٠ ص ٩٨ والديبااج على مسلم ج ٦ ص ٥٩ ومسند أبي داود ص ٣٢٦ ومنتخب مسند عبد بن حميد ص ١٩٢ والسنن الكبرى للنسائي ج ٤ ص ٣٩٨ وج ٦ ص ٧ وكتاب الدعاء للطبراني ص ٤٧٢ وسير أعلام النبلاء ج ٨ ص ٣٣٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٠٤ .
(١) الآية ٢٥ من سورة التوبة.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ١٠٣:
ويزيد هذه الحالة حدة فيهم، تعالى الصرخات، واحتلاط الأصوات، والصخب، والعجيج والضجيج.

وهذا يفسر لنا: أمره «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» لأصحابه بأن يربعوا على أنفسهم، ويخففوا من غلوائهم، ويختضروا أصواتهم، حتى لو كانوا يجهرون بكلمة «الله أكبر».

فقد كان ثمة حاجة إلى الهدوء والتعقل، ليتمكن النظر إلى الأمور والأحجام، والقدرات بواقعية واتزان، بعيداً عن الانتفاخات والتضخيمات الصوتية وغير الواقعية ..

ثم .. إنه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» صرخ لهم بالحقيقة وطلب منهم تردیدها في عملية تلقين عفویة للنفس، وإدراك للعقل، وتلمس للوجودان، حين دلهم على كلمة هي كنز الجن، يتعلمون منها: أن قدرتهم ليست بكثرة جمعهم، ولا بجودة سلاحهم، ولا بقدراتهم الذاتية وشجاعتهم؛ إذ «لَا حُوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ».

المطلوب هو الخير لا الغنائم:

روى ابن إسحاق، عن أبي مغيث بن عمرو. و محمد بن عمر عن شيوخه، قالوا: إن رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» لما أشرف على خير - و كان وقت الصبح - قال لأصحابه: «قفوا». فوقفوا.

فقال: «اللهم رب السموات السبع و ما أظللن، و رب الأرضين السبع و ما أقللن، و رب الشياطين و ما أضللن، و رب الرياح و ما أذرلن، فإننا نسألك من خير هذه القرية و خير أهلها، و نعوذ بك من شرها و شر ما فيها. أقدموا باسم الله».

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ١٠٤:
و كان يقولها لكل قرية يريد دخولها.

ورواه النسائي، و ابن حبان عن صحيب ۱).

ونقول:

إن هذا الدعاء قد جاء ليحدث تغيراً جذرياً في أهداف هؤلاء القادمين إلى بلاد أعدائهم. إذ إن الإنسان حين يتخذ صفة المقاتل، و يعد للقتال عدته، و يحمل سلاحه، و يشرف على بلد عدوه، فإنه لا يحدث نفسه إلا بالنزال والقتال، و لا يفكر إلا بالموت أو الحياة، وبالنصر أو الهزيمة، و لا يحلم إلا بالغنائم والسبايا.

ولذلك يوقف النبي «صلى الله عليه و آله» أصحابه، ويوجههم إلى الله تعالى، ليفهمهم أنه تعالى هو المهيمن والمشرف على إيصال كل شيء إلى كماله، من حيث هو الرب المدبر الحكيم، والخير العليم، والرؤوف الرحيم، وهو القاهر فوق عباده .. فحلول هذا الجيش بهذا البلد لا ينبغي أن يكون بهدف الحصول على المغانم، والاستيلاء على البلاد والعباد.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١١٨ وقال في هامشه: أخرجه ابن خزيمة (٢٥٦٥) والبخاري في التاريخ الكبير ج ٦ ص ٤٧٢ والطبراني في الكبير ج ٨ ص ٣٩ والبيهقي في الدلائل ج ٤ ص ٢٠٤ وابن السنى (٥١٨).
و راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٢ و ٣٣ والبحار ج ٢١ ص ١ و ١٤ وج ٧٣ ص ٢٤٩ وعن مجمع البيان ج ٩ ص ٢٠٠ والإمتناع ص ٣١ و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٦٤٢ و مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٧٦ والمزار ص ٥٢ والأمان من الأخطار ص ١٣٢ ومدينة العاجز ج ١ ص ١٧٣.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٠٥.

بل يجب أن يكون الهدف هو الحصول على الخير: خير البلد و خير أهله، و تجنب الشر: شر البلد و شر ما فيه .. سواء أكان الشر من الناس، أم من غيرهم.

و يلاحظ أيضاً أن هذا الدعاء قد أظهر للداعين ولغيرهم: أن الهيمنة الإلهية كما تشمل السماوات والأرض، من حيث هي موجودات كونية، فإنها تشمل ما أظلمن، و ما أقللن من موجودات، لها وظائف و مهمات، فيهما على حد سواء ..
و أفاد أن هذه السلطة تشمل أيضاً حتى الموجودات المتمردة و الطاغية، و تشمل من وقع تحت تأثيرها .. فهو تعالى رب الشياطين و ما أضللن .. كما أنها تشمل ما له حركة و تصرف، و ما يكون محلًا للحركة و التصرف، و إن لم يكن من الموجودات العاقلة و المختارة.
 فهو رب الرياح و ما أذرين.

إذاً كانت الهيمنة لله تعالى على ذلك كله، فلا بد من أن يتوجه الناس إليه في حاجاتهم. وقد حدد رسول الله «صلى الله عليه و آله» هذه الحاجات في دعائه، بأنها الحصول على الخير، و تجنب الشر ..
ثم إنه «صلى الله عليه و آله» قال: «أقدموا باسم الله ..».

إذاً كان إقدامهم متمازجاً مع اسم الله تعالى، و ملابساً له، فلا بد أن يتزموا بخطه تعالى، و أن لا يشذوا عنه، فيكون معهم في كل حركة، و كل سكون، و كل موقف.

و ما أحوجهم إلى استحضار الله تعالى في مواقفهم هذه التي ينسى الإنسان فيها أكثر الأشياء قرباً منه، فينسى حتى الطعام و الشراب، و ينسى الأهل و الأولاد، و ينسى المال و المقام، و ينسى .. و ينسى .. و كل هذا النسيان

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٠٦.
لا ضير فيه، إذاً كان ذاكراً لله سبحانه، مستشعراً لوجوده، منسجماً معه ..
و لأجل ذلك قال لهم «صلى الله عليه و آله»: «أقدموا باسم الله ..».

ابن أبي حذر اليهود:

و ذكروا: أن عبد الله بن أبي أرسل إلى اليهود يخبرهم: بأن محمداً سائر إليكم، فخذلوا حذركم، و أدخلوا أموالكم حصونكم، و اخرجوا إلى قتاله، و لا تخافوا منه، إن عدكم كثير، و قوم محمد شرذمة قليلون، عزل لا سلاح معهم إلا قليل.
فلما علم بذلك يهود خير أرسلوا وفداً إلى عطفان يستمدونهم كما سيأتي «١».
و نقول:

إن توجيهات ابن أبي لهم، وتحريضه إياهم على التصدى لرسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» قد استند إلى عدءٍ لأمور، نشير منها إلى الأمرين التاليين:

وقد بين القرآن هذه الحقيقة في موارد كثيرة. وصرح: بأن العشرة من المسلمين قادرون على أن يغلبوا مائة، فيما لو تدرعوا بالصبر والإيمان.

(١) راجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٢ و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٣٦٤.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضي العاملي، ج ١٧، ص: ١٠٧

قال تعالى أيضاً: كُمْ مِنْ فَيْهُ قَلِيلٌ غَلَبْتُ فَيْهُ كَثِيرٌ يَادِنَ اللَّهَ .. ۝

٢- إنه قد ركز على السلاح، كعنصر حاسم في المعركة بين الإيمان والكفر.
غير أن من الواضح: أن للسلاح في نوعه وفي مقداره بعض التأثير في الحرب.

ولكن قد أثبتت الواقع أيضاً أن الكلمة الأخيرة، والفاصلة ليست له، وإنما هي للعزيمة والإيمان بالقضية، والالتجاء إلى الله سبحانه، بالإضافة إلى مفردات كثيرة من منظومة القيم، والمفاهيم، والاعتقادات، والنظرة إلى الكون وإلى الحياة، ومستوى تربية النفس، ودرجة التفاعل مع تلك القيم، ودرجات رسوخ تلك النظارات والاعتقادات في كيان الإنسان، وفي أعماق وجوده ..

غطافان تھاف، فتراضع:

أرادت غطفان، و سيدهم عينه بن حصن أن يعينوا أهل خير - و كانوا أربعة الآف - لما سمعوا بمجيئه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَيْهِمْ، فأرسلوا كنانة ابن أبي الحقيق، و هو ذلة بن قيس، في أربعة عشر رجلا إلى غطفان، يستمدونهم، و شرطوا لهم نصف ثمار خير إن غلبو على المسلمين.

فجمعوا أربعهآلاف مقاتل - كما في بعض المصادر - ثم خرجوا لاظهروا اليهود خير.

(١) الآية ٢٤٩ من سورة البقرة.

الصحيح من السيرة التي الأعظم، مرتضى العاملية، ج ١٧، ص: ١٠٨

ويقال: إن رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ»: أن لا يعنونهم على أن يعطينهم من خير شيئاً سماه لهم، وهو نصف ثمارها تلك السنة، وقال لهم: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَنِي خَيْرًا». فأبوا، وقالوا: جيراننا و حلفاؤنا.

فَلَمَّا سَارُوا قَلِيلًا سَمِعُوا خَلْفَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ حَسَا ظُنُوهُ الْقَوْمِ.
أَيْ ظُنُوا أَنَّ الْمُسْلِمِينَ أَغَارُوا عَلَىٰ أَهْلِيهِمْ، فَأَلْقَى اللَّهُ الرُّعبَ فِي قُلُوبِهِمْ.

و حسب نص الواقدي: سمعنا صائحا- ثلاث مرات- لا ندرى من السماء، أو من الأرض أهلكم بحفيء (أو حيفاء- موضع قرب المدينة)، فإنكم قد خولفتم إليهم.

فرجعوا على الصعب والذلول. أى مسرعين على أعقابهم، فاقاموا فى أهلهم وأموالهم، وخلوا بين رسول الله «صلى الله عليه وآله» وبين أهل خير.

و في رواية: سمعوا صوتا يقول: أيها الناس، أهليكم خوفتم إليهم، فرجعوا فلم يروا لذلك نباً «١». زاد في نص آخر: أنهم قالوا: «علمتنا أن ذلك من قبل الله، ليظفر محمد بيهود خير» «٢». بل ذكر بعضهم: أن عينه بن حصن قد جاء إلى خير في أربعة آلاف، فدخلوا مع اليهود في حصنون النطاء، قبل قدوم رسول الله «صلى الله عليه

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٥١ والإمتناع ص ٣١٣ وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٦٤٢ و ٦٥٠ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٢ و البحار ج ٢١ ص ٣٠ عن الخرائج والجرائح والإصابات ج ٣ ص ٢٥٤ و ٣٠١.

(٢) البحار ج ٢١ ص ٣٠ وج ٢١ ص ٣٠ والخرائج والجرائح ج ١ ص ١٦٤. الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٠٩.

و آله» بثلاثة أيام. فلما قدم رسول الله «صلى الله عليه و آله» خير أرسل إليهم سعد بن عبادة و هم في الحصن. فلما انتهى سعد إلى الحصن ناداهم: إنى أريد أكلّم عينه بن حصن.

فأراد عينه أن يدخله الحصن، فقال مرحبا: لا تدخله فيري خلل حصننا، و يعرف نواحيه التي يؤتى منها، و لكن تخرج إليه. فقال عينه: لقد أحببت أن يدخل فيري حصناته، و يرى عددا كثيرا.

فأبى مرحبا أن يدخله، فخرج عينه إلى باب الحصن.

فقال سعد: إن رسول الله «صلى الله عليه و آله» أرسلني إليك، يقول: إن الله قد وعدني خير فارجعوا، و كفوا، فإن ظهرنا عليها فلكم تمر خير سنة.

فقال عينه: إننا و الله ما كنا لنسلم حلفاءنا لشئ، و إننا لنعلم ما لك و ما معك مما ه هنا طاقة، هؤلاء قوم أهل حصنون منيعة، و رجال عددهم كثير، و سلاح. إن قمت هلكت و من معك، و إن أردت القتال عجلوا عليك بالرجال و السلاح.

ولما و الله، ما هؤلاء كفريش، و قوم ساروا إليك، إن أصابوا غررا منك فذاك الذي أرادوا و إلا انصرفوا، و هؤلاء يماكرونك الحرب و يطاولونك حتى تملهم.

فقال سعد بن عبادة: أشهد ليحضرنك في حصنك هذا حتى تطلب الذي كنا عرضنا عليك، فلا نعطيك إلا السيف، و قد رأيت يا عينه من قد حللنا بساحته من يهود يثرب، كيف مزقوا كل ممزق!

فرجع سعد إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله» فأخبره بما قال.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١١٠.

وقال سعد: يا رسول الله، لئن أخذه السيف ليسلمنهم، و ليهربن إلى بلاده، كما فعل ذلك قبل اليوم في الخندق.

فأمر رسول الله «صلى الله عليه و آله» أصحابه: أن يوجهوا إلى حصنهم الذي في غطفان، و ذلك عشية و هم في حصن ناعم، فنادي منادي رسول الله «صلى الله عليه و آله» أن أصبحوا على راياتكم عند حصن ناعم الذي فيه غطفان.

قال: فربعوا من ذلك يومهم و ليلتهم، فلما كان بعد هذه من تلك الليلة سمعوا صائحا يصيح، لا يدركون من السماء أو الأرض: يا معشر غطفان، أهلكم أهلكم!! الغوث، الغوث بحيفاء- صيح ثلاثة- لا تربة و لا مال!

قال: فخرجت غطفان على الصعب و الذلول، و كان أمرا صنعه الله لنبيه.

فلما أصبحوا أخبر كنانة ابن أبي الحقيق- و هو في الكتبة- بانصرافهم، فسقط في يديه «١».

و نقول:

١- إن قبيلة غطفان أصرت على أن تنصر اليهود، لأمررين، هما: أنهم جيرانهم. و أنهم حلفاؤهم.

والإستجابة لنداء الجيرة و الحلف ليس بأولى من الاستجابة لما يوجه العقل، و تفرضه الفطرة، فإن غطfan كانت على الشرك الذى هو ظلم عظيم، و تأبه العقول، و تنفر منه الفطرة ..

(١) المغازى للواقدى ج ٢ ص ٦٥٠ و ٦٥١

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١١١

فكان من المفروض: أن تستجيب - قبل كل شيء - لنداء العقل و الفطرة، لتكتشف صحة ما جاء به رسول الله «صلى الله عليه و آله»، فتسرى في خط طاعة الله سبحانه، موالية لأوليائه، و معادبة لأعدائه، و محاربة لهم بكل قوة و صرامة و حزم. فلا عهد فوق عهد الله تعالى، ولا جوار لأحد في معصية الله سبحانه و تعالى.

-٢- إنـا إـذـا كـانـا يـهـودـا قـدـ وـعـدـواـ غـطـفـاـنـ بـشـطـرـ ثـمـارـ خـيـرـ، فـإـنـ النـبـىـ «ـصـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـ آـلـهـ»ـ قـدـ وـعـدـهـمـ بـنـفـسـ ماـ وـعـدـهـمـ بـهـ،ـ مـعـ فـارـقـ عـظـيمـ وـ هـامـ،ـ وـ هـوـ:ـ أـنـ يـهـودـ كـانـواـ مـعـرـوفـينـ بـالـغـدرـ.

أما النبى «صلى الله عليه و آله» فكان الصادق الأمين، و الوفي بالوعود و العهود ..

-٣- إنـا يـهـودـ إـنـماـ وـعـدـهـمـ بـأـنـ يـعـطـوـهـمـ شـطـرـ ثـمـارـ خـيـرـ،ـ وـ لـكـنـ بـشـرـطـ أـنـ يـعـيـنـهـمـ،ـ وـ يـحـارـبـوـهـمـ،ـ وـ لـاـ بـدـ أـنـ يـقـتـلـ مـنـهـمـ،ـ وـ أـنـ تـنـشـأـ عـدـاـوـاتـ،ـ وـ الثـارـاتـ،ـ وـ الإـحـنـ بـيـنـهـمـ وـ بـيـنـ الـجـمـعـ الـإـسـلـامـيـ كـلـهـ ..

أما النبى «صلى الله عليه و آله» فلم يكلفهم بالحرب، بل اكتفى منهم بالكف و عدم الإقدام على مساعدة اليهود، فلا-قتلى، و لا عداوات، و لا إحن، و لا أحقاد ..

مع ملاحظة: أن طلب اليهود العون يشير إلى ضعفهم أمام عدوهم، و طلب النبى «صلى الله عليه و آله» منهم اعتزال الحرب، و الحياد يشير إلى استغنائه عنهم، و إلى ثقته بالنصر على أعدائه. فكانت الاستجابة لرسول الله «صلى الله عليه و آله» هي الأصلح لهم حتى في حسابات الربح و الخسارة الدنيوية.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١١٢

-٤- وـ لـعـلـ الـحـسـ الـذـىـ سـمـعـتـهـ غـطـفـاـنـ،ـ وـ خـافـتـ أـنـ يـكـونـ فـيـ أـهـلـيـهاـ قـدـ جـاءـ لـيـؤـكـدـ شـدـةـ خـوـفـهـمـ،ـ وـ مـدـىـ رـعـبـهـمـ فـيـ قـبـالـ جـيـشـ الـمـسـلـمـينـ،ـ عـلـىـ قـاـعـدـةـ:ـ يـخـسـبـوـنـ كـلـ صـيـحـةـ عـيـنـهـمـ هـمـ الـعـدـوـ «ـ١ـ».ـ لـمـ جـرـدـ أـنـهـمـ عـلـمـوـاـ بـتـوـجـهـ الـمـسـلـمـينـ نـحـوـ خـيـرـ،ـ رـغـمـ أـنـهـمـ يـعـرـفـوـنـ:ـ أـنـ طـرـيقـ النـبـىـ «ـصـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـ آـلـهـ»ـ الـآـتـىـ مـنـ الـمـدـيـنـةـ إـلـىـ خـيـرـ لـاـ تـمـرـ بـهـمـ،ـ لـأـنـ طـرـيقـ غـطـفـاـنـ إـلـىـ خـيـرـ كـانـ مـنـ جـهـةـ الشـامـ ..

وـ قـدـ اـسـطـاعـ النـبـىـ «ـصـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـ آـلـهـ»ـ فـيـ هـذـاـ الـالـتـافـ الـلـافـتـ:ـ أـنـ يـقـطـعـ هـذـهـ طـرـيقـ عـلـيـهـمـ،ـ كـمـاـ أـسـلـفـاـ ..

-٥- إنـا غـطـفـاـنـ لـمـ تـكـنـ صـادـقـةـ فـيـماـ اـدـعـتـهـ:ـ مـنـ أـنـهـ تـرـيـدـ أـنـ تـسـتـجـبـ لـنـدـاءـ الجـيـرـةـ وـ الـعـهـدـ،ـ حـيـثـ قـالـوـاـ:ـ هـمـ جـيـرـاـنـاـ وـ حـلـفـاؤـنـاـ.ـ فـإـنـهـ إـذـ

كـانـ هـذـاـ هـوـ دـافـعـهـمـ الـحـقـيـقـىـ فـلـمـاـ يـكـلـفـوـنـ الـيـهـودـ نـصـفـ ثـمـارـ خـيـرـ؟ـ فـإـنـهـ إـذـ كـانـ تـرـيـدـ أـنـ تـفـىـ بـالـتـزـامـتـهاـ الـأـخـلـاقـيـةـ،ـ وـ تـسـتـجـبـ لـنـدـاءـ الجـيـرـةـ،ـ وـ تـنـفـذـ عـهـدـهـاـ فـيـمـاـ بـيـنـهـمـ وـ بـيـنـهـاـ.ـ فـلاـ حـاجـةـ إـلـىـ هـذـهـ أـمـوـالـ ..

بلـ إـنـ قـبـولـهـاـ مـنـ الـمـتـبـرـ بـهـاـ،ـ فـضـلـاـ عـنـ الـمـطـالـبـ بـهـاـ عـيـبـ،ـ وـ عـارـ،ـ وـ خـسـةـ،ـ وـ صـغـارـ.

-٦- وـ إـذـ كـانـ غـطـفـاـنـ قـدـ خـافـتـ مـنـ إـغـارـةـ الـمـسـلـمـينـ عـلـىـ دـيـارـهـاـ وـ أـهـلـهـاـ،ـ فـقـدـ كـانـ بـإـمـكـانـهـاـ أـنـ تـرـسـلـ سـرـيـةـ-ـلـوـ رـمـزـيـةـ-ـ مـنـ رـجـالـهـاـ،ـ لـمـسـاـعـدـةـ الـيـهـودـ،ـ قـضـاءـ لـحـقـ الـجـيـرـةـ،ـ وـ وـفـاءـ بـالـعـهـدـ وـ الـحـلـفـ.ـ وـ يـبـقـىـ الـآـخـرـوـنـ لـدـفـعـ الـمـهـاجـمـيـنـ الـمـحـتـمـلـيـنـ.

(١) الآية ٤ من سورة المنافقون.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١١٣

فـإـذـ كـانـ ثـمـةـ مـنـ هـجـومـ،ـ فـإـنـ باـسـتـطـاعـهـ هـؤـلـاءـ أـنـ يـشـاغـلـوـنـ الـمـهـاجـمـيـنـ إـلـىـ أـنـ يـرـسـلـوـاـ إـلـىـ حـلـفـائـهـمـ وـ جـيـرـانـهـمـ مـنـ الـيـهـودـ لـيـعـيـنـهـمـ مـعـ

باقي الرجال الذين ذهبوا لنجدتهم، وإن لم يهاجمهم أحد، فإنهم يكونون قد وفوا بالتزاماتهم، ودفعوا عن جيرانهم، ووفوا بعهودهم،
لو صاح أنه كانت لهم معهم عهود !!

٧- إن كلمة بـ «حيفاء» قد صحفت فصارت «جنفاً»، كما سيأتي حينما قال النبي «صلى الله عليه و آله» لبني فزاره عندما هددوه بالقتال
إن لم يعطهم الغائم: «موعدكم حيفاً». حيث أراد «صلى الله عليه و آله» أن يذكرهم بهذا النداء السماوي، ليفهمهم أن الله تعالى هو
الذى يدافع عنه، أو يهئ له الأمور.

٨- ثم إن النداء الذى سمعته غطfan، قد عرّفهم: أن الله سبحانه يريد أن يظفر نبيه الأكرم «صلى الله عليه و آله» بيهود خير .. وقد
كان هذا الأمر كافيا لهم ليعودوا إلى أنفسهم، وليؤمنوا بالله، وبرسوله، وأن يتهاقتو نصرة هذا الرسول العظيم على أعدائه وأعدائهم

و لكنهم لم يفعلوا ذلك، بل استمروا على الكفر والجحود، ولو وجدوا الفرصة لخرجوا إلى حرب رسول الله «صلى الله عليه و آله»،
و إلى نصرة أعداء الله تعالى ..

و هذا هو الخذلان الإلهي، والخيبة والخسران. نعوذ بالله من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب.

٩- وسيأتي: أن العرب و قريشا قد شاركوا اليهود في الحرب ضد الإسلام والمسلمين ..

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ١٧، ص: ١١٤

بل في بعض النصوص الآتية تصريح: بأن عدد الذين واجههم المسلمون في خير كان أربعين عشر ألفا ..

١٠- إن الظاهر: أن هذه الأعداد الكبيرة كانت موزعة على الحصون المختلفة، وكانوا قد قرروا أن لا يخرجوا للقتال في ساحات
الحرب والتزال .. فكان رأيهم هذا وبالا عليهم أيضا ..

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ١٧، ص: ١١٥

الفصل الثاني: قبل أن يبدأ القتال

إشارة

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ١٧، ص: ١١٧

وصول رسول الله صلى الله عليه و آله إلى خير:

قال محمد بن عمر: ثم سار رسول الله «صلى الله عليه و آله» حتى انتهى إلى المنزلة، وهي سوق لخير، صارت في سهم زيد بن ثابت، فعرّس رسول الله «صلى الله عليه و آله» بها ساعة من الليل.

و كانت يهود لا يظنون قبل ذلك أن رسول الله «صلى الله عليه و آله» يغزونهم لمنعهم، و حصونهم، و سلاحهم، و عددهم، فلما أحسوا بخروج رسول الله «صلى الله عليه و آله» إليهم، قاموا بخروجهم كل يوم عشرة آلاف مقاتل صفوافا، ثم يقولون: محمد يغزونا؟!!
هيئات!! هيئات!! و كان ذلك شأنهم.

و كان يهود المدينة يقولون حين تجهز النبي «صلى الله عليه و آله» إلى خير: ما أمنع - و الله - خير منكم. لو رأيتم خير، و حصونها،
و رجالها لرجعتم قبل أن تصلوا إليهم، حصون شامخات في ذرى الجبال، و الماء فيها واتن (أى لا ينقطع).

إن بخير لألف دارع. ما كانت أسد، و غطfan يمتنعون من العرب إلا بهم. فأنتم تطيقون خير؟!

فخرج رسول الله «صلى الله عليه و آله» إليهم فعمى عليهم مخرجه،

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ١١٨

حتى نزل رسول الله «صلی اللہ علیہ وآلہ وآلہ» بساحتهم ليلاً و كانوا حين بلغهم عزم النبي «صلی اللہ علیہ وآلہ وآلہ» على المسير إليهم، اختلفوا في خطة حربهم معه، ولم يتحرّكوا تلك الليلة، ولم يصح لهم ديك حتى طلعت الشمس، فأصبحوا وأفئدتهم تخفق، وفتحوا حصونهم غادين معهم المساحي، والكرازين^(١) والمكاتل، فلما نظروا إلى رسول الله «صلی اللہ علیہ وآلہ وآلہ» ولوا هاربين إلى حصونهم^(٢).

وروى الشافعی، وابن إسحاق، والشیخان من طرق، عن أنس، قال:

سار رسول الله «صلی اللہ علیہ وآلہ وآلہ» إلى خیر، فانتهى إليها ليلاً، و كان رسول الله «صلی اللہ علیہ وآلہ وآلہ» إذا طرق قوماً بليل لم يغر عليهم حتى يصبح، فإذا سمع أذاناً أمسك، وإن لم يسمع أذاناً أغار عليهم حتى يصبح.

فصلينا الصبح عند خير بغلس، فلم نسمع أذاناً، فلما أصبح ركب رسول الله «صلی اللہ علیہ وآلہ وآلہ» وركب معه المسلمين، وأنا رديف أبي طلحة.

فأجرى نبی الله «صلی اللہ علیہ وآلہ وآلہ»، فانحسر عن فخذ رسول الله «صلی اللہ علیہ وآلہ وآلہ»، فإني لأرى بياض فخذ رسول الله «صلی اللہ علیہ وآلہ وآلہ»، وإن قدّم لتمس قدم رسول الله «صلی اللہ علیہ وآلہ وآلہ»^(٣).

(١) الكرازين: الفؤوس.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١١٨ و السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٣ والإمتناع ص ٣١٠ و راجع: المغازى للواقدى ج ٢ ص ٦٣٧ و ٦٤٢ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٠٦.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١١٨ و السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٣ و المغازى للواقدى ج ٢ ص ٦٤٣.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ١١٩

وخرج أهل القرية إلى مزارعهم بمكاتلهم. ومساحيهم، فلما رأوا رسول الله «صلی اللہ علیہ وآلہ وآلہ»، قالوا: محمد و الخميس. فأدبروا هربا.

فقال رسول الله «صلی اللہ علیہ وآلہ وآلہ»، ورفع يديه: «الله أكبر، خربت خير، إنا إذا نزلنا بساحة قوم، فساء صباح المنذرین»^(١).

وروى بسنده ضعيف، عن أنس، قال: كان رسول الله «صلی اللہ علیہ وآلہ وآلہ» يوم خير على حمار مخطوم بر سن من ليف، وتحته إكاف من ليف^(٢).

قال ابن كثير: الذي ثبت في الصحيح: أن رسول الله «صلی اللہ علیہ وآلہ وآلہ» جرى في زقاق خير حتى انحسر الإزار عن فخذه.

فالظاهر: أنه كان يومئذ على فرس لا على حمار.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١١٩ و في هامشه عن: البخاري ج ٢ ص ٨٩ (٢٩٩١ / ٦١٠) و مسلم ج ٣ ص ١٤٢٦ (١٣٦٥ / ١٢٠) و راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٣ و لباب التأويل ج ٤ ص ١٥٢ والإمتناع ص ٣١١ و المغازى للواقدى ج ٢ ص ٦٤٢ و ٦٤٣.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٧ ص ٣٣ و ج ٥ ص ١١٩ و في هامشه عن: الحاكم في المستدرك ج ٢ ص ٤٦٦ و البيهقي في الدلائل ج ٤ ص ٢٠٤، و انظر: الدر المنشور ج ٦ ص ١١١.

و راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٤ و مستدرك الوسائل ج ٨ ص ٢٦٨ و مكارم الأخلاق ص ١٥ و البحار ج ٦ ص ٢٢٩ و سنن ابن ماجة ج ٢ ص ١٣٣٩ و الجامع الصحيح ج ٢ ص ٢٤١ و فتح الباري ج ٦ ص ٥٦ و شرح النهج للمعترلى ج ١١ ص ١٩٤ و تاريخ مدينة دمشق ج ٤ ص ٢١٠ و الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج ١ ص ١٣١ و السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٥٠ و عن تاريخ الخميس ج

١ ص ٤٩٣.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ١٢٠
 قال: و لعل هذا الحديث - إن كان صحيحاً - محمول على أنه ركب في بعض الأيام، وهو محاصرها.
 و نقول:

إن لنا مع النصوص المتقدمة عدة وقوفات، هي التالية:

الجيش هو الخميس:

سمى الجيش بالخميس، لأنّه خمسة أقسام: المقدمة، والقلب، والجناحان -أعني: الميمنة والميسرة- والساقة.

خربت خير:

و ذكروا: أن الرسول «صلى الله عليه و آله» رفع يديه، وقال:
 «الله أكبر، خربت خير، إنا إذا نزلنا بساحة قوم، فساء صباح المنذرين ...». فهل كان هذا منه «صلى الله عليه و آله» دعاء بخراب خير؟!
 أو أنه «صلى الله عليه و آله» قد تفأّل بخرابها، حين رأى الفؤوس والمساحي، التي هي آلة الهدم، كما زعمه بعضهم.
 أو أنه «صلى الله عليه و آله» بقصد الإخبار عن خرابها، بقرينه قوله:
 «إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين ...» (١).

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٣ والدر المنضود ج ٢ ص ١٤٥ والبخاري ج ٢٠ ص ٢٣٤ و وج ٢٦٢ و الأم للشافعی ص ٢٦٧ والمجموع للنحوی ج ١٩ ص ٢٨٨ و تنوير الحوالک ص ٣٩١ والمبسوط للسرخسی ج ١٠ ص ٣١ و مناقب أمیر المؤمنین ج ٢ ص ٥٠٩ والإرشاد للمفید ج ١ ص ١١٠ و میزان الحكمہ ج ٣

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ١٢١:
 قد يكون هذا الاحتمال الأخير قريباً، ثم الاحتمال الأول. والله هو العالم ..

انحسار الإزار عن فخذ رسول الله صلى الله عليه و آله:

و أما قولهم: جرى رسول الله في زقاق خير حتى انحسر الإزار عن

ص ٢٢٤٧ و مسند الشافعی ص ٣١٨ و مسند أحمد ج ٣ ص ١٠٢ و وج ٣ ص ١١١ و ١٦٤ و ١٨٦ و ٢٠٦ و ٢٤٦ و ٢٦٣ و وج ٤ و ٢٧٠ و ٢٤٧ و ٢٢٧ و مسند الشافعی ص ٣١٨ و مسند أحمد ج ٣ ص ١٠٢ و وج ٣ ص ١١١ و ١٦٤ و ١٨٦ و ٢٠٦ و ٢٤٦ و ٢٦٣ و وج ٤ و ٢٧٠ و ٢٤٧ و ٢٢٧ و عن صحيح البخاري ج ١ ص ٩٨ و ١٥٢ و ٢٢٨ و وج ٤ ص ٥ و ١٦ و ١٨٨ و وج ٥ ص ٧٣ و عن صحيح مسلم ج ٤ ص ١٤٥ و ١٤٧ و وج ٥ ص ١٨٥ و الجامع الصحيح للترمذی ج ٣ ص ٥٤ و سنن النسائي ج ١ ص ٢٧٢ و وج ٦ ص ١٣٢ و وج ٧ ص ٢٠٤ و المستدرک للحاکم ج ١ ص ٤٦٠ و السنن الكبیر للبيهقي ج ٢ ص ٢٣٠ و وج ٩ ص ٩ و ٨٠ و ١٥٣ و شرح مسلم للنحوی ج ١٢ ص ١٦٤ و مجمع الزوائد ج ٦ ص ١٤٩ و عن فتح الباری ج ٧ ص ٣٥٩ و شرح سنن النسائي للسيوطی ج ٦ ص ١٣٢ و مسند أبي داود ص ٢٨٣ و مسند الحمیدی ج ٢ ص ٥٠٤ و بغية الباحث ص ٢٦١ و كتاب السنّة ص ٥٩٤ و السنن الكبیر للنسائي ج ١ ص ٤٧٨ و وج ٣

ص ١٦١ و ٣٣٥ و ج ٥ ص ١٧٧ و ٢٠٠ و ج ٦ ص ٤٤١ و مسند أبي يعلى ج ٥ ص ٤٤١ و ٣٨٤ و ج ٦ ص ٢٨٦ و ٣١ و ج ٧ ص ٣٠ و شرح معانى الآثار ج ٣ ص ٢٠٨ و صحيح ابن حبان ج ١١ ص ٥٠ و ج ١٤ ص ٤٥٢ و ج ١٦ ص ١٩٥ و المعجم الصغير للطبراني ج ١ ص ١٩٦ و المعجم الأوسط للطبراني ج ٣ ص ٩٥ و ج ٤ ص ٣٥٨ و ج ٨ ص ١٤٢ و المعجم الكبير للطبراني ج ٥ ص ٩٧ و مسند الشاميين ج ٤ ص ٢٢ و دلائل النبوة للإصفهانى ص ١١٢ و الأذكار النبوية للنبوى ص ٢٠٩ و نصب الرأي للزيلعى ج ٦ ص ١٣٥ و كنز العمال ج ١٠ ص ٣٨٥ و ص ٤٦٥ و غير ذلك كثير.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٢٢
فخذله، فنلاحظ عليه:

أولاً: هل يراد الإيحاء: بأن النبي «صلى الله عليه و آله» لم يكن متحفظاً في لباسه و ستره بالقدر الكافي؟!
و أين هو وقاره، و سكينته «صلى الله عليه و آله»؟! فلماذا لا يحتفظ بهما في مثل هذه الحالات التي لا توجب عجلة، إذ ليس هناك أمر يخاف فوته، و لا يوجد عدو تخشى مباغته؟!
ثانياً: أليس يقولون: إن الفخذ من العورة، التي ينزعه رسول الله «صلى الله عليه و آله» من الغفلة عن التحفظ عليها، أو التهاون في سترها؟ أو أن يعجله أمر عن ذلك؟!
و قد قدمنا في جزء سابق من هذا الكتاب «١» ما روى عنه «صلى الله عليه و آله»: أنه أمر رجلاً بستر فخذله؛ فإنها من العورة «٢».
و هناك نصوص كثيرة، تدل على أن ما بين السرة و الركبة عورة،

(١) راجع: الصحيح من السيرة ج ٢ ص ١٧٥ و ١٧٦.

(٢) مسند أحمد ج ٥ ص ٢٩٠ و ج ١ ص ٢٧٥ و صحيح البخاري ج ١ ص ٥١ و سنن البيهقي ج ٢ ص ٢٢٨ و الإصابة ج ٣ ص ٤٤٨ و فتح الباري ج ١ ص ٤٠٣ و نيل الأوطار ج ٢ ص ٥٠ و مستدرك الحاكم ج ٤ ص ١٨٠ و ١٨١ و مجمع الروايد ج ٢ ص ٥٢ عن أحمد، و الطبراني في الكبير، و الغدير ج ٩ ص ٢٨٢ فما بعدها، عن من تقدم، و عن إرشاد السارى، و ابن حبان في صحيحه، و ليراجع: موطاً مالك، و الترمذى، و أبو داود، و مشكل الآثار ج ٢ ص ٢٨٤ و ٢٨٥ و ٢٨٦ و حتى ص ٢٩٣. و المصنف ج ١١ ص ٢٧ و تأویل مختلف الحديث ص ٣٢٣ و ٣٢٤.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٢٣
فراجع «١».

هناك نصوص تدل على حياء أبي موسى الأشعري و أبي بكر، و الخدرى، لا مجال لإيرادها فعلاً «٢». فيمكن الرجوع إليها في مظانها. و قال العلامة الأميني: «هب أن النهى عن كشف الأفخاذ تنزيهى، إلا أنه لا شك في أن سترها أدب من آداب الشريعة، و من لوازم الوفار، و مقارنات الأبهة، و رسول الله «صلى الله عليه و آله» أولى برعاية هذا الأدب، الذي صدع به هو الخ...» «٣».
هذا، و لا بأس بالمقارنة بين ما يذكر هنا عن نبينا الأعظم «صلى الله عليه و آله» و بين ما يذكر عن حياء عثمان، حتى إن أبي بكر، و عمر ليدخلان على النبي «صلى الله عليه و آله»، و فخذله مكسوفة، فلا يسترها، حتى إذا دخل عليه عثمان جلس، و ستر فخذله، و سوى عليه ثيابه؛ فتسأله عائشة عن ذلك.
فيجيئها: بأنه ألا يستحب من رجل تستحب منه الملائكة؟! أو ما هو

(١) راجع: الغدير ج ٩ ص ٢٨٥ و ٢٨٤ و ٢٨٨ و ٢٩٠ و ٢٩١ و ٢٩٢. و المعجم الصغير ج ٢ ص ٩٦. و حياة الصحابة ج ٢ ص ٦١٢ و ٦١٣ تجد كثيراً من أقوال العلماء و النصوص حول ذلك.

(٢) راجع: طبقات ابن سعد ج ٤ ص ١١٣ و ١١٤ و الزهد والرقائق ص ١٠٧ و ربيع الأبرار ج ١ ص ٧٦٠ و حياة الصحابة ج ٣ ص ٤٨٢ عن كنز العمال ج ٨ ص ٣٠٦ وج ٥ ص ١٢٤ وعن حليه الأولياء ج ١ ص ٣٤ و الغدير ج ٧ ص ٢٤٨ وج ٩ ص ٩ .
 (٣) الغدير ج ٩ ص ٢٨٥ .

الصحيح من السيرة النبوية الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٢٤
 قريب من هذا «١». .

يضاف إلى ذلك: أن النبي «صلى الله عليه و آله» نفسه يأمر بالحياة و يؤكّد و يحث عليه باستمرار، فيقول: إذا لم تستح، فاصنع ما شئت «٢».

(١) مجمع الزوائد ج ٩ ص ٨٢ و البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٠٢ عن الطبراني في الكبير، والأوسط، و مسند أحمد، وأبي يعلى، و تاريخ جرمان ص ٤١٦، والمصنف للصنعاني ج ١١ ص ٢٣٢ و ٢٣٣ و المحسن و المساوى ج ١ ص ٦١ و حياة الصحابة ج ٢ ص ٦١٢ و ٦١١ عن الأولين، و مشكل الآثار ج ٢ ص ٢٨٣ و ٢٨٤ و مسند أحمد ج ١ ص ٧١ وج ٦ ص ٦٢ و ١٦٧ و ١٥٥ و صحيح مسلم ج ٧ ص ١١٦ و ١٧٧ و الغدير ج ٩ ص ٢٧٤ و ٢٧٥ و ٢٨٧ و ٢٩٠ عن الآخرين، و عن: مصابيح السنة ج ٢ ص ٢٧٣ و الرياض النصرة ج ٢ ص ٨٨ و راجع: تأويل مختلف الحديث ص ٣٢٣ و التراتيب الإدارية ج ٢ ص ٣٨٣ و ٣٨٤ و فيه أحاديث أخرى عن حياء الملائكة من عثمان، و مسند أبي يعلى ج ٧ ص ٤١٥ .

(٢) راجع: كنز العمال ج ٣ ص ١٢٢ و مسند أحمد ج ٤ ص ١٢١ وج ٥ ص ٢٧٣ و عن صحيح البخاري ج ٥ ص ١٠٠ و تحفة الأحوذى ج ٢ ص ٧٤ و مسند ابن الجعد ص ١٣٠ و المعجم الكبير ج ١٧ ص ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٣٨ و مسند الشهاب ج ٢ ص ١٨٦ و الأذكار النبوية ص ٤١٠ و رياض الصالحين للنووى ص ٧١٣ و الجامع الصغير للسيوطى ج ١ ص ٦ و ٣٨٢ و عن فتح البارى ج ١٠ ص ٤٣٤ و الغدير ج ٩ ص ٢٧٥ و مستدرك الوسائل ج ٨ ص ٤٦٦ و الشرح الكبير لابن قدامة ج ١٢ ص ٤٣ و سبل السلام لابن حجر ج ٤ ص ٢٠٦ و المغني لابن قدامة ج ١٢ ص ٣٣ و تنوير الحوالك ص ١٦٧ و إعانة الطالبين ج ٤ ص ٣١٨ و الإنقاذ للحجاجى ج ٢ ص ٢٨٠ و مغني المحتاج ج ٤ ص ٤٢٧ و ميزان الحكمه ج ١ .

الصحيح من السيرة النبوية الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٢٥
 يقول: الحياة من الإيمان، والإيمان في الجنة «١».

ص ٧١٨ و فيض القدير ج ٢ ص ٦٨٥ و كشف الخفاء ج ١ ص ١٤ و ٩٨ و تفسير مجمع البيان ج ٨ ص ٣٨٨ و المحصول للرازى ج ٢ ص ٣٤ و الكامل ج ٦ ص ٨٢ و طبقات المحدثين بإصبهان ج ٣ ص ٥٦٠ و تاريخ بغداد ج ٣ ص ٣١٥ وج ١٠ ص ٣٠٣ و ٣٥٤ و تاريخ مدينة دمشق ج ٢٥ ص ٣٨٨ وج ٣٦ ص ١٨٣ و أسد الغابة ج ٢ ص ٢٢٧ و تهذيب الكمال ج ١٦ ص ١٢٤ و الأنساب للسمعاني ج ٤ ص ١٥٤ و البداية والنهاية ج ٢ ص ١٦٩ وج ١٢ ص ٦٨ و ١٥٨ .

(١) راجع: الكافي ج ١ ص ٧ وج ٢ ص ١٠٦ و تحف العقول ص ٣٩٤ و شرح أصول الكافي ج ٨ ص ٣٠١ و الوسائل (ط دار الإسلامية) ج ١١ ص ٣٣٠ و مستدرك الوسائل ج ٨ ص ٤٦١ و ٤٦٣ و ج ١٢ ص ٨١ و كتاب الزهد للكوفى ص ٦ و المسترشد للطبرى ص ١٦ و دلائل الإمامة ص ٦٦ و مشكاة الأنوار للطبرسى ص ٤١١ و البحار ج ١ ص ٤١٩ وج ٦٨ ص ٣٢٩ وج ٧٥ ص ٣٠٩ و ج ٧٦ ص ١١٢ و الغدير ج ٩ ص ٢٧٥ و مستدرك سفيه البخارى ج ١ ص ٣١٠ و مکاتیب الرسول ج ٣ ص ٥٧٦ و ٥٧٧ و ميزان الحكمة ج ١ ص ٧١٧ و مسند أحمد ج ٢ ص ٥٠١ و سنن ابن ماجة ج ٢ ص ١٤٠٠ و سنن الترمذى ج ٣ ص ٢٤٧ و المستدرك للحاكم ج ١ ص ٥٢ و ٥٣ و مجمع الزوائد ج ١ ص ٩١ وج ٨ ص ٢٦ و ١٦٩ و عن فتح البارى ج ١٠ ص ٤٣٣ و مسند ابن الجعد ص

٤٢١ و المصنف لابن أبي شيبة ج ٦ ص ٩٢ و ج ٧ ص ٢٢٢ والأدب المفرد للبخاري ص ٢٧٨ و مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ص ٣٥ وأمثال المحاملى ص ١٠٤ و صحيح ابن حبان ج ٢ ص ٣٧٣ و ٣٧٤ و المعجم الصغير ج ٢ ص ١١٥ و المعجم الأوسط ج ٥ ص ١٩٣ و المعجم الكبير ج ١٠ ص ١٩٦ و ج ١٨ ص ١٧٨ و ج ٢٢ ص ٤١٤ و موارد الظمان ص ٤٧٦ و الجامع الصغير ج ١ الصحيح من السيرة النبوية الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٢٦.
إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة المروية عنه «صلى الله عليه و آله»، ولا مجال لتبعها.

لا يظن اليهود: أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يغزوهم:

وقد ذكرت الرواية المتقدمة: أن اليهود كانوا لا يظنون قبل ذلك: أن رسول الله ﷺ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يغزوهم لمنعهم وسلامتهم، وعدهم. ونقول:

١- إن هؤلاء كانوا مغوروين بأنفسهم بدرجة كبيرة، فهم يرون أن رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» قد خاض حرباً صعبةً وَ هائلةً، وَ منَ اللَّهِ عَلَيْهِ بِالنَّصْرِ فِيهَا، وَ هُوَ قَدْ أَلْجَأَ قَرِيشًا، الَّتِي لَا يُشَكُّ أَحَدٌ فِي زِيَادَتِهِ عَدُدَهَا أَضْعَافًا عَلَى الْعَدْدِ الَّذِي عِنْهُ، وَ لَا يُمْارِي أَحَدٌ فِي سِيَادَتِهَا وَ نَفْوذِهَا فِي الْحِجَازِ كُلَّهٗ -أَلْجَاهَا- إِلَى طَلَبِ الصلحِ. وَ فَرِضَ عَلَيْهَا شَروطُهُ القَوِيَّةُ، رَغْمَ أَنَّ عَدْدَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ فِي جَمِيعِ تِلْكَ الْمَشَاهِدِ لَا يَقْاسِ بَعْدُ جَيُوشُ أَعْدَائِهِ. إِضَافَةً إِلَى ضَعْفِ ظَاهِرٍ فِي التَّجهِيزِ فِي السَّلاحِ، وَ فِي كَثِيرٍ مِّنِ الامتِيازَاتِ الْحَرَبِيَّةِ الْأُخْرَى.

ص ٥٩٦ وج ٢ و العهود المحمدية للشاعراني ص ٤٥٩ و كنز العمال ج ٣ ص ٥٣ و ١٢٠ وج ١٥ ص ٨٧٧ وفيض القدير ج ٣
ص ٥٦٨ وج ٤ ص ٧٥ و تفسير الشعالي ج ٤ ص ٢٦٩ و تاريخ بغداد ج ٦ ص ١٨٩ و تاريخ مدينة دمشق ج ١٤ ص ٥٥ و ميزان
الإعتدال ج ١ ص ١١٠ و الكشف الحثيث لسبط ابن العجمي ص ٤٨ و لسان الميزان ج ١ ص ١٩٨ و تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٩٣ و
بيت الأحزان للقمي ص ٤٦ و لسان العرب ج ١٤ ص ١٤٨.

^{١٢٧} الصحيح من السيرة النبوية الأعظم، مرتضي العاملی، ج ١٧، ص:

فكيف مع هذا كله لم يكن اليهود يظلون أنه يغزوهم؟! ثم إنهم قد رأوا: أنه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» يكاتب ملوك الأرض، ويدعوهم إلى دينه. وإلى الاعتراف ببنوته ..

٢- إذا كانوا لا يظنون أنه يغزوهم لمنعهم و .. فلماذا أرسلوا و فدتهم إلى قبيلة غطفان لطلب العون، و جعلوا لتلك القبيلة شطر ثمار خير، إذا انتصروا على المسلمين؟! ..

أنهم ربما كانوا يظهرون للناس هذا الأمر تجلاً منهم، و مكراً و دهاء، يخفى وراءه رعباً قاتلاً، و خوفاً مخزياً، دفعهم إلى الاتصال بتلك القبيلة، و عرض ثمرة ديارهم عليهم، ليفوزوا بنصرهم ..
ولكن رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» قد عرض ثمرة بلاد عدوه، مقابل وقوف تلك القبيلة على الحِيَاة، و شتان ما بينهما ..

الأذان علامه الإسلام:

وقد تقدم: أنه «صلى الله عليه و آله» كان يتضرر أذان الصبح، فإن سمع الأذان امتنع عن الهجوم. ولعل السبب في ذلك: أن قرار الحرب والسلم قد يتخذه زعماء تلك الجماعة، لأطماع، معينة، أو لثارات شخصية، أو أهداف شخصانية، ترمي إلى بسط الزعامه والنفوذ لبعض الطامحين، وقد تكون لأسباب اقتصادية أو الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٢٨.

غيرها .. مع عدم رضا المرؤوسين بتلك الحرب، أو مع عدم وجود مبرر لها في حياتهم .. فيسوق زعيم القبيلة مع حفنة من أعوانه قبيلته إلى حرب رسول الله «صلى الله عليه و آله» في حين يكون عامة الناس في تلك القبيلة، والجماعة غير راضين بخوض تلك الحرب. فكان «صلى الله عليه و آله» يراقب حالة الناس و يميز بينهم، فإن رأى فيهم أيهأً أمارة تدل على استحقاق الرفق بهم، أو تدل على إسلامهم - كالأذان - كف عنهم، و سعى في حل الإشكال مع الذين يسوقونهم إلى الحرب بطرق أخرى، أو سعى إلى استهداف المجرمين منهم دون المستضعفين المقهورين. وهذا هو الغاية في الحكمه و منتهى اللطف منه «صلى الله عليه و آله» بمن يظهرون العداوة و ينصبون الحرب له.

و من جهة أخرى، فقد ذكرت الروايات: أنه «صلى الله عليه و آله» كان لا يهاجم عدوه ليلا، بل ينتظر فيه طلوع الفجر، وفقا لما أشير إليه في قوله تعالى: **فَالْمُغِيْرَاتِ صُبْحًا** ^(١).

وقوله تعالى: **وَلَقَدْ صَبَّاهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌ** ^(٢).

وقوله: **فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحِتِهِمْ فَسَاءَ صَبَّاهُ الْمُنْذَرِينَ** ^(٣).

وقوله: **.. إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَئِسَّ الصُّبْحِ بِقَرِيبٍ** ^(٤).

(١) الآية ٣ من سورة العاديات.

(٢) الآية ٣٨ من سورة القمر.

(٣) الآية ١٧٧ من سورة الصافات.

(٤) الآية ٨١ من سورة هود.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٢٩.

وقوله: **أَنَّ دَارِرَ هُؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُضْبِحِينَ** ^(١).

وقوله: **فَاحَدَتُهُمُ الصَّيْحَةُ مُضْبِحِينَ** ^(٢) و غير ذلك ..

و ذلك كله يدل: على أن الهجوم على العدو صباحا - كما كان يفعل رسول الله «صلى الله عليه و آله» و كذلك على «عليه السلام» من بعده - هو الراجح والأولي، و لعل لهذا الأمر اعتبارات نفسية، و عملية قد يحتاج التعرف عليها إلى مزيد من التأمل و التدقيق.

إستعارات و انتفاخات كاذبة:

و إن ما كان يقوم به اليهود من الخروج في كل يوم، و هم عشرة آلاف، يصطفون و يقولون: محمد يغزونا؟ هيئات!! لا يحتاج إلى تعليق.

فقد أشرنا أكثر من مرة إلى أن الاغترار بالكثرة و الاعتماد عليها .. دليل الفشل و السقوط ..

خصوصا إذا كان ذلك في حال الحرب، و بالأخص إذا كان أولئك الناس من أهل الدنيا، و الغارقين بالحياة المادية إلى آذانهم، لأن كلاما منهم يريد أن يضحي بغيره من أجل نفسه، فهو يتخاذل من غيره مجنبا، و ترسا يتخفى وراءه باستمرار، و هو يشعر: أن نفسه التي بين جنبيه هي المستهدفة بالقتل و بالقتال ..

ولذلك فهو يتخيل: أن الكثرة من شأنها تكديس الموانع و الحواجز التي سوف يختبئ وراءها .. و يحتاج العدو إلى إزالتها و التخلص منها قبل أن يصل إليه ..

(١) الآية ٦٦ من سورة الحجر.

(٢) الآية ٨٣ من سورة الحجر.

الصحيح من السيرة النبوية الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ١٣٠

مع أنه إذا جد الجد و حمى الوطيس سيري: أن الكل يفكر بنفس الطريقة، فإن كانوا عشرة آلاف، فسيجد العشرة آلاف كلهم يفكرون بما يفكرون به هذا وذاك، أى أن كل واحد منهم يريد أن يجعل الآخر ترساً و مجاناً لهم، ليكون في قبال حرب العدو، وسيوفه و سهامه، التي سوف تأكل من لحمه، و تهشم عظمه.

إذا وصل به الخيال إلى هذا الحد، فإنه سوف يسعى لإبعاد شبح الحرب عن مخيلته، و سوف يتلذذ بالصور التي يخترعها لمبررات التخلص من عدوه.

و لعل ألذها و أغلاها على قلبه هي تلك الصور التي تزين له كيفية انصراف العدو عن الحرب، و لسوف يندمج و يتفاعل مع هذه الصور، حتى تصبح هي الحقيقة التي لا محيس منها عنده، و لا بدile عنها لديه ..

ولذلك اعتقاد اليهود: أن النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» سوف لا- يأتي لحربيهم، لأنهم توهموا: أنه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» يفكرون، و يخشى من الكثارات كما يخشون ..

و كانت تلك الاستعراضات و الافتاختات الكاذبة تجسد لهم أحلامهم هذه، و تزيتها. حتى إذا استفافقوا من سباتهم هذا وجدوا أنفسهم أمام الحقيقة، و لم يكن لهم بد من مواجهة مصيرهم المحظوم .. و هكذا كان ..

و هذا يصلح تفسيراً لما قد يعتبر تنافضاً ظاهراً في مواقفهم، فهم إذا كانوا قد أحسوا بخروج رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» إليهم، و طلبوا معونةً غطفان، و رتبوا حصونهم بحيث يحاربون في بعضها، و يجعلون ذراريهم و أموالهم في البعض الآخر ..
فما معنى قولهم: محمد يغزونا؟! هيئات !! هيئات !!

الصحيح من السيرة النبوية الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ١٣١

ولكن شرط أن يضاف إليه: أن يكون المقصود بهذا الاستعراض، إظهار الإعجاب بقوتهم و بكثرتهم، و السعي للتشجع، و الحصول على الجرأة على خوض تلك الحرب التي يخشونها كل الخشية ..

مشورة الحباب:

اشارة

وقال محمد بن عمر: إنه حين نزل النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» في خير، و جاء الحباب بن المنذر، فقال: يا رسول الله، إنك نزلت متزلك هذا، فإن كان من أمرت به فلا تتكلّم، وإن كان الرأي تكلّمنا. فقال «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»: «هو الرأي».

فقال: يا رسول الله، دنوت من الحصون، و نزلت بين ظهرى النخل، و النزء، مع أن أهل النطاء لى بهم معرفة، ليس قوم أبعد مدى سهم منهم، و لا- أعدل رمية منهم، و هم مرتقون علينا، ينالنا نبلهم، و لا- نأمن من بياتهم، يدخلون في خمر النخل، فتحوّل يا رسول الله

«صلى الله عليه و آله» إلى موضع برىء من التزّ، و من الوباء، نجعل الحرة بيننا و بينهم، حتى لا تنا لنا نبالهم، و نأمن من بياتهم، و نرتفع من التزّ.

فقال رسول الله «صلى الله عليه و آله»: «أشرت بالرأي، و لكن نقاتلهم هذا اليوم» «١». إذا أمسينا إن شاء الله تحولنا «٢».

(١) سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١١٩ و ١٢٠ و في هامشه عن ابن سعد في الطبقات ١٠٩ / ٢ / ٣ و راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٣ و ٣٤ و المغازى للواقدى ج ٢ ص ٦٤٣ و ٦٤٤.

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٣ و ٣٤ و سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١٢٠ و راجع: الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٣٢.

و دعا رسول الله «صلى الله عليه و آله» محمد بن مسلم، فقال: انظر لنا متزلاً بعيداً من حضورهم، بريئاً من الوباء، نأمن فيه من بياتهم، فطاف محمد حتى أتى الرجيع، ثم رجع إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله»، فقال: يا رسول الله، وجدت لك متزلاً.

فقال رسول الله «صلى الله عليه و آله»: «على بركة الله» «١».

و سياقى: أنه «صلى الله عليه و آله» تحول لما أمسى، و أمر الناس بالتحول.

و يذكرون أيضاً: أن راحلته «صلى الله عليه و آله» قامت تجر بزماتها، فأدركها لتردد، فقال: دعوها، فإنها مأمورة.

فلما انتهت إلى موضع من الصخرة بركت عندها، فتحول رسول الله «صلى الله عليه و آله» إلى الصخرة. و تحول الناس إليها، و اتخذوا ذلك الموضع معسكراً.

و في الأصل: أنه نزل بذلك الموضع، ليحول بين أهل خير، و بين غطفان، لأنهم كانوا مظاهرين لهم على رسول الله «صلى الله عليه و آله».

وابتني هنا لك مسجداً صلي به طول مقامه بخبير «٢».

المغازى للواقدى ج ٢ ص ٦٤٤.

(١) طبقات ابن سعد ١٠٩ / ٢ / ٣ و المصنف للصنعاني (٩٢٩١) و السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٤ و سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١١٩ و ١٢٠ و في هامشه: أخرج عبد الرزاق في المصنف (٩٢٩١).

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٤ و راجع: المغازى للواقدى ج ٢ ص ٦٤٤.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٣٣: و نقول:

إن لنا مع النص المتقدم عدة وقفات، نجملها على النحو التالي:

الف: الإنقاص من رسول الله صلى الله عليه و آله:

قد أظهرت الرواية المتقدمة: أن النبي «صلى الله عليه و آله» قد اختار لجيشه متزلاً غير صالح، من حيث إنه - كما أوضح الحباب - قريب من العدو إلى حد أن سهامهم تصل إليه.

يضاف إلى ذلك: ارتفاع الموضع التي يتواجد العدو فيها بالنسبة لموقع جيش المسلمين، فلهم إشراف، و تسلط و هيمنة عليهم. كما أن وجود النخل بكثافة يعطيهم الفرصة للاستفادة منه في هاجمة المسلمين تحت جنح الظلام ..

فهذه الحيثيات كلها لا ينبغي أن تخفي على أى إنسان عادى، يملك عقلا و إدراكا، و يعيش حالة التوازن فى شخصيته، و لا يغفل عنها إلا من كان يعاني من اختلالات فى عقله، فكيف يصح نسبتها إلى عقل الكل، و إمام الكل، و مدبر الكل، و هو سيد الأنبياء و المرسلين، و أفضل الخلائق أجمعين، من الأولين و الآخرين، إلى يوم الدين؟!

و كيف يكون الحباب بن المنذر أعرف، و أرشد، و أوف عقلا من الرسول المسدد من الله، و المؤيد بالوحى؟! و يجب أن لا ننسى: أنهم قد نسبوا إلى النبي «صلى الله عليه و آله»، مثل ذلك فى غزوة بدر، و قد ذكرنا هناك أيضاً أنتا لا نشك فى كون ذلك من الأكاذيب، فراجع ..

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٣٤

بـ: إذا أمسينا تحولنا:

إشارة

و لعل الصحيح هو: أن الناس أو معظمهم كانوا قد تسرعوا في الأمر، و نزلوا في ذلك المكان القريب من العدو، الذي تنزع الأرض فيه ماء .. حتى إن من يقيم في ذلك الموضع يبتلى - بسبب ذلك - ببعض الأدواء والأوبئة.

فسكى الناس بلسان الحباب بن المنذر ذلك لرسول الله، و كان «صلى الله عليه و آله» عالما بالأمر، و عازما على التحول .. و لكنه كان لا يريد أن يكسر عنفوان أولئك الناس الذين انطلقوا فيما فعلوه من نوايا طيبة، و نفوس سليمة، و ظاهرة. كما أنهم إذا عاينوا سوء ذلك الموضع بأم أعينهم فسوف يكون قرار الانتقال حاجة يشعرون هم أنفسهم بضرورة تلبيتها، من دون أى تردد، أو إحساس بالمرارة، أو اتهام منهم لآخرين بالمباغة والتجنى.

كما أنه «صلى الله عليه و آله» لا - يريد أن يشعر اليهود بأن ثمة تردا أو اهتزازا في القرارات، و في السلوك و الممارسة لدى المسلمين. فيجرؤهم ذلك عليهم، و تهتر هويتهم في أعينهم، و يهوى لهم الأجراء للتفكير في منافذ من شأنها أن تثير بعض المتابع لديهم، فقرر «صلى الله عليه و آله» المقام في ذلك المكان إلى الليل، للإيحاء لهم بأن ذلك داخل في جملة القرارات المدروسة و المؤثرة.

الحباب ذو الرأى من هو؟!

و اللافت هنا: أن المؤرخين يذكرون: أن الحباب بن المنذر قد عارض أهل السقيفة، و قال لقومه: لكأنى بائنائكم على أبواب أبنائهم (أى الذين

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٣٥)

بويعوا في السقيفة)، قد وقفوا يسألونهم بأكفهم، و لا يسقون الماء .. «١».

بل ذكروا: أنه حين قال في السقيفة: أنا جدي لها المحكك، و عذيقها المرجب، أخذ و وطى في بطنه، و دسوا في فيه التراب «٢». و هو القائل في السقيفة: منا أمير، و منهم أمير «٣».

ولكن ذلك: لا يدل على أنه كان بصدق مناصرة على «عليه السلام»، بل قد يفهم من سياق حديث السقيفة: أنه كان بصدق تدبير الأم لسعد بن عبادة، و أنه لم يكن - فيما يظهر - من المعروفين بالولاء لعلى «عليه السلام»، أو لبني هاشم.

و من جهة أخرى: فإننا تعودنا من فريق بيته من الناس تعظيم مناؤي على «عليه السلام»، و منحهم الأوسمة، و إعطائهم الامتيازات، فما الذي جعل الحباب يستحق هذه الأوسمة منهم يا ترى؟!

فهل تمكن الذين حكموا بعد رسول الله «صلى الله عليه و آله» من اجتذابه إلى جانبهم، فاستحق بذلك أن ينال بعض هذا الثناء، فيكون الرجل الرشيد، و صاحب الرأى السديد، دون الرسول «صلى الله عليه

(١) الإمامة و السياسة (ط سنة ١٣٥٦ ه بمصر) ج ١ ص ٩.

(٢) قاموس الرجال ج ٣ ص ٤٦ عن شرح النهج للمعترلى ج ٦ ص ٤٠ و الغدير للأميني ج ٧ ص ٧٦.

(٣) الإمامة و السياسة (ط سنة ١٣٥٦ ه بمصر) ج ١ ص ٧ و شرح النهج للمعترلى ج ٢ ص ٢٤ و ج ٦ ص ٩ و صحيح البخارى كتاب الحدود باب رجم الجلى من الزنى، و الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٥ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ حادث سنة ١١ هـ. و الإحتجاج للطبرسى ج ١ ص ٩٢.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٣٦

و آله»، حتى ليدعون أنه حين نزل النبي «صلى الله عليه و آله» في بدر، استنادا إلى رأى نفسه، و أشار هو عليه «صلى الله عليه و آله» بالنزول في موضع آخر، نزل جبرئيل «عليه السلام»، فقال: الرأى ما أشار به حباب «أ».

ج: حديث الراحلة:

١- و كما كانت ناقه رسول الله «صلى الله عليه و آله» مأمورة بتحديد المواقع كما جرى في الحديثة، و حين وصوله «صلى الله عليه و آله» إلى المدينة مهاجرا من مكة، فقد كان لناقته «صلى الله عليه و آله» دور أيضا في واقعة خير. فإنها كانت مأمورة حين قامت تجر بزمامها حتى انتهت إلى موضع بعينه، فبركت فيه، فتحول «صلى الله عليه و آله» إليه. و تحول الناس معه، و اتخذوا ذلك الموقع معيساً.

و كانت هذه إشارة كافية لتعريف الناس برعاية الله تعالى لهذه المسيرة، و رضاها عنها .. فلتسكن القلوب إذن، و ليطمئن الناس إلى ما يختاره الله تعالى لهم. فالمقتول في هذه المعركة شهيد، و الباذل مهجه في سبيل الله مجاهد .. و ما هي إلا إحدى الحسينين: إما النصر، و إما الشهادة!!.

٢- و حديث الراحلة هذا يكذب الرواية الأخرى التي زعمت: أن النبي «صلى الله عليه و آله» قد طلب من محمد بن مسلم: أن يبحث لهم عن مكان يتزلون فيه، فطاف حتى أتى الرجيع فاختاره له، فانتقل «صلى الله عليه و آله» إليه ..

(١) قاموس الرجال ج ٣ ص ٤٤.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٣٧

فإننا لا نجد في رواية الراحلة أية دواع للکذب، و الافتعال، بينما تكون هذه الدواعي متوفرة بالنسبة لمحمد بن مسلم، حسبما أشرنا إليه عدة مرات، و ربما نشير إلى ذلك أيضا فيما يأتي ..

٣- بل إن بعض النصوص قد صرحت: بأنه «صلى الله عليه و آله» قد اختار ذلك المكان ليحول بين أهل خير و غطفان .. و ربما تكون الراحلة، قد حددت الموضع، ثم جاء التصريح من النبي «صلى الله عليه و آله»: بأن التزول في ذلك المكان بعينه سوف يقطع طريق الاتصال بين اليهود، و بين غطفان ..

د: بناء المسجد في خير:

وليس من قبيل الصدفة: أن يبادر رسول الله «صلى الله عليه و آله» لبناء مسجد له في خير، فإن ذلك يتضمن الإيحاء للمسلمين بالنتائج الإيجابية لهذه الحرب التي يقدمون عليها. كما أنه إشارة، بل إعلان ليهود خير بفتحه «صلى الله عليه و آله» بالنصر عليهم، و بظهور الإسلام في بلادهم رغم عنهم ..

صوایة تدبیر اليهود:

قالوا: «ابتدأ رسول الله «صلى الله عليه و آله» من حصونهم بحصون النطاء. و قيل: ابتدأ بحصون الكتبية؛ لأنهم أدخلوا عيالهم و أموالهم في حصون الكتبية، و جمعوا المقاتلة في حصون النطاء» «١».

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٣.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ١٣٨: غير أنها لم نستطع أن نقنع أنفسنا بصوایة هذا التدبیر، فإن فصل العيال عن المقاتلين بهذا النحو قد يعطى الفرصة للجيش المهاجم لتکلیف طائفه من مقاتليه بمشاغل المقاتلين في حصن النطاء، ثم تولى فئة أخرى مهاجمة الحصن الذي فيه العيال والأموال، و فتحه، و الاستیلاء على ما و من فيه ..

وبذلك يكونون قد عرضوا أنفسهم لضربة قاصمة على الصعيد النفسي على أقل تقدير. و من جهة ثانية نقول: ماذا لو أن الجيش المهاجم اختار أن يهاجم الحصن الذي فيه المال و العيال بكل جنوده، أو اختار حصنا آخر غير حصن النطاء و الكتبية، ليهاجمه، فما الذي يصنعه الجيش المتجمع في حصن النطاء؟! هل سيترك موقعه، و يبادر لنجدء مقاتلي الحصن الآخر؟!

و هل سوف يصرح للجيش المهاجم، و يلاقيه في الصحراء، أو بين أشجار النخيل؟ أم سوف يبقى معتصما بالحصن الذي هو فيه، و يكتفى بالرمي من فوق الأسوار؟! من أجل ذلك نقول:

لعل الحقيقة هي: أن اليهود قد وضعوا عيالهم و أموالهم، و رجالهم في الحصن الأقوى بنظرهم. و وضعوا قسما من رجالهم في أول حصن يتوقعون مهاجمة الجيش القادم له .. على أمل أن يتمكنوا من حفظ تلك الحصون من أخذ المهاجمين لها، و الاستفاده منها في إذلالهم، و قهرهم.

كما أن تواجدهم في تلك الحصون قد يربك المسلمين، و يوهمهم صعوبة تحقيق النصر، و يبعث في نفوسهم اليأس من الظرف، و يحملهم على

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ١٣٩: التفكير بالرجوع عنهم بلا نتيجة، أو بنتيجة هي لصالحهم في جميع احتمالاتها و وجوها ..

قطع نخيل النطاء:

قالوا: «و أمر «صلى الله عليه و آله» بقطع نخيل أهل حصون النطاء؛ فوقع المسلمون في قطعها، حتى قطعوا أربع مائة نخلة، ثم نهاهم عن القطع، فما قطع من نخيل خير غيرها» «١».

بل لقد زعموا: أن الحباب بن المنذر هو الذي أشار على النبي «صلى الله عليه و آله» بقطع النخيل، لأن النخيل أحب إلى اليهود من

أبكار أولادهم، فأمر «صلى الله عليه و آله» بقطع النخل، فوق المسلمون في قطعها حتى أسرعوا في ذلك، فجاء أبو بكر إلى النبي «صلى الله عليه و آله»، وقال له: يا رسول الله، إن الله عز و جل قد وعدكم خير، وهو منجز ما وعدكم. فلا تقطع النخل. فأمر منادي رسول الله «صلى الله عليه و آله» فنهى عن القطع ^(٢). وفي نص آخر: أن الذي طلب من النبي «صلى الله عليه و آله» عدم قطع النخيل هو عمر ^(٣).

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٤ والإمتناع ص ٣١١ والمعاذى للواقدى ج ٢ ص ٦٤٤ و ٦٤٥ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٦.

(٢) راجع: المعاذى للواقدى ج ٢ ص ٦٤٤.

(٣) السير الكبير للشيبانى ج ١ ص ٥٥ و تدوين القرآن ص ٢٧.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٤٠

و نقول:

إن ذلك غير مقبول، لأن النبي «صلى الله عليه و آله» لم يكن ألعوبة بأيدي الآخرين، وكان أعلم الناس بالمصالح والمفاسد، وبالتدبر الصحيح.

و مع ذلك نقول:

- إن رسول الله «صلى الله عليه و آله» كان يوصى سراياه و بعوته بأن لا يقطعوا شجرا ^(١).

- لماذا أمرهم بقطع نخيلهم في خصوص حصن النطاء دون سواها؟ مع أن النخيل في حصن الكتبية كان أكثر بكثير، فقد قيل - كما تقدم: إنه كان فيها أربعون ألف عذق.

٣- لماذا عاد فنهاهم عن موافقة قطع النخيل، مع أنهم لم يقطعوا سوى أربع مائة نخلة؟! فهل هو قد وجد: أن قطع النخيل لم يكن صوابا؟! أو لم يكن راجحا؟! ثم تبين له الصواب و الراجح !!

٤- إذا كانت مشورة أبي بكر هي التي منعته من موافقة القطع ..

فلماذا أدرك أبو بكر ما لم يدركه رسول الله «صلى الله عليه و آله»؟!

و لماذا كانت النبوة من نصيب الذي قصر فهمه عن إدراكه هذا الأمر، و حرم ذلك الرجل الراجح العقل من هذا المقام؟!

(١) الكافي ج ١ ص ٣٣٤ و ٣٣٥ و ج ٥ ص ٣٠ و البحار ج ١٩ ص ١٧٧ - ١٧٩ و راجع: مسنـد أـحمد ج ١ ص ٣٠٠ و التـهـذـيـب للطـوسـيـ ج ٦ ص ١٣٨ و الأـموـالـ ص ٣٥ و تـذـكـرـةـ الفـقـهـاءـ ج ١ ص ٤١٢ و ٤١٣ و مـنـتـهـيـ المـطـلـبـ ج ٢ ص ٩٠٨ و جـواـهـرـ الـكـلامـ ج ٢١ ص ٦٦ و الوـسـائـلـ ج ١١ ص ٤٣ و ٤٤ و المـحـاسـنـ لـلـبـرـقـىـ ص ٣٥٥.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٤١

٥- وإذا كان قطع النخيل يرضي الله تعالى، فلماذا أطاع النبي «صلى الله عليه و آله» أبا بكر؟!

و إذا كان لا يرضي الله تعالى فلماذا أطاع العجب؟!

و كيف يصح هذا و ذاك، و النبي «صلى الله عليه و آله» لا يقول ولا يفعل إلا ما يرضي الله سبحانه؟!

فالظاهر هو: أنه «صلى الله عليه و آله» قد أمر بقطع بعض النخلات استجابة لضرورات الحرب، لاحتياج العسكر إلى الفسحة المناسبة، حيث لا عائق له عن الحركة، و لا موانع من الرصد الدقيق لتحركات العدو، و غير ذلك من موجبات.

عن الصحاح الأنصاري، قال: لما سار النبي «صلى الله عليه و آله» إلى خير جعل علياً «عليه السلام» على مقدمته، فقال «صلى الله عليه و آله»: من دخل النخل فهو آمن.

فلما تكلم النبي «صلى الله عليه و آله» نادى بها على «عليه السلام»، فنظر النبي «صلى الله عليه و آله» إلى جبرائيل يضحك، فقال: ما يضحكك؟!
قال: إنني أحبه.

فقال النبي «صلى الله عليه و آله» لعلي «عليه السلام»: إن جبرائيل يقول إنه يحبك!
قال «عليه السلام»: بلغت أن يحبني جبرائيل؟

قال «صلى الله عليه و آله»: نعم، و من هو خير من جبرائيل، الله عزّ
الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ١٤٢
و جل ١.

ونقول:

إن لنا مع ما تقدم عدة وقوف، هي التالية:

من دخل النخل فهو آمن:

لقد تضمن هذا النص: أمرا هاما، من حيث دلالته الصريحة على: أنه «صلى الله عليه و آله» لم يكن يقاتل اليهود، لأنّه اتخذ قرارا مسبقا بقتلهم و يابادتهم، أو بقهرهم، و الاستيلاء على بلادهم، و قد جاء الآن لتنفيذ هذا القرار.

كما أنه قد تضمن إعطاء الأمان للناس من دون أي شروط، و الاعتكاف بمجرد إظهار الرغبة في الدخول في الأمان ..

و هذا يعطى: أنه «صلى الله عليه و آله» لم يكن يريد أن يستفيد من قوته العسكرية الضاربة لفرض شروطه على محاربيه، بل كانت شروطه هي تلك الشروط، التي يسعى إليها كل إنسان بحسب سجنته و فطرته العامة، و هي كل ما يقتضيه العدل و الإنفاق للناس.

و هذا يدل: على أن الهدف هو مجرد التخلص من الفتنة، و درء الأخطار، و إعادة تصحيح الأوضاع لصالح السلم، و إشاعة الأمن، و ضمان الحرية في نطاق الانضباط و الالتزام بالحدود، و الوفاء بالعهود، و المواثيق.

ثم إن هذه الشروط قد أعطت الإيحاء للعدو: بأن ثمة يقينا بالنصر، و بأن عليهم أن يراجعوا حساباتهم، فلا تغرنهم عدتهم، و لا عديدهم ..

(١) أسد الغابة ج ٣ ص ٣٤

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ١٤٣

كما أن وجود هذا الخيار، و ظهور الميل إليه لدى بعض الفئات المحاربة، سوف يضعف الثقة فيما بينهم، و يخل بإمكانية الاعتماد على بعضهم البعض، حين يبقى احتمال رغبة الناس بالأمان و احتمال أن يبادر إلى التماسه كل فرد منهم، مثلاً أمامهم، يثير القلق في نفوسهم، و يضعف تأثير قراراتهم في تسكين النفوس، و في الشعور بالأمن، و بالطمأنينة للسلامة، و الثقة بالنصر، و بالتناصر ..

يضاف إلى ذلك: أنه قد يكون هناك أناس مستضعفون مغلوبون على أمرهم، يقهرهم الأقوياء على موقف لا يريدونها، و يسخرونهم لتحقيق مآربهم، فيكون إعطاء هذا الأمان فرصة لهم يعيد إليهم الخيار، و يمكنهم من الاختيار، و بذلك يصبحون هم الذين يتحملون المسؤولية لو خاضوا تلك الحرب، و ارتكبوا أي خطأ، أو ذنب.

وليس لهم أن يعتذروا بالاستضعف، و انسداد أبواب الخيارات الصحيحة أمامهم.

جعل عليه السلام على المقدمة:

و إن جعل قيادة ذلك الجيش إلى على «عليه السلام» هو في حد ذاته أحد مفردات الحرب النفسية، الشديدة التأثير على الأعداء، الذين يعرفون عليا «عليه السلام»، وقد أذاقهم سيفه ال威يلات، و حلت بهم منه الكوارث والنكبات. و هو أيضا يعطي المسلمين المزيد من القوة والاندفاع، و الثقة بالنصر ..

التشكيك في قيادة على عليه السلام:

و قد حاول بعضهم التشكيك بجعل على «عليه السلام» على مقدمة الجيش.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ١٤٤

فقد قال الديار بكرى: «و استعمل على مقدمة الجيش عکاشة بن محسن الأسدى، و على الميمنة عمر بن الخطاب، و على الميسرة واحدا من أصحابه، و فى بعض الكتب على بن أبي طالب.

و هذا غير صحيح: لأن الروايات الصحيحة تدل على: أن عليا في أوائل الحال لم يكن في العسكر. و كان به رمد شديد. و لما لحق بالعسكر، أعطاه الرأي، و أمره على الجيش، و قع الفتح على يده كما سيجيء» انتهى «١».

و نقول:

إن لنا على ما ذكره بعض المؤاخذات:

فأولا: إن دعوه: أن النبي «صلى الله عليه و آله» قد جعل عمر بن الخطاب على الميمنة غريبة حقا، فإننا لم نعهد في هذا الرجل طيلة حياته مع رسول الله «صلى الله عليه و آله» أية مواقف شجاعية، تؤهل له هذا المقام الخطير.

و قد كنا نتوقع: أن يذكروا هنا أشخاصا آخرين ممن لهم بهم هوى، حتى لو كان سعد بن عباده، أو الحباب بن المنذر، أو الزبير، الذي شفت له عندهم حرب الجمل التي قادها ضد على «عليه السلام»، أو محمد بن مسلمة، لأننا نعلم: أن لهم عنائية خاصة بأمثال هؤلاء، و حرضا على تسطير الفضائل والكرامات لهم.

و أما أبو دجانة، و المقداد، و نظراؤهم من الذين كان لهم ميل إلى على «عليه السلام»، فلا نكاد نشعر بأن لهم نصيبا في شيء من ذلك ..

و لعلهم قد أبهموا اسم الذي كان على الميسرة لأنه كان في جملة هؤلاء

(١) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٢.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ١٤٥

الذين لا يحجبون ذكرهم في أمثال هذه المواقف، و لم يكن ثمة مجال لتبديله بغيره، لشدة ظهور أمره للناس.

ثانيا: سيأتي إن شاء الله تعالى: أن عليا «عليه السلام» كان على رأس جيش رسول الله «صلى الله عليه و آله» من حين خروجه من المدينة، و قد طال مقامه في خير عشرات الأيام، و ربما بلغ أشهرا، فالمرد لم يصب عليا «عليه السلام» كل هذه المدة الطويلة، بل أصابه قبل قتل مرحبا بوقت يسير، و إنما قتل مرحبا في أواخر، بل في آخر أيام خير، و بعد حصار حصونهم المختلفة عشرات الأيام ..

بل لقد حاصر حصن القموص نفسه عشرين يوما كما سيأتي.

و سيأتي أيضاً في الفصل الثالث في فقرة «الرايات بدأت في خير»: أنه «صلى الله عليه و آله» قبل أن يبدأ القتال في حصن ناعم قد أعطى لواءه إلى على «عليه السلام» .. و حصن ناعم هو أول حصون خير فتحا ..

على عليه السلام يسمع الناس أقوال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

و قد لوحظ: أن علياً «عليه السلام» هو الذي تولى إسماع الناس ما تكلم به النبي «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» .. و كان هذا الأمر قد جاء وفق توجيه مسبق ينطوي هذه المهمة بعلى «عليه السلام».

لأننا نعلم: أن علياً «عليه السلام» لا يمكن أن يقدم على أمر، إذا لم يكن هناك توجيه من رسول الله «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ».

و قد ثبت ذلك بصورة قاطعة في نفس غزوة خير، حين قال له النبي «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»: اذهب ولا تلتفت، فسار قليلاً، ثم قام ولم يلتفت،

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٤٦
فقال «عليه السلام»: علام أقاتلهم، كما سيأتي إن شاء الله ..

جبرئيل يحب علياً عليه السلام:

ثم يأتي إخباره «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» عن ضحكت جبرئيل حين نادى «عليه السلام» في الناس بكلامه «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ».

فإن ما يثير الانتباه هو: أن ذلك قد جاء توطئة للإعلان بحب جبرئيل «عليه السلام»، و حب الله تعالى لأمير المؤمنين «عليه السلام»، و هو الحب الذي لم يوجب له «عليه السلام». أي نوع من أنواع الغور غير المقبول، بل هو قد بادر إلى هضم نفسه، و لم يعطها مداها، و لا أتاح الفرصة لأن يتوجه أي كان أن لها أي دور، أو تأثير سلبي في أي شأن من شأنه «عليه السلام» ..

مع أنه هو الذي سيفتح الله تعالى خير على يديه، و سوف يتمني المنهزمون الذين كانوا يحبون أصحابهم، و يحبونهم أصحابهم: أن يعطيهم الرسول «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» الراية، التي لا نشك في أنها لو حصلوا عليها، فسوف يفرون بها من جديد، مرة بعد أخرى .. وقد جاء بيان ذلك كله .. في سياق إعطاء الأمان لمن دخل النخل، ليكون ذلك بمثابة إعلان لهم: بأن هذا الذي سوف يقتل فرسانهم، و يفتح حصونهم، هو إنسان قريب من الله سبحانه و هو له حبيب .. و ليس مجرد فارس شجاع، و بطل فاتك، لا - يبالى بإذهاق الأرواح، و لا يهدف في حربه تلك إلى أن يفرض إرادته على الآخرين بالجبروت و بالقهر، و قوة السلاح ..

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٤٧

الفصل الثالث: فتح حصن ناعم

إشارة

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٤٩

حضار حصن ناعم:

قال ابن إسحاق، و محمد بن عمر، و ابن سعد: و فرق رسول الله «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» الرايات، و لم تكن الرايات إلا يوم خير، و إنما كانت الأولية «١».

و كانت رأيَة رسول الله «صلى الله عليه و آله» سوداء من برد لعائشة، تدعى العقاب، ولواؤه أبيض، دفعه إلى على بن أبي طالب «عليه السلام»، و دفع رأيَة إلى الحباب بن المنذر، و رأيَة إلى سعد بن عبادة. و كان شعارهم: «يا منصور أمت» ^(٢).

و أضاف الحلبي: رأيَة إلى أبي بكر، و رأيَة إلى عمر ^(٣). ثم صف رسول الله «صلى الله عليه و آله» أصحابه، و عظامهم، و نهاهم

(١) سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١٢٠ و أخرجه البيهقي في الدلائل ج ٤ ص ٤٨ و ذكره ابن حجر في المطالب العالية (٤٢٠٢) و السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٥ والإمتناع ص ٣١٣ و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٦٤٩.

(٢) سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١٢٠ و في الهاشم قال: أخرجه البيهقي في الدلائل ج ٤ ص ٤٨ و ذكره ابن حجر في المطالب العالية (٤٢٠٢) و الواقدي في المغازى ج ٢ ص ٦٤٩ و راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٥ والإمتناع ص ٣١١ و ٣١٣.

(٣) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٥.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٥٠ عن القتال حتى يأذن لهم، فعمد رجل من أشجع، فحمل على يهودى فقتله، فقال الناس: استشهد فلان. فقال رسول الله «صلى الله عليه و آله»: «أبعد ما نهيت عن القتال؟». قالوا: نعم.

فأمر رسول الله «صلى الله عليه و آله» مناديا فنادى في الناس: «لا تحل الجنة ل العاص».

وروى الطبراني في الصغير، عن جابر: أن رسول الله «صلى الله عليه و آله» قال يوم خير: «لا- تتمنوا لقاء العدو، و اسألوا الله تعالى العافية، فإنكم لا تدركون ما تبتلون به منهم، فإذا لقيتموهن قولوا: اللهم أنت ربنا و ربهم، و نواصينا و نواصيهم بيدهك، و إنما تقتلهم أنت».

ثم الزموا الأرض جلوسا، فإذا غشوكم فانهضوا، و كبروا» و ذكر الحديث ^(١).

وقالوا: إن مرحبا هو الذي قتل ذلك الرجل الأشجعى ^(٢).

و أذن رسول الله «صلى الله عليه و آله» في القتال، و حثهم على الصبر،

(١) المستدرك للحاكم ج ٣ ص ٣٨ و مجمع الزوائد ج ٥ ص ١٥١ و المعجم الصغير للطبراني ج ٢ ص ١١ و عيون الأثر ج ٢ ص ١٣٦ و سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١٢٠ و في هامشه عن: مسلم في الجهاد باب ٦ رقم (٢٠)، و نحوه عند البخاري في الصحيح حديث (٧٢٣٧) و سنن الدارمي ج ٢ ص ٢١٦ و المصنف لعبد الرزاق (٩٥١٣) (٩٥١٨) و سنن أبي داود في الجهاد باب ٩٧ و السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٤ و راجع: الإمتناع ص ٣١٢.

(٢) الإمتناع ص ٣١٢ و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٦٤٩.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٥١:

و أول حصن حاصره حصن ناعم، و قاتل «صلى الله عليه و آله» يومه ذاك أشد القتال، و قاتله أهل النطأة أشد القتال، و ترس جماعة من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه و آله» عليه يومئذ، و عليه- كما قال محمد بن عمر- درعان، و بيضة، و مغفر، و هو على فرس يقال له: الظرب، و في يده قناه و ترس ^(١).

و تقدم في حديث أنس: أنه كان على حمار، فيحتمل أنه كان عليه في الطريق، ثم ركب الفرس حال القتال. و الله أعلم.

و جعلت نبل يهود تختال العسر و تجاوزه، و المسلمين يلقطون نبلهم ثم يردونها عليهم. فلما أمسى رسول الله «صلى الله عليه و آله» تحول إلى الرجيع، و أمر الناس فتحوا، فكان رسول الله «صلى الله عليه و آله» يغدو بالمسلمين على راياتهم حتى فتح الله الحصن عليهم.

و روى البيهقي من طريق عاصم الأحول، عن أبي عثمان الفهرى، و عن أبي قلابة. و أبو نعيم، و البيهقي، عن عبد الرحمن بن المرقع.

و محمد بن عمر، عن شيوخه: أن المسلمين لما قدموا خير كان التمر أخضر، و هي و بيئة و خيمة، فأكلوا من تلك الشمرة. فأحمدتهم الحمى، فشكوا إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله»، فقال: «قرسو الماء في الشنان- أي القرب- فإذا كان بين الأذنين- أي أذانى الفجر- فاحذروا الماء عليكم

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٣ ص ١٢٠ و السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٤ و الإمتناع ص ٣١٣ و المغازى للواقدى ج ٢ ص ٦٤٤ و راجع: الغدير للشيخ الأميني ج ٧ ص ٢٠٤.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٥٢
حدرا، و اذكروا اسم الله تعالى». ففعلوا، فكأنما نشطوا من العقل «١». و نقول:

على فرس، أو على حمار؟!

قد ذكر آنفا: أنه «صلى الله عليه و آله» كان على فرس اسمه «الظرب» و هذا لا ينافي أنه «صلى الله عليه و آله» كان في خير على حمار، مخطوط برسن من ليف ..

فلعل ركوبه الحمار كان في مسيرة إلى خير، و في غير ساحة القتال ..
بل لقد صرحت رواية ركوبه الحمار: بأن ذلك كان و هو متوجه إلى خير، فراجع «٢».

و قد تقدم بعض الحديث عن ذلك فلا نيد .. الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى ج ١٧ ١٥٢ قتال رسول الله صلى الله عليه و آله في خير: ص: ١٥٢ و جاء في الروايات الآنفة الذكر: أنه «صلى الله عليه و آله» قاتل يومه ذاك أشد القتال. مع أنهم يقولون: إنه «صلى الله عليه و آله» لم يباشر القتال بنفسه إلا في واقعة أحد.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٢٠ و ١٢١ و في هامشه عن: ابن أبي شيبة ج ٧ ص ٤٥٤ و السيرة الحلبية ج ٣ ص ٥٣ و المغازى للواقدى ج ٢ ص ٦٤٤.

(٢) راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٤.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٥٣
يضاف إلى ذلك: أنه لو كان قد باشر القتال بنفسه لكان قد قتل أو جرح أحدا من المشركين، و لكن أحدا لم يذكر ذلك، مع أن هذا الأمر مما تتوفّر الدواعي على نقله.

و قد يجحب عن ذلك: بأن المراد: أنه «صلى الله عليه و آله» قد قاتل بجيشه أشد قتال «١».

و يجحب أيضا: بأنه ليس بالضرورة أن يكون ما ذكروه من أنه «صلى الله عليه و آله» لم يقتل أحدا في غير غزاة أحد صحيحا، فإنهم

ذكروا هنا أيضاً - كما سيأتي -: أنه «صلى الله عليه و آله» رمى بسهم فما أخطأ رجلاً منهم ».٢.

الرايات بدأت في خير:

ثم إنهم قد أدعوا: أن رأي رسول الله «صلى الله عليه و آله» تسمى العقاب، وأن الرايات بدأت من خير، وأن اللواء غير الرأي، وأن لواء رسول الله «صلى الله عليه و آله» كان أيضاً، وهو الذي أعطاه لعلى «عليه السلام» في خير .. و نقول:

أولاً: ذكروا: أن اللواء الذي دفعه «صلى الله عليه و آله» إلى على «عليه السلام» يوم خير - و كان أيضاً - كان يقال له: العقاب أيضاً .٣.

ألا يفيد ذلك: أن اللواء هو نفس الرأي؟!

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٤.

(٢) سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١٢٢.

(٣) راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٦ عن سيرة الدمشي.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ١٧، ص: ١٥٤:

ثانياً: قد صرحت الروايات: أنه «صلى الله عليه و آله» أعطى اللواء لعلى في قضية قتل مرحباً، وفتح خير ..

مع أن عبارة النبي «صلى الله عليه و آله» التي تناقلتها الروايات الكثيرة هي: «لأعطي الرأي غداً رجلاً يحب الله و رسوله الخ ..».

كما أنه «صلى الله عليه و آله» قد قال لعلى «عليه السلام»: خذ هذه الرأي و تقدم «١».

إلا أن يجاب عن هذا الأمر الأخير: بأنه «صلى الله عليه و آله» قد أعطاه الرأي و اللواء معاً ..

ثالثاً: لقد صرحت الروايات التي ذكرناها في أوائل غزوة أحد: بأن لواء رسول الله «صلى الله عليه و آله» (أو رايته) - فقد عبرت

الروايات بهذا تارة و بذاك أخرى - كانت مع على «عليه السلام» في جميع المشاهد.

فلا معنى للتferيق بين اللواء و الرأي، ثم توزيع هذه أو تلك على هذا الرجل أو ذاك، وفقاً لبعض الإعتبارات التي يراد التسويق لها.

(١) راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٦ و كشف الغطاء ج ١ ص ١٥ و شرح الأخبار للقاضي النعمان ج ١ ص ٣٠٢ و العمدة لابن

البطريق ص ١٥٣ و الطرائف لابن طاووس ص ٥٧ و الصوارم المهرقة للتسيري ص ٣٥ و البحار ج ٣٩ ص ٩٠ و بغية الباحث ص ٢١٨

و المعجم الكبير للطبراني ج ٧ ص ٣٥ و الثقات لابن حبان ج ٢ ص ١٣ و الكامل لابن عدى ج ٢ ص ٦١ و تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢

ص ٨٩ و البداية و النهاية ج ٧ ص ٣٧٣ و السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٧٩٨.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ١٧، ص: ١٥٥:

الزموا الأرض جلوساً:

و حول أمر النبي «صلى الله عليه و آله» لهم بلزم الأرض، ثم النهوض، و التكبير ..

نقول:

ألف: إن جلوسهم في البداية ربما يشير رغبة العدو في اغتنام الفرصة و الهجوم عليهم، لأن حالة الجلوس قد تجعل هذا العدو يشعر بأن

له هيمنة على الموقف، وأن الذين هم أمامه أقل حجماً وأضعف قدرة منه، فإذا بادر إلى الهجوم عليهم، وفوجئ بقيامهم، فإن انقلاب الصورة بسرعة سوف يحدث إرباكاً لدى هذا العدو المهاجم من حيث إيجاب ذلك تبدلاً سريعاً في مشاعره وارتجاجات قد تعيق - ولو للحظات - سيطرته على الموقف، واتخاذ القرارات المناسبة للحظة المناسبة في هذا الوضع المستجد .. فإذا صاحب ذلك تكبير هؤلاء الناهضين، فإن ذلك سيزيد من تراحم الصور، واحتلالها، وسوف تظهر علامات الفوضى والإرباك، وقدان القدرة على التمييز بين ما هو حسنى وبين ما هو ذهنى، مما له اتصال بالفكر والمشاعر، والتصورات العقائدية، بالإضافة إلى حالات من الهواجس المبهمة التي توقظ مشاعر الخوف على النفس، وتستدعي استحضار ما يفيد في حفظها، ودفع الأخطار التي تراحم احتمالاتها في مخيلتهم ..

نداء لا تحل الجنة ل العاص:

وقد تقدم أيضاً أنه «صلى الله عليه و آله» كان قبل ذلك أمر بلا فنادى: لا تحل الجنة ل العاص، و ذلك حين خرج رجل على جمل صعب،

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٥٦
فصروعه فمات.

و ها هم يقولون هنا: إنه «صلى الله عليه و آله» قد أمر منادياً لينادي بنفس النداء، وفي نفس غزوة خير أيضاً، و ذلك في شأن رجل من أشجع، حمل على يهودي فقتله اليهودي !!
فهل جرى هذا النداء مرتين؟!

ألم يكن المفروض: أن يتعلم الناس من النداء الأول، فلا يقدم أحد منهم على معصية رسول الله «صلى الله عليه و آله»؟! ..
و ربما يجاب عن هذا السؤال بالإيجاب، فيقال:

إن النداء في المرة الأولى لا يكفي للردع عن المخالفه في المرة الثانية؛ لأن النداء في المرة الأولى قد يفهم أنه نداء على أمر يعتقدون أن المخالفه فيه لا تشكل خطراً كبيراً، لأنها تكون في أمر هو أقرب إلى الأمور الشخصية التي تعنى ذلك الراكب نفسه.
و ينظر الناس إلى الأوامر والنوافى في مثله على أنها مجرد إرشادات و نصائح لا تشدد فيها. بخلاف موضوع إشعال نار الحرب بين الجيшиين، بالمبادرة إلى البراز، فإن اتخاذ قرار القتال بصورة منفردة و شخصية، و من دون مراجعة القيادة لا يمكن قبوله من أحد، لأنه قد يورط القيادة و يسوق الأمور إلى خلاف ما ترمى إليه، وقد يفسد عليها خططها، و يبطل تدبرها ..
إذن .. فقد لا يكون النداء الأول كافياً لردع الناس عن المخالفه الأقوى و الأشد ..
و نقول:

إنه إذا ثبت أن المخالفه في ذلك الأمر العادى محرمة، وأنها توجب
الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٥٧

تحريم الجنة على العاصي، فإن ثبوت هذا التحريم للجنة في الأمر الثاني، يصبح أمراً بدبيهياً، ولا يصح ارتكابه من أحد ..
فإذا حصل ذلك، فإن النداء بتحريم الجنة على مرتکبه يكون أشد ضرورة، و أكثر إلحاحاً. و لا سيما إذا كان من يبادر إلى القتال، قد ساقه إلى ذلك حبه للشهادة، و شدة شوقه إلى الله و حنقه على أعدائه تبارك و تعالى.

الإنضباط ضرورة لا تقبل الجدل:

و على كل حال: فإن هذا الأمر إذا كان قد حصل من ذلك الرجل فعلا، فإنه يكون عملاً بالغ الخطورة، من حيث إنه يصدر قرارات القيادة، و يمهد لاستلاب زمام الأمور من يدها، و إضعاف هيمنتها، و إسقاط هيبتها، وقد يسعى الأعداء للتأثير على قراراتها بمثل هذه الأساليب بالاستفادة من عناصر مدسوسه، و وفق خطط مدروسة.

هذا عدا عن أن ذلك سوف يجعل القيادة تضيع في متهاهات أهواء الناس، و اختلاف أذواقهم و مشاربهم، فلا تعرف كيف تخطط، و لا ماذا تقرر، و لا كيف تفكـ ..

من أجل ذلك: فإن لانصباط الدور العظيم في إنجاح أية قضيـة، و لا بد أن تكون عقوبة من يخل بهذا الأمر كبيرة بحجم الفساد الذي تحدثه مخالفته، و يفرضه إخلاله ..

تمني لقاء العدو:

و إذا ألقينا نظرة على الدعاء الذي طلب «صـلـى اللـهـ عـلـيـهـ وـ آـلـهـ» من أصحابه أن يدعوا به ربـهم عند لقاء العدو، فسوف تظهر لنا أمور كثيرة،

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملـى، ج ١٧، ص: ١٥٨

نذكر منها ما يلى:

الفـ: إن تمـنى لقاء العدو، و إهمـال التـفـكـيرـ في تـلـافـيـ الحـربـ بـوـسـائـلـ الإـقـنـاعـ أوـ نـحـوـهـاـ معـناـهـ: تـرـجـيـخـ خـيـارـ سـفـكـ دـمـاءـ النـاسـ المـعـارـضـينـ وـ التـخـلـصـ مـنـهـمـ بـأـسـلـوـبـ القـتـلـ وـ التـدـمـيرـ، عـلـىـ خـيـارـ السـلـمـ، وـ الـوـئـامـ، وـ عـلـىـ بـذـلـ الجـهـدـ فيـ مـحاـولـاتـ إـقـنـاعـ حـيـثـ وـ مـتـعـاقـبـةـ، يـمـكـنـ أـنـ تـكـوـنـ ذـاتـ أـثـرـ فـيـ حـسـمـ الـأـمـورـ.

معـ أنـ مـاـ يـسـعـيـ إـلـيـ إـلـيـ إـسـلـامـ هوـ اـسـتـصـالـ لـلـنـاسـ، وـ لـيـسـ اـسـتـصـالـ لـهـمـ، إـلـاـ إـذـاـ فـقـدـتـ جـمـيـعـ فـرـصـ إـلـصـالـ، وـ أـصـبـحـ وـجـودـهـمـ مـضـرـاـ بـالـإـنـسـانـ وـ إـلـيـانـيـةـ.

بـ: إنـ الـاستـهـتـارـ بـقـدـرـاتـ الـعـدـوـ يـجـرـ إـلـىـ كـوـارـثـ وـ نـكـباتـ رـبـماـ لـمـ يـحـسـبـ لـهـ حـسـابـ.

وـ هـذـاـ نـوـعـ مـنـ السـذـاجـةـ الـاخـتـيـارـيـةـ، التـىـ تـصـلـ إـلـىـ حدـ التـفـريـطـ وـ التـقـصـيرـ غـيرـ المـقـبـولـ.. حـيـثـ يـؤـدـىـ إـلـىـ إـهـمـالـ كـثـيرـ مـنـ الـإـجـرـاءـاتـ الـاحـتـيـاطـيـةـ، التـىـ مـنـ شـأنـهـ أـنـ تـبـعـ شـبـحـ كـثـيرـ مـنـ الضـربـاتـ الـقـوـيـةـ التـىـ رـبـماـ يـكـونـ الـعـدـوـ قـدـ أـعـدـ لـهـ.

جـ: إنـ تمـنىـ لـقـاءـ الـعـدـوـ يـجـسـدـ شـعـورـاـ بـالـقـوـةـ الـذـاتـيـةـ، وـ رـبـماـ اـغـتـارـاـ بـالـقـدـرـةـ عـلـىـ التـصـرـفـ، وـ عـلـىـ التـأـثـيرـ الـمـسـتـقـلـ.. فـكـانـ لـاـ بـدـ مـنـ تـصـحـيـحـ هـذـهـ النـظـرـةـ بـالـاسـتـنـادـ إـلـىـ أـسـاسـ عـقـائـدـ مـتـيـنـ. يـسـتـنـدـ إـلـىـ الـاعـتـرـافـ: بـأـنـ اللـهـ تـعـالـىـ هـوـ الـمـتـصـرـفـ بـهـمـ، لـأـنـهـ الرـبـ وـ إـلـهـ.. وـ ذـلـكـ بـالـتـصـرـيـحـ أـوـ التـلـويـحـ بـأـمـرـيـنـ:

أـحـدـهـماـ: أـنـ رـبـوـيـتـهـ تـعـالـىـ لـلـجـمـيـعـ تـشـيرـ إـلـىـ: أـنـ حـقـ التـصـرـفـ مـنـحـصـرـ بـهـ سـبـحـانـهـ.. وـ أـنـ مـاـ يـفـعـلـهـ النـاسـ إـنـمـاـ هـوـ بـإـذـنـ مـنـهـ تـعـالـىـ، مـنـ خـالـلـ إـجـرـاءـ

الصـحـيـحـ مـنـ السـيـرـةـ النـبـيـ الـأـعـظـمـ، مـرـتضـىـ الـعـامـلـىـ، جـ ١٧ـ، صـ: ١٥٩ـ

سـنـةـ إـلـهـيـةـ جـعـلـتـ مـنـ إـرـادـةـ الـبـشـرـ حـلـقـةـ فـيـ سـلـسـلـةـ الـعـلـلـ، وـ مـنـ مـوجـاتـ الـفـيـضـ الـإـلـهـيـ لـلـوـجـودـ عـلـىـ بـعـضـ الـأـشـيـاءـ.

الـثـانـيـ: أـنـ ذـلـكـ التـصـرـفـ يـرـتـكـرـ إـلـىـ حـقـيـقـةـ: أـنـ نـوـاصـىـ كـلـاـ الـفـرـيقـيـنـ بـيـدـهـ تـعـالـىـ، فـهـوـ الـمـالـكـ الـحـقـيـقـيـ، وـ الـمـهـيـمـنـ عـلـىـ الـجـمـيـعـ مـوـقـعـ الـقـدـرـةـ، وـ الـقـاهـرـيـةـ؛ لـأـنـهـ رـبـ الـجـمـيـعـ.

يسـلـمـ الرـاعـىـ وـ تـعـودـ الـغـنـمـ:

روى البيهقي، عن جابر بن عبد الله، والبيهقي عن أنس، والبيهقي عن عروة، وعن موسى بن عقبة: أن عبداً حبشاً لرجل من أهل خيبر، كان يرعى غنماً لهم، لما رأهم قد أخذوا السلاح، واستعدوا لقتال رسول الله «صلى الله عليه وآله» سألهم: ما ت يريدون؟ قالوا: نقاتل هذا الرجل، الذي يزعم أنهنبي.

فوجع في نفسه ذكر النبي «صلى الله عليه وآله»، فخرج بعنه ليرعاها، فأخذوه المسلمون، فجاؤوا به لرسول الله «صلى الله عليه وآله». وفي لفظ ابن عقبة: أنه عمد بعنه إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فكلمه رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما شاء الله أن يكلمه.

فقال الرجل: ماذا تقول، وماذا تدعوه إليه؟

قال: «أدعوك إلى الإسلام، وأن تشهد أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله، وأن لا تعبد إلا الله».

قال العبد: و ماذا يكون لي إن شهدت بذلك، و آمنت بالله تعالى؟

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «لك الجنة إن آمنت على ذلك».

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٦٠

فأسلم العبد، وقال: يا رسول الله، إنني رجل أسود اللون، قبيح الوجه، متن الريح، لا- مال لي، فإن قاتلت هؤلاء حتى أقتل، أدخل الجنّة؟

قال: «نعم».

قال: يا رسول الله، إن هذه الغنم عندي أمانة، فكيف بها؟

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أخرجها من العسكرية، وارمها بالحصباء، فإن الله عز وجل سيؤدي عنك أمانتك».

ففعل، وأعجب رسول الله «صلى الله عليه وآله» كلمته، فخرجت الغنم تستند مجتمعة، كأن سائقاً يسوقها حتى دخلت كل شاء إلى أهلها، فعرف اليهودي: أن غلامه قد أسلم.

ثم تقدم العبد الأسود إلى الصف، فقاتل، فأصابه سهم قتله، ولم يصل لله تعالى سجدة قط، فاحتمله المسلمون إلى عسكرهم، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أدخلوه الفسطاط»، وفي لفظ: «الخباء».

فأدخلوه خباء رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى إذا فرغ رسول الله «صلى الله عليه وآله» دخل عليه، ثم خرج فقال: «لقد حسن إسلام صاحبكم، لقد دخلت عليه، وإن عنده لزوجتين له من الحور العين» «١».

وفي حديث أنس: فأتى عليه رسول الله «صلى الله عليه وآله» و هو

(١) سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١٢٩ و في هامشه عن: البيهقي في الدلائل ج ٤ ص ٢٢ و السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٣٤٤ و البداية و النهاية ج ٤ ص ١٩٠ و راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٩ والإمتاع ص ٣١٣ و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٦٤٩ و ٦٥٠ و المستدرك للحاكم ج ٢ ص ١٣٦ و السنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ١٤٣ و دلائل النبوة ص ١٨٨ و كنز العمال ج ١٦ ص ٧٤٣.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٦١

مقتول، فقال: «لقد حسن الله وجهك، و طيب ريحك، و كثُر مالك. لقد رأيت زوجتيه من الحور العين، ينزعان جبته يدخلان فيما بين جلدته وجنته» «١».

و عند ابن إسحاق: «ينفضان التراب عن وجهه، و يقولان: ترب الله وجه من تربك، و قتل من قتلتك» «٢».

و نقول:

أولاً: من الواضح: أنه إذا قامت الحرب بين فريقين، فأى مال يحصل عليه أحدهما فإنه يستولى عليه بعنوان أنه غنيمة. فلا يعقل أن

يخرج الراعي بالغنم إلى أى مكان يصل إليه جيش المسلمين؛ لأن ذلك معناه: أن يستولى المسلمون على ذلك الغنم فور رؤيتهم له ..

ولا يمهلون ذلك الراعي حتى يراجع أحدا في الأمر ..

بل إنهم سوف يعتبرون نفس ذلك الراعي أحد الغائبين، إن كان عبداً، أو يعتبرونه أسيراً إن لم يكن كذلك.

اللهم إلا أن يكون ذلك قد حصل في فترة المفاوضات، و السعي لإقامة الحجة على اليهود، حتى إذا لم يستجيبوا للداعي الله سبحانه، وأصرروا على معاندة الحق وأهله، وأعلنت الحرب، و تبادل الفريقان، فإن كل فريق سوف يسعى إلى حماية ماله، و وضعه في أماكن مأمونة، بعيداً عن متناول يد عدوه.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٢٩ و البداية والنهاية ج ٤ ص ٢١٨ و السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٦٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٣٠ و السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٨٠٦ و عيون الأثر ج ٢ ص ١٤٨.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٦٢.

ولكن ليس في الرواية ما يشير إلى ذلك، فيبقى مجرد احتمال معلق في الهاوة.

ثانياً: إن وصول الغنم إلى أصحابها بمجرد رميها بالحصباء قد يوجب يقين أصحاب تلك الغنم بأنهم محقون، و بأن الله تعالى هو الذي رد عليهم غنمهم، لأنه راض عنهم، ماض لطفه فيهم ..

وفي هذا إغراء بالعناد والتجاج، و التشبت بالباطل، و دخول الشبهة على المبطلين، فلا يعقل صدور عمل يؤدي إلى ذلك من رسول الله «صلى الله عليه و آله» ..

و أما الاعتذار عن ذلك: بأن عدم أخذهم لذلك العبد، إنما هو لعدم كونه محارباً، فهو اعتذار واه، لأن المفروض: أن جميع من هم في تلك المنطة، و يتربدون إلى الحصون هم من المحاربين لأهل الإسلام ..

والكلام إنما هو بالنسبة للناس العاديين، لا بالنسبة لرسول الله «صلى الله عليه و آله» المتصل باللوحي و الغيب.

و مما يوضحك التكلي احتمال البعض: أن النبي «صلى الله عليه و آله» إنما أرجع الغنم إلى الحصن بهذه الطريقة لكي يظهر لذلك العبد معجزة تقنعه بنبوته.

فإن الأئمorer لم تضق على رسول الله «صلى الله عليه و آله» إلى حد أنه يصنع معجزة من شأنها أن تعيد لليهود قطيعاً كبيراً من الغنم، بحيث يعود إليهم لوحده ..

وليس ثمة ما يدلهم على: أن رسول الله «صلى الله عليه و آله» هو الذي أرجعها إليهم، فإن دخول العبد في الإسلام قد لا يكون استناداً إلى عودة الغنم إليهم، بل لأنه قد استضعف و خاف ..

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٦٣.

هذا لو سلم أنهم عرفوا بإسلامه، ولم يثبت ذلك.

متى شبع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خَبْزَ الشَّعِيرِ؟!

و قالوا: إن حصن ناعم هو أول حصن فتح من حصون النطأة على يد على «عليه السلام».

و عن عائشة قالت: ما شبع رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» من خبز الشعير و التمر حتى فتحت دار بني قمة، أي و هي أول دار فتحت بخير، و هي بالنطأة، و هي منزل ياسر أخي مرحباً، و ظاهر السياق أنها ناعم «١».

و نقول:

إن ثمة قدرًا من الجرأة من عائشة على مقام رسول الله «صلى الله عليه و آله»، حيث ساق حديثها بنحو يوحى: بأن الجوع والشبع كان يمثل قضية ذات أهمية بالنسبة إليه «صلى الله عليه و آله» .. كما أنها عبرت بكلمة «ما شبع»، وهى لا تناسب رسول الله «صلى الله عليه و آله» .. الذى لم يكن يتملى من الطعام، وفقا لقاعدته: اجلس على الطعام وأنت جائع، وقم عنه وأنت تشتته .. مع ملاحظة النواهى الصادرة عنه «صلى الله عليه و آله» عن الأكل حتى الشبع، وعن التملّى من الطعام، وهى لا يكاد يجهلها أحد ..

وفي جميع الأحوال نقول:

لماذا يجعلون رسول الله «صلى الله عليه و آله» محور الحديث عن هذا

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٩.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٦٤

الأمر بالذات؟! .. وقد كان بإمكانهم جعل الحديث عن غيره، أو أن يستفيد المتحدثون من عناوين عامة، ليس فيها هذا الإيحاء غير المحبب، فيقولون مثلا، ما شبعنا، أو ما شبع الناس، أو المسلمين، أو نحو ذلك.

محمود بن مسلمٌ يقتل في حصن ناعم:

ويقولون: إن السبب في قتل محمود بن مسلمٍ هو: أنه كان قد حارب في حصن ناعم حتى أعياه الحرب، وثقل السلاح. وكان الحر شديدا، فانحاز إلى ظل ذلك الحصن يتغى فيه.

قالوا: ولا يظن محمود أن في ذلك الحصن أحدا من المقاتلة، وإنما ظن أن فيه متاعا وأثاثا.

فألقى عليه مرحبا حجر الرحا، فهشم البيضة على رأسه، ونزلت جلدته جبينه على وجهه، وندرت عينه. فأدركه المسلمون، فأتوا به النبي «صلى الله عليه و آله» فسوى الجلدء إلى مكانها، وعصبه بخرقة، فمات من شدة الجراحت. وتحول «صلى الله عليه و آله» خشية على أصحابه من البيات «١».

و جاء أخوه محمد بن مسلمٍ إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله»، فقال:

إن اليهود قتلوا أخي محمود بن مسلمٍ، وبكي.

فقال رسول الله «صلى الله عليه و آله»: لا تمنوا لقاء العدو، وسائلوا الله العافية، فإنكم لا تدركون ما تبتلون به منهم، فإذا لقيتموه، فقولوا: اللهم أنت ربنا وربهم، ونواصينا ونواصيهم بيدك، وإنما تقتلهم أنت.

(١) المغازى للواقدى ج ٢ ص ٦٤٥ والإمتناع ص ٣١١ و ٣١٢ و راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٤.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٦٥

ثم الزموا الأرض جلوسا، فإذا غشوكم، فانهضوا، وكبروا «١».

و نحن نشك في صحة هذه الرواية من أساسها.

فأولا: إن القتال كله كان مع المدافعين عن حصن ناعم، فما معنى قولهم: «ولايظن محمود: أن فيه أحدا من المقاتلة، إنما ظن: أن فيه متاعا وأثاثا»؟! فهل ترك المقاتلون حصنهم، و تاهوا في الصحراء؟!

ثانيا: إذا كان اليهود بعد القتال قد دخلوا حصنهم. فإن من غير المعقول: أن يحارب محمود بن مسلمٍ اليهود حتى أعياه الحرب، وثقل السلاح، ثم يجلس في أسفل حصنهم ليستريح.

إذ أى عاقل لا يخطر في باله: أن اليهود قد يفكرون في إلقاء حجر عليه لقتله، وأن عليه أن يتحرز من ذلك؟!
وقد علم الناس كلهم: أن سبب حرب النبي «صلى الله عليه و آله» لبني النضير، حتى أجلاهم من ديارهم، هو: أنه جاءهم مع أصحابه في أمر، وجلس إلى بعض بيوتهم، فحاولوا إلقاء حجر عليه لقتله، فأخبره الله تعالى بذلك فقام و تركهم، و كانت الحرب.
إذا كان هذا حال اليهود في السلم، فكيف ستكون حالهم في الحرب؟! ولا سيما بعد حصول معركة حاميمية يعيا فيها المحارب ..
ألم يسمع محمود بحرب النضير؟!

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٤ و راجع: المعجم الصغير ج ٢ ص ١٣٦ و المستدرك على الصحيحين ج ٣ ص ٣٨ و مجمع الزوائد ج ٥ ص ٣٢٨ و ج ٦ ص ١٥١ و كتاب الدعاء للطبراني ص ٣٢٨ و كنز العمال ج ٤ ص ٣٦١ و عيون الأثر ج ٢ ص ١٣٦.
الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ١٦٦:

و ألم يعرف سبب نشوبها، و هي الحرب التي انتهت إلى تلك التنتائج الخطيرة و الكبيرة على مستوى المنطقة بأسرها؟!
ثالثاً: كيف لم يحدّر أحد من المسلمين محمود بن مسلمٍة من مغبة جلوسه في ذلك الموضع؟! أم يعقل أن يكون الجميع قد تركوه وحده، و غادروا المكان؟!

رابعاً: و الغريب في الأمر: أنهم يذكرون عن النبي «صلى الله عليه و آله» أنه قال لمحمد بن مسلمٍة، حينما أخبره بقتل أخيه: إنه سوف يرسل رجلاً يحب الله و رسوله، و يحبه الله و رسوله، ليأخذ له بثار أخيه، ثم أرسل علياً «عليه السلام» (١).
فلماذا لم يرسل محمد بن مسلمٍة نفسه. مع أنهم يدعون له مقاماً فريداً في الفروسية و الشجاعة، حتى زعموا - كذباً و زوراً: أنه هو الذي قتل مرحباً؟!

بالإضافة إلى ما لا يجهله أحد من أن النبي «صلى الله عليه و آله» قال:
لأعطين الراية رجلاً يحب الله و رسوله، و يحبه الله و رسوله الخ .. بعد فرار أبي بكر و عمر، و لأجل تلافى ما حصل .. لا في مناسبة إخبار محمد بن مسلمٍة له «صلى الله عليه و آله» بقتل أخيه محمود.
خامساً: و الأغرب من ذلك، و الأعجب: أن يجيب «صلى الله عليه و آله» ابن مسلمٍة على إخباره إيه بقتل أخيه، بقوله: لا تمنوا القاء العدو الخ .. فهل تراه يحدّر ابن مسلمٍة، من أن يحدث نفسه بلقاء العدو الذي قتل أخيه للتو؟!
و هل هو يخشى أن يصيّبه ما أصاب أخيه؟!

(١) راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٥ و مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٣.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ١٦٧:
و هل ينسجم هذا، و ذاك مع ما زعموه من أن محمد بن مسلمٍة قد بارز مرحباً و قتله بأخيه؟!
أم أنه «صلى الله عليه و آله» يريد أن يتبنّأ له مسبقاً بفراره و فرار غيره حينما يواجهون اليهود في حصن القموص، حينما يرسلهم «صلى الله عليه و آله» بالراية إلى حرب الخيريين؟! ..

سادساً: قد ذكرت الروايات المتقدمة: أن مرحباً هو الذي ألقى الرحي على محمود بن مسلمٍة، فقتله بها ..
ولكن رواية أخرى تقول: إن الذي ألقى الرحي عليه هو كنانة بن الريبع ..
و في رواية ثالثة: أن قاتله هو شخص آخر، و هو الذي سلمه على «عليه السلام» لمحمد بن مسلمٍة ليقتله بأخيه ..
و قد حاول الحلبى الجمع بين الروايتين الأولتين: بأن من الممكن أن يكون الرجال قد اجتمعا على قتل محمود هذا (١).
ولكننا نقول له: إن مجرد الإمكان لا يكفي لصياغة التاريخ، بل ذلك يحتاج إلى شواهد و أدلة صالحة للاعتماد ..

سابعاً: إن الظاهر هو: أن مرجباً كان حبيباً و قريباً لأخيه محمد بن مسلم، فقد صرَّح أمير المؤمنين «عليه السلام»: بأنَّ محمداً كان ينتمي على على «عليه السلام» أنه قتل أخيه مرجباً^٢.

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٤.

(٢) الإمامة والسياسة (ط سنة ١٣٥٦هـ - بمصر) ج ١ ص ٥٤ و قاموس الرجال ج ٨ ص ٣٨٨ عنه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٦٨:

و لعله كان أخا له من الرضاع، إن لم يكن أخيه لأمه ..

وفي جميع الأحوال تقول:

إن ذلك كله يشير إلى مدى الإصرار والحرص على الكذب والافتعال في هذا الأمر بالذات.

و لعلهم أرادوا إسداء خدمة لمحمد بن مسلم، بتضخيم أمر قتل أخيه محمود من جهة، بادعاء: أن أعظم بطل في اليهود هو الذي قتله .. ثم بإظهار اهتمام النبي «صلى الله عليه و آله» بقتل قاتله، ثم سعيه للثأر لأخيه.

و ذلك كله: في سياق التوطئة والتسويق المؤثر لادعاء: أن محمد بن مسلم هو قاتل مرحباً، بطل أبطال اليهود.

وبذلك يمكنهم أيضاً: حرمان على «عليه السلام» من هذا الفضل، أو تشكيك الناس به على الأقل ..

و الأهم من ذلك كله: التقليل من شأن هذا النصر العظيم الذي سجله «عليه السلام»، بقتل مرحباً، و اقتلاع باب خير، و ظهور فضله على الصحابة كلهم، بعد أن اتخذوا طريق الفرار سبيلاً للنجاة في الحياة الدنيا، دون أن يعبأوا بعقاب الآخرة.

أين قتل ابن مسلم؟؟!

إن ظاهر بعض النصوص المتقدمة: أن محمود بن مسلم قد قُتل في حصن القموص^١. مع أنه إنما قُتل في حصن ناعم حسبما تقدم تفصيله ..

(١) البداية والنهاية ج ٤ ص ١٨٥ عن البيهقي.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٦٩:

الفصل الرابع: فتح سائر حصون النطأة و الشق

إشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٧١:

حصار وفتح حصن الصعب بن معاذ:

لم يكن بخير حصن أكثر طعاماً، و ودكاً، و ماشية، و متاعاً من حصن الصعب بن معاذ و وجدوا فيه ما لم يكونوا يظنون، من الشعير، و التمر، و السمن، و العسل، و الزيت، و الودك^١. و كان فيه خمسمائة مقاتل، و كان المسلمين قد أقاموا أياماً يقاتلون، ليس عندهم

طعام إلا العلف «٢».

بل قال الواقدي: إن الأطعمه كلها كانت في هذا الحصن «٣».

و روى محمد بن عمر، عن أبي اليسر كعب بن عمر: أنهم حاصروا حصن الصعب بن معاذ ثلاثة أيام، و كان حصننا منيعاً، و أقبلت غنم لرجل من يهود ترتع وراء حصنهم، فقال رسول الله «صلى الله عليه و آله»: «من رجل يطعمنا من هذه الغنم؟» فقلت: أنا يا رسول الله.

فخرجت أسعى مثل الظبي.

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٢١ و ١٢٢ و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٦٥٨ و ٦٥٩ و راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٩ و ٤٠.

(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٢١ و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٦٥٨.

(٣) المغازى للواقدي ج ٢ ص ٦٦٢.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٧٢

وفي لفظ: مثل الظليم، فلما نظر إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله» مولياً قال: «اللهم متعنا به».

فأدرك الغنم - وقد دخل أولها الحصن - فأخذت شاتين من آخرها فاحتضنها تحت يدي، ثم أقبلت أعدوا، كأن ليس معى شيء، حتى انتهيت إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله»، فأمر بهما فذبحتا، ثم قسمهما، مما بقى أحد من العسكر الذين معه محاصرين في الحصن إلا أكل منها.

فقيل لأبي اليسر: كم كانوا؟

قال: كانوا عدداً كثيراً «١».

فيقال: أين بقية الناس؟

فيقول: في الرجيع، بالمعسكر «٢».

و روى ابن إسحاق، عن بعض قبيلة أسلم، و محمد بن عمر، عن معتب الأسلمي، و اللفظ له، قال: أصابتنا معشر أسلم مجاعة حين قدمنا خير، و أقمنا عشرة أيام على حصن النطة، لا نفتح شيئاً فيه طعام، فأجمعوا أسلم أن أرسلوا أسماء بن حارثة، فقالوا: أئ رسول الله «صلى الله عليه و آله» فقل له: إن أسلم يقرئونك السلام، و يقولون: إننا قد جهدنا من الجوع و الضعف.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٢١ و إمداد الأسماع ص ٣١٦ و ٣١٧ و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٦٦٠ و راجع: مجمع الزوائد ج ٦ ص ١٤٩ و ج ٩ ص ٣١٦ و عن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٢١ و عن السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٧٩٨ و السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٦٨.

(٢) المغازى للواقدي ج ٢ ص ٦٠.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٧٣

فقال بريدة بن الحصيب: و الله، إن رأيت كاليلوم قط من بين العرب يصنعون هذا!!

فقال زيد (هند) بن حارثة أخو أسماء: و الله، إنني لأرجو أن يكون هذا البعث إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله» مفتاح الخير.

فجاءه أسماء فقال: يا رسول الله إن أسلم تقرأ عليك السلام، و تقول:

إننا قد جهدنا من الجوع و الضعف، فادع الله لنا.

فدعوا لهم رسول الله «صلى الله عليه و آله» ثم قال: «و الله ما يبدي ما أقويهم به، قد علمت حالهم، وأنهم ليست لهم قوة، ثم قال: «اللهم فاقتح عليهم أعظم حصن فيها، أكثرها طعاما، وأكثرها و دكا» ١.

و دفع اللواء إلى الحباب بن المنذر، و ندب الناس، فما رجعنا حتى فتح الله علينا حصن الصعب بن معاذ.

قالت أم مطاع الإسلامية: لقد رأيت أسلم حين شكوا إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله» ما شكوا من شدة الحال، فندب رسول الله «صلى الله عليه و آله» الناس فنهضوا، فرأيت أسلم أول من انتهى إلى حصن الصعب بن معاذ، فما غابت الشمس من ذلك اليوم حتى فتح الله ..

إلى أن قال: و كان عليه قتال شديد.

و برب رجل من يهود يقال له: يوشع، يدعو إلى البراز، فبرز له الحباب بن المنذر، فاختلفا ضربات، فقتله الحباب.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٢١ و ١٢٢ و السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٩ و إمتناع الأسماء ص ٣١٦.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٧٤.

و برب له آخر - يقال له: الزيال، أو الديال - فبرز له عمارة بن عقبة الغفارى، فبادره الغفارى فضربه ضربة على هامته، و هو يقول: خذها و أنا الغلام الغفارى.

فقال الناس: «بطل جهاده».

فبلغ رسول الله «صلى الله عليه و آله» ذلك، فقال: «ما بأس به، يؤجر و يحمد» ١.

و روى محمد بن عمر، عن محمد بن مسلمة، قال: رأيت رسول الله «صلى الله عليه و آله» رمي بسهم فما أخطأ رجلا منهم، و تبسّم رسول الله «صلى الله عليه و آله» إلى، و انفرجاوا، و دخلوا الحصن ٢.

و وجدوا في حصن الصعب بن معاذ: آل حرب، و دبابات، و منجنينا.

و كان أحدهم قد أخبر النبي «صلى الله عليه و آله» بأن في حصن الصعب بن معاذ، في بيت منه تحت الأرض منجنيق، و دبابات، و سيف ٣.

و حسب نص الحلبى: إن اليهود حملت حملة منكرة، فانكشف المسلمون حتى انتهوا إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله»، و هو واقف قد نزل عن فرسه، فثبت الحباب بن المنذر، فحرض «صلى الله عليه و آله» على الجهاد، فأقبلوا، و زحف بهم الحباب، فانهزمت يهود، و أغلقت الحصون عليهم.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٢٢ و السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٩ و ٤٠ و المغازى للواقدى ج ٢ ص ٦٥٩ و راجع: المعجم الكبير للطبرانى ج ٦ ص ٩٤ و ٩٥ و رياض الصالحين للنووى ص ٣٨٥ و عن سنن أبي داود ج ٢ ص ٢٦٧.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٢٢ و المغازى للواقدى ج ٢ ص ٦٢٢.

(٣) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٤٠ و راجع ص ٤١ عن الإمتناع.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٧٥.

ثم إن المسلمين اقتحموا الحصن، يقتلون، و يأسرون، فوجدوا في ذلك الحصن من الشعير الخ .. ١.

و نادى منادي رسول الله «صلى الله عليه و آله»: كلوا، و اعلفوا، و لا تحملوا، أى لا تخرجوا به إلى بلادكم ٢.

و حسب نص الواقدى: و قد أقمنا عليه يومين نقاتلهم أشد القتال، فلما كان اليوم الثالث بكر رسول الله «صلى الله عليه و آله» عليهم، فخرج رجل من اليهود كأنه الدقل في حرثه له، و خرج و عاديته معه، فرموا بالنبل ساعة سراغعا، و ترسنا عن رسول الله «صلى الله عليه

و آله»، و أمرطوا علينا بالنبل، فكان نبلهم مثل الجراد، حتى ظنت ألا يقلعوا، ثم حملوا علينا حملة رجل واحد. فانكشف المسلمون حتى انتهوا إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله» و هو واقف، قد نزل عن فرسه، و مدعوم «^(٣)» يمسك فرسه. و ثبت الحباب برأيتنا، و الله ما يزول، يرميهم على فرسه، و ندب رسول الله «صلى الله عليه و آله» المسلمين و حضهم على الجهاد و رغبهم فيه، و أخبرهم أن الله قد وعده خير يغنم إياها.

قال: فأقبل الناس جمِعاً حتى عادوا إلى صاحب رايتهم، ثم زحف بهم

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٤٠.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٢٢ و السيرة الحلبية ج ٣ ص ٤٠ و راجع: السنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ٦١ و بغية الباحث ص ٢١١ و نصب الرأي للزياعي ج ٤ ص ٢٦٧ و السير الكبير للشيباني ج ٣ ص ١٠١٨.

(٣) مدعوم: هو العبد الأسود الذي كان مولى رسول الله «صلى الله عليه و آله».

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ١٧٦.

الحباب، فلم يزل يدنو قليلاً قليلاً، و ترجع اليهود على أدبارها حتى لحمها الشر، فانكشفوا سراعاً، و دخلوا الحصن و غلّقوا عليهم، و وافوا على جدره - و له جدر دون جدر - فجعلوا يرموننا بالجندل «١» رمياً كثيراً، و نحونا عن حصنهم بوقع الحجارة، حتى رجعنا إلى موضع الحباب الأول.

ثم إن اليهود تلاؤمت بينها، و قالت: ما نستبقى لأنفسنا؟ قد قتل أهل الجد و الجلد في حصن ناعم.

فخرجوه مستميتين، و رجعنا إليهم، فاقتلتنا على باب الحصن أشد القتال، و قتل يومئذ على الباب ثلاثة من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه و آله»: أبو صياغ، و قد شهد بدراء، ضربه رجل منهم بالسيف فأطعن قحف رأسه. و عدى بن مرة بن سراقة، طعنه أحدهم بالحربة بين ثدييه فمات، و الثالث الحارث بن حاطب و قد شهد بدراء، رماه رجل من فوق الحصن فدمجه.

و قد قتلتنا منهم على الحصن عدة، كلما قتلتنا منهم رجلاً حملوه حتى يدخلوه الحصن.

ثم حمل صاحب رايتنا و حملنا معه، و أدخلنا اليهود الحصن، و تبعناهم في جوفه، فلما دخلنا عليهم الحصن فكأنهم غنم، قتلتنا من أشرف لنا، و أسرنا منهم، و هربوا في كل وجه، يركبون الحرث، يريدون حصن قلعة الزبير، و جعلنا ندعهم يهربون.

و صعد المسلمون على جدره، فكبروا عليه تكبيراً كثيراً، ففتتنا أعضاد

(١) الجندي: الحجارة. لسان العرب ج ١٣ ص ١٣٦.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ١٧٧.

اليهود بالتكبير، لقد رأيت فتيان أسلم و غفار فوق الحصن يكثرون، فوجدنا و الله من الأطعمه ما لم نظن أنه هناك، من الشعير الخ .. و نادي منادي رسول الله «صلى الله عليه و آله»: كلوا و اعلفوا و لا تحتملو.

يقول: لا تخرجوا به إلى بلادكم.

فكان المسلمون يأخذون من ذلك الحصن مدة مقامهم؛ طعامهم و علف دوابهم، لا يمنع أحد أن يأخذ حاجته، و لا يخمس الطعام.

و وجدوا فيه من البز و الآيء، و وجدوا خوابي السكر، فأمرروا فكسروها، فكانوا يكسرنها حتى سال السكر في الحصن، و الخوابي كبار لا يطاق حملها.

و كان أبو ثعلبة الخشنى يقول: وجدنا فيه آنية من نحاس و فخار، كانت اليهود تأكل فيها و تشرب، فسألنا رسول الله «صلى الله عليه و آله»، فقال: أغسلوها و اطبخوا و كلوا فيها و اشربوا.

و قال: أسخنوا فيها الماء ثم اطبخوا بعد، و كلوا و اشربوا.

و أخرجنا منه غنمًا كثیرا، و بقرا، و حمرا، و أخرجنا منه آلة كثیرة للحرب، و منجنیقا، و دبابات وعدة، فنعلم أنهم قد كانوا يظنون أن الحصار يكون دهرا، فعجل الله خزيهم.

فحديث عبد الحميد بن جعفر عن أبيه، قال: لقد خرج من أطم من حصن الصعب بن معاذ من البز عشرون عکما^١ محزومة من غليظ متاع

(١) العکم: ثوب يبسط، و يجعل فيه المتاع و يشد. تاج العروس ج ٨ ص ٤٠٤.

الصحيح من السيرة النبوية الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٧٨.

اليمين، و ألف و خمس مائة قطيفة، يقال: قدم كل رجل بقطيفة على أهله، و وجدوا عشرة أحمال خشب، فأمر به فأخرج من الحصن ثم أحرق، فمكث أيامًا يحترق، و خوابي سكر كسرت، و زفاف خمر فاهريقت.

وقالوا أيضًا: كان من سلم من يهود حصن ناعم انتقل إلى حصن الصعب من حصنون النطاء، ففتحه الله قبل ما غابت الشمس من ذلك اليوم. من بعد ما أقاموا على محاصرته يومين^١.

و نقول:

إن لنا مع ما تقدم وقفات، هي التالية:

فرار المسلمين .. و ثبات الحباب:

١- قد أظهر هذا النص: أن المسلمين قد فروا أمام اليهود، حتى انتهوا إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله»، و أن هذه الهزيمة قد تكررت منهم.

و هذا أمر لا بد أن يزعج النبي «صلى الله عليه و آله» و يؤذيه، خصوصا إذا كان هذا الفرار يشجع اليهود، و يزيدهم إصرارا على مواصلة الحرب، و يوجب تعرض المسلمين للمزيد من الأخطار، و يقع في صفوفهم خسائر أكبر في الأرواح ..

٢- إن رواية الواقدي، زعمت: أن الحباب قد ثبت بالرأية.

و لا ندرى أين ثبت الحباب؟ و متى؟

فإنه حامل الرأيـةـ إن صـحـ أنه حـامـلـهاـ حقـاـ فلا بد أن يكون في المقدمة.

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٩.

الصحيح من السيرة النبوية الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٧٩.

فهل انهزم عنـهـ الناسـ،ـ وـ بـقـىـ يـقـاتـلـ وـ حـدـهـ بـيـنـ الـيهـودـ؟ـ ..ـ

أم أنه انهزم معهم، ثم لما وصل إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله» ثبت هناك؟!

فإن كان وحده، فلا بد أن نسأل ماذا جرى له مع اليهود؟ و كيف خرج سالما من بينهم؟! و هل خرج منهـزمـ؟ـ أم خـرـوجـ منـتصـرـ؟ـ وـ كـيـفـ؟ـ

أم أنه بقى بينهم إلى حين انقضاء القتال، أو إلى حين معاودة المسلمين هجومهم؟! و كيف استطاع أن يحفظ نفسه منهم في هذه الحال؟

و أين كان عنه مرحـبـ وـ سـائـرـ الأـطـالـ اليـهـودـ فيـ هـذـهـ المـدـةـ؟ـ

- ولماذا لم يسجل التاريخ له هذه المفخرة العظيمة؟! و لماذا؟! و لماذا؟!
- ٣- إن ظاهر النص: أن المسلمين لم يرجعوا إلى القتال إلا بعد تطمينهم بالغنية، لأنه «صلى الله عليه و آله»: حضهم على الجهاد و رغبهم فيه، وأخبرهم أن الله قد وعده خير، يغنمها إياها ..
- ٤- ما معنى تخصيص فتیان أسلم و غفار بالمدح، وأن المتحدث قد رآهم فوق الحصن يكثرون؟! خصوصاً بعد أن ذكر: أن المسلمين صعدوا على جدر الحصن يكثرون، فكبروا تكبيراً كثيراً.

لماذا الإخراج؟:

إن ما فعلته قبيلة أسلم من شأنه أن يخرج رسول الله «صلى الله عليه و آله»، بل قد اقتضى الأمر: أن يظهر «صلى الله عليه و آله» للملأ ما لم تجر عادته على إظهاره، وهو أنه ليس بيده شيء يعطيهم إياه.

مع أن لهذا الإظهار سلبياته أيضاً، فإنه ربما يؤثر على سكينة ضعفاء الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٨٠

الناس و ثباتهم، ويثير لديهم الكثير من الهواجس تجاه مصيرهم، وسيتمثل لهم الخطر الذي يتذمرونهم أمام أعينهم.

وأما إذا بلغ ذلك إلى مسامع الأعداء، الذين يملكون الكثير من الطعام في حضونهم، فقد يزيدونه ذلك إصراراً على التحدى، ويدفعهم إلى التفكير في وسائل تسوييف الوقت، انتظاراً لتأثير الجوع في ثبات عدوهم المحارب لهم، حتى يضطر إلى التخلص من حصارهم، بحثاً عن لقمة تحفظ له خيط الحياة، وتمكنه من البقاء والنجاة.

أوسمة أسلم:

وقد تحدثت النصوص المتقدمة: أن أسلم هي التي عانت من الجوع، وأنها شكت ذلك إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله»، فدعا «صلى الله عليه و آله» لها، بعد أن أظهر الرقة و التعاطف معها، وقد تضمن دعاؤه أن يفتح الله عليهم أعظم حصن.

ثم ذكرت أم مطاع: أن أسلم أول من انتهى إلى حصن الصعب، وأن شمس ذلك اليوم لم تغرب حتى فتح الله ذلك الحصن.

ونقول:

إن ما كانت تعاني منه قبيلة أسلم هو ما كان يعاني منه سائر المسلمين ..

ولكن لعل أسلم تستحق كل هذه الأوسمة من هؤلاء، بل وأزيد منها، وأعظم وأفحى، لأنها هي التي ساعدت أبا بكر يوم السقيفة على نيل الخلافة، حيث جاءت إلى المدينة بقضها و قضيضها واحتلتها، واستخرجت كل معارض من بيته، وأدت به إلى المسجد لبياع أبا بكر، تحت تهديد

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٨١

السلام، فراجع كتابنا: أفلاتذكرون، و مختصر مفيد.

الموقف الشائن:

وإن مطالبة قبيلة أسلم النبي «صلى الله عليه و آله» بهذا الأمر؛ لها وجهان:

فإما أنهم يعلمون: أنه «صلى الله عليه و آله» يكابد ما يكابدون، ويعيش كما يعيشون، فلا يبقى لهذه المطالبة ما يبررها.

وإما أنهم كانوا يظنون برسول الله «صلى الله عليه و آله»: أنه يحتفظ بشيء من الطعام لنفسه، كان يتناوله في الخفاء، و يؤثر به نفسه

عليهم، و هي تهمة شائنة، يعرف الناس كلهم بطلانها، و زيفها، و سوء سريرة من يأتي بها .. و لأجل ذلك اعترض عليهم رجل منهم، و هو: بريدة الأسلى. و لامهم على فعلهم هذا.

و لعلنا نرجح الاحتمال الأخير، و هو: أن قبيلة أسلم كانت تظن برسول الله «صلى الله عليه و آله» هذا، فإنها إحدى قبائل الأعراب التي كانت تحيط بالمدينة، و نزل القرآن ليخبر بوجود المنافقين في تلك القبائل ..
و لا نريد أن نقول أكثر من هذا!!!

اللواء للحباب بن المنذر:

هذا .. و قد ذكرت الفقرة السابقة أيضاً: أن رسول الله «صلى الله عليه و آله» أعطى اللواء للحباب بن المنذر، بعد فتح حصن ناعم، و ذلك حين مهاجمة حصن الصعب ..

مع أنها نعلم: أن لواء رسول الله «صلى الله عليه و آله» كان مع على الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٨٢
«عليه السلام» في جميع المشاهد، باستثناء تبوك ..

و قد تقدمت النصوص الدالة على ذلك في واقعة أحد، فراجعها ..

و ما زعموه من أن علياً «عليه السلام» لم يحضر بداية حرب خير .. غير صحيح كما أظهرته النصوص حسبما أثبتنا في سياق حديثنا في وقائع هذه الغزوة ..

الصعب أكثرها طعاماً:

زعمت الرواية المتقدمة: أن حصن الصعب كان أكثر حصون خير طعاماً، و أن الجوع قد أصاب أسلم، و سائر المسلمين، حتى فتح عليهم حصن الصعب، ولكننا في مقابل ذلك نرى:

ألف: أن عائشة تروي: أن حصن ناعم قد سد حاجتهم إلى الطعام، فلم تبق لديهم أية مشكلة، فقد قالت: ما شبع رسول الله «صلى الله عليه و آله» من خبز الشعير والتمر، حتى فتحت دار بنى قمة - و قالوا: إن المقصود: هو حصن ناعم «١».

و لا يعقل: أن يشبع رسول الله «صلى الله عليه و آله» و يجوع من معه!!
كما لا يعقل: أن يكون المقصود: أنه شبع مرة واحدة ثم جاء.

ب: و أن اليهود كانوا موجودين في حصن ناعم بالمائات و كانوا قد أعدوا من الأطعمة ما يكفيهم في حصار المسلمين لهم مدة طويلة ..

و بعد فرارهم و خروج الحصن من يدهم بقى ما كانوا قد أعدوه في

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٩ و راجع: معجم ما استعجم للبكري الأندلسى ج ٢ ص ٥٢٣.
الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٨٣:
مكانه، وقع في أيدي المسلمين ..
بقى أن نشير إلى قولهم: إن اليهود جعلوا أموالهم في حصن الكتبية «١».

لا يصح الاستدلال به هنا. إذ يجوز أن يكون المراد بأموالهم هو: خصوص النقود و نحوها، دون ما ذكرها هنا «٢».

تسخين الماء في آنية اليهود:

و عن تسخين الماء في آنية اليهود، قبل استعمال المسلمين لها قال الحلبى: «حكمة تسخين الماء لا تخفي، و هى: أن الماء الحار أقوى فى النظافة، و إخراج الدسمة، و الله أعلم» «٣». و نضيف:

أن تدخل النبي الكريم فى هذا الأمر يشير إلى: أن ثمة أمرا هاما، يحتاج إلى معالجته، و إلا فقد كان من المناسب ترك هذا الأمر إلى سليقة الناس فى تعاملهم مع أوانى الآخرين.

ولكن الروايات عجزت عن التصریح بالأمر الذى دعا «صلى الله عليه و آله» إلى هذا التدخل فى هذه التفاصيل و الجزئيات .. فهل السبب فى ذلك: أنه «صلى الله عليه و آله» كان يخشى من كيد اليهود للمسلمين، بوضع سموم لا- تزول بمجرد غسل الآنية بالماء؟ ..

أم أنه يريد أن يعرف الناس بمدى قذارة اليهود، و بعدهم عن فروض

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٩.

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٩ و المغازى للواقدى ج ٢ ص ٦٦٤.

(٣) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٤١.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٨٤؛ النظافة، مهما كانت عادية و سطحية؟.

أو أنه يريد أن يتلافى دسمة كانت فى تلك الأواني، هي بقايا أطعمة محترمة، يرى ضرورة تنزيه المسلمين عنها؟! .. أو أن الهدف هو تأكيد حالة الفصل بين المسلمين و اليهود فى تعاملهم مع بعضهم البعض، إذ ربما لم يكن المسلمون يتذهون عن أي شيء من مستويات هذا التعامل، و حالاته، و كيفياته، فى الوقت الذى كانت هناك حاجة إلى درجة من التحاشى عن هذا الاندماج المطلق بين الفريقين، و إيجاد مستوى من الإحساس بالفارق، و عدم الرضا بواقع اليهود، و حالاتهم ..

أعظم حصون خير:

و زعم حديث بنى أسلم: أن حصن الصعب بن معاذ كان أعظم حصون خير .. مع أن النصوص تصرح: بأن حصن القموص كان أعظمها، و أنه كان منيعا حاصره المسلمون عشرين ليلة، ثم فتحه الله تعالى على يد على «عليه السلام» «١».

فلعلهم أرادوا بتهويل أمر حصن الصعب التفحيم و التعظيم للحباب بن المنذر، و لبني أسلم و غفار، و التخفيف من و هج فتح حصن القموص، و قلع باب خير؟!

أم أنهم وقعوا تحت تأثير اسمه «الصعب» فاستنبطوا له هذه الصعوبة

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٤١ و راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١٢٤.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ١٨٥

التي ميزته عن سائر الحصون ..

أم أنهم أرادوا تبرير الهزيمة التي مني بها أولئك المتخاذلون، والتي حدثت أكثر من مرة حتى في هذا الحصن الذي لم يستحق سوى يومين من الحصار، ثم سقط أمام عزم صادقة من عزمات أهل الإيمان.

قد يكون هذا الاحتمال الأخير هو الأوضح والأظهر، وقد يكون قد تناغم مع الاحتمال الأول حتى كان ما كان ..

الافتخار في الحرب:

وقد حكم الناس على عمارة بن عقبة الغفارى: بأنه قد بطل جهاده لمجرد قوله، حين ضرب هامة ذلك اليهودى:

خذها و أنا الغلام الغفارى ...

فصحح النبي «صلى الله عليه و آله» لهم هذا المفهوم الخاطئ، و حكم بأنه يؤجر و يحمد.
ونقول:

إن الافتخار في الحرب الموجب لإرتعاب العدو، و هزيمته النفسية هو في حد ذاته جهاد يثاب الإنسان عليه. و يوجب الثناء و الحمد لفاعله؛ لأنه يكون قد أسرهم في كسر شوكة العدو، و إضعافه، و تمهيد السبيل إلى إلحاق الهزيمة التامة به ..
كما أن إظهار القوة و العزة في قبال العدو، يمنح أهل الإيمان المزيد من الثبات، و الثقة بالنصر، و يزيد في تصميمهم، و في قوتهم، و
عزيمتهم، فيجتمع على العدو ضعفان:

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ١٨٦

ضعف: نابع من داخل ذاته، من خلال الكبت و الشعور بالخيبة.

و ضعف آخر: ينشأ عن رؤية قوة المسلمين، و شدة اندفاعهم.

ويكون فيه للمسلمين قوتان:

إحداهما: نابعة من داخل ذاتهم.

و الأخرى: تبلور في ضعف عدوهم، و في هزيمته الروحية.

حديث الشاتين، و قطيع الغنم:

و نحن لا نشك في كذب حديث قطيع الغنم، و الاستيلاء على شاتين منه، و ذلك لسبب بسيط، هو:
أولاً: إنه لا يعقل وجود قطيع الغنم هذا خارج الحصن، ثم لا يستولى عليه المسلمون، ليصبح من غنائمهم.
ثانياً: إذا كان أخذ المسلمين لذلك القطيع حلالاً، فلماذا لا يرسل النبي «صلى الله عليه و آله» سرية قادرة على أخذ القطيع كله، أو
جانب كبير منه.

بل يكتفى بالأمر بأخذ شاة أو شاتين؟! و إن كان حراماً فكيف جاز له أخذ تينك الشاتين؟!

ثالثاً: إذا كان المقصود للنبي «صلى الله عليه و آله» هو: إطعام جيشه من ذلك القطيع، فلا تكفي ذلك الجيش الشاة و الشatan و لا
العشرة ..

و إن كان المقصود هو: أن يأكل النبي «صلى الله عليه و آله» و من حوله من أهل بيته و خاصته، فذلك بعيد عن خلقه «صلى الله عليه

و آله» ..

ولأجل ذلك نقول:

لا يمكننا قبول ما ذكرته الرواية: من أن قسماً من المسلمين لم يستفیدوا الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ١٨٧

من لحم تينك الشاتين، وهم الذين كانوا في الرجع. بل اقتصر الأمر على الذين كانوا مع رسول الله «صلى الله عليه و آله» في موضعه الذي كان فيه ..

رابعاً: قد صرحت الرواية نفسها: بأن المسلمين كانوا يحاصرون ذلك الحصن، وأنه كان قد مضى على حصارهم له ثلاثة أيام، فain كان ذلك القطع في تلك الأيام الثلاثة؟! ولماذا لم يره المسلمون، قبل أن يبادر إلى دخول الحصن؟! وأين كان المسلمون حين اقتربت الغنم من باب الحصن المفتوح، هل كانوا يحاصرونه؟ أم أنهم تركوه و ابتعدوا عنه؟ و من أين أقبلت غنم ذلك الرجل اليهودي؟!

و كيف يجرؤ أهل هذا الحصن المحاصر بالرجال على فتح أبواب حصنهم، و إخراج غنائمهم منه، أو إدخالها إليه؟! .. و كيف؟! ..

الحباب بن المنذر في الواجهة:

و يلاحظ هنا: أن الروايات قد اختارت الحباب بن المنذر ليكون هو المتتصدر لواجهة الأحداث في حصن الصعب بن معاذ، و له نصيب أيضاً من ذلك في غيره .. ولكن لم يظهر على «عليه السلام»، ولا لأبي دجانة، و لا للمقداد، و لا حتى للزبير، أو محمد بن مسلمة. و عشرات الفرسان الآخرين، لم يظهر لأحد منهم في هذا الحصن، مع أن محمود بن مسلمة كان قد قتل قبل ذلك في حصن ناعم، فلماذا لا يتحرّك أخوه محمد في كل الحصون التي حوصلت عشرات الأيام حتى فتحت؟!

ولماذا لم يطالب بالأخذ بشارات أخيه فيها، بل صبر إلى حصن القموص ليقتل مرحاً هناك بأخيه كما يزعمون؟!

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ١٨٨

ولماذا لم يلاحق مرحاً في حصن الصعب، أو التزار، أو حصن الشق أو غير ذلك؟!

فأين كان هذا الرجل؟ و أين كان هؤلاء في هذا الحصار الذي استمر أياماماً لحصن حسين فيه خمس مائة مقاتل، و لم يكن بخبر حصن أكثر طعاماً، و ماشية، و متاعاً منه الخ .. كما زعموا؟!

ولماذا غابوا جميعاً عن الواجهة، و خبا و هجهم، و أفل نجمهم؟!

فهل للحباب شأن في موضوع عينه، يراد التسويق له؟!

ابن مسلمـة يقول: بـسـم إلـى صـلـى اللهـ عـلـيـهـ وـ آـلـهـ:

و في حديث رمى النبي «صلى الله عليه و آله» بسهم صائب في هذا الحصن، يقول محمد بن مسلمـة: «و بـسـم رـسـول اللهـ «صلـى اللهـ عـلـيـهـ وـ آـلـهـ إـلـىـ».

و نحن لم نستطع أن نفهم سبب تبـسـمه «صلـى اللهـ عـلـيـهـ وـ آـلـهـ» لخصوص محمد بن مسلمـة، تارـكاً حـوالـىـ أـلـفـ وـ خـمـسـ مـائـةـ مـقاـطـلـ محـرـوـمـاـ منـ نـعـمـةـ هـذـهـ الـبـسـمـةـ، وـ مـنـ الـإـيـاهـ بـمـعـانـيـهـ وـ مـرـامـيـهـ، مـنـ دـوـنـ سـبـبـ ظـاهـرـ؟!

فهل أـعـجـبـ وـ الـعـيـادـ بـالـلـهــ النـبـيـ «صلـى اللهـ عـلـيـهـ وـ آـلـهـ» بـنـفـسـهـ، حـينـ أـصـابـ ذـلـكـ الرـجـلـ، وـ ظـهـرـ أـنـ يـجـيدـ الرـمـىـ، وـ أـرـادـ أـنـ يـنـالـ

إعجاب خصوص محمد بن مسلمٍ .. إن القول بهذا يتجاوز حدود إساءة الأدب ليكون إنكاراً لعصمة رسول الله «صلى الله عليه و آله» ..

أم أن لابن مسلمٍ خصوصيةٌ لديه «صلى الله عليه و آله» لم تكن لأحد سواه حتى لعلى «عليه السلام»، فضلاً عن غيره من أصحابه؟!
الصحيح من السيرة النبوية العاملية، مرتضى العاملية، ج ١٧، ص: ١٨٩
و هذا أمر ينكره ولا يعترف لابن مسلمٍ به أحد حتى محبوه، و المهتمون بشأنه، و الساعون لتخسيصه بالكرامات و الفضائل ..

الإهتمام بالطعام والغنية:

و النصوص المتقدمة، و بعض النصوص الأخرى، قد أظهرت: أن ثمة اهتماماً خاصاً بالطعام و المال، و بالغنية، و الغنم، بما في ذلك:
السمن، و العسل، و السكر، و الزيت، و الشعير، و التمر، و الودك، و الشحم، و الماشية، و المutton ..
و هي أيضاً تتحدث عن جوع، و شكوى، و دعاء، و ابتهال ..
فهل ذلك يعبر عن واقع المسلمين؟! أو هل هذا كان كل همهم، و غاية قصدهم؟!

مدة الحصار:

و قد صرحت النصوص أيضاً: بأمور متناقضة، فيما يرتبط بمدة الحصار لحصن الصعب.
فهي تارة تقول: إن الحصار دام أيام، هي أكثر من ثلاثة أيام، بلا شك؛ لأن الاستيلاء على الشاتين كان بعد ثلاثة أيام من الحصار، و لا ندرى كم دام الحصار بعدها؟!
و تارة تقول - كما يظهر من حديث أم مطاع -: إنهم فتحوه في يوم واحد ..
ولكن نصا آخر يقول: إن الحصار دام يومين فقط، فأى ذلك هو الصحيح؟
و ألا يشير هذا إلى: أن ثمة تعمداً للاختلاق و الكذب في هذا الأمر بالذات؟!
الصحيح من السيرة النبوية العاملية، مرتضى العاملية، ج ١٧، ص: ١٩٠

حصن قلعة الزبير:

كان حصن قلعة الزبير في رأس قلعة أو قلبة، لا تقدر عليه الخيل ولا الرجال، فلما تحولت اليهود من حصن ناعم، و حصن الصعب بن معاذ إلى قلبة (أو قلعة) الزبير حاصرواهم رسول الله «صلى الله عليه و آله» فيه.
فأقام «صلى الله عليه و آله» محاصراً لهم ثلاثة أيام، فجاء يهودي يدعى غزال فقال: يا أبا القاسم، تؤمنني على أن أدللك على ما تستريح به من أهل النطأة، و تخرج إلى أهل الشق، فإن أهل الشق قد هلكوا رعا منك؟
فأمنه رسول الله «صلى الله عليه و آله» على أهله و ماله.
فقال اليهودي: إنك لو أقمت شهراً ما بالوا، لهم دبول «١» تحت الأرض، يخرجون بالليل فيشربون منها، ثم يرجعون إلى قلعتهم
فيمتنعون منك، فإن قطعت عنهم شربهم أصحرروا لك.

فسار رسول الله «صلى الله عليه و آله» إلى دبoliهم فقطعها، فلما قطع عليهم مشاربهم خرجوا و قاتلوا أشد قتال «٢».
و قتل من المسلمين يومئذ نفر، وأصيب من اليهود في ذلك اليوم عشرة، و افتحه رسول الله «صلى الله عليه و آله» و كان هذا آخر حصن النطأة.

(١) الدبول: الجدول (القاموس المحيط ج ٣ ص ٣٧٣).

(٢) سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١٢٢ و ١٢٣ و في هامشه عن: البيهقي في الدلائل ج ٤ ص ١٢٤ و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٦٤٦ و ٦٦٧ . و راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٤٠.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ١٧،ص: ١٩١

قيل: سمي هذا الحصن بحصن قلة الزبير، لأنه صار في سهم الزبير بن العوام بعد ذلك «١».

و نقول:

أولاً: إن إطلاق هذا الاسم على هذا الحصن لا يعقل أن يكون لأجل ما ذكروه، و ذلك لما يلى:

ألف: لا شك في أنه قد كان لهذا الحصن اسم يتداوله أهل تلك البلاد أنفسهم، و ذلك قبل أن يأتي النبي «صلى الله عليه و آله» إليه، فما هو هذا الاسم.

فإذا ظهر: أنهم كانوا يطلقون عليه نفس هذه التسمية، فذلك يدل على:

أنه كان قد سمي باسم زبير آخر، فمن كان على دينهم، و من الشخصيات المرموقة فيهم مثل الزبير بن باطا، أو غيره.

ب: إن من غير المعقول، و لا المقبول: أن يعطي «صلى الله عليه و آله» حصنًا بأكمله إلى رجل واحد هو الزبير بن العوام .. و لماذا يعطى الزبير هذا العطاء الكبير، و هو لم يكن له ذلك الأثر العظيم في تلك الحرب ..

ج: يضاف إلى ذلك: أن أراضي خير لم تقسم على المسلمين ليكون للزبير سهم بهذا الحجم بل أبقاها النبي «صلى الله عليه و آله» بيد اليهود، يعملون فيها على النصف من ثمارها .. و إنما أخرجهم منها عمر بن الخطاب كما سيأتي بيانه.

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٤٠ و سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١٦٠ .

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ١٧،ص: ١٩٢

د: إنه إذا أراد النبي «صلى الله عليه و آله» أن يعطي أحدا شيئاً فإنه لا يعطيه حصنًا أو قلعة - كما ورد في بعض التعابير - بل يعطيه أرضاً زراعية، يستطيع أن يستغلها، أو يستفيد من ثمارأشجاره.

ثانية: إن هذا اليهودي قد بادر من عند نفسه - كما تقول الرواية - إلى إخبار رسول الله «صلى الله عليه و آله» بأمر خطير، من شأنه أن يسقط الحصن بأكمله في أيدي المسلمين، و يمكنهم من إلحاق هزيمة منكرة بمن هم على دينه، لا لشيء، بل لمجرد إعطاءه الأمان على نفسه، و أهله و ماله !!

غير أنا نلاحظ:

أن النصوص لا تصرح بما جرى لهذا اليهودي المخبر، فهل أخذ أسيراً، فخاف من القتل، فأقر بما أقر به؟!

أم أنه جاء باختياره متطوعاً بإخبار النبي «صلى الله عليه و آله» بهذا الأمر الخطير؟! الذي يجب حلول البلاء بمن هم على دينه؟! ربما يقال: إن ظاهر النص هو هذا الأمر الثاني؛ لأنه قال: فجاء يهودي يدعى نزال، فقال: يا أبا القاسم الخ ..

و على فرض صحة هذه الرواية - و نحن نشك في صحتها - فإن هذا يشير إلى: أن هؤلاء الناس لا يعيشون هم الدين، و لا يلتزمون بالمبادئ و القيم، بل و لا بالعادات و التقاليد، و إنما هم مهتمون هى في حفظ أنفسهم و امتيازاتهم، حتى إنهم إذا قاتلوا فليس ذلك رغبة منهم في جنة، أو خوفاً من عقوبة الله تعالى لهم على تقصيرهم، و إنما من أجل الدنيا، أو استجابة لنزوات الميول و الأهواء، أو لجاجا، أو عناداً، بداعى الحقد و الضغينة، أو لأن الشيطان يزين لهم أنهم ظاهرون و منتصرون، أو سعياً لاكتساب ثناء لا

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ١٩٣
يدوم، أو مجد موهم .. أو نحو ذلك.

بطولات موهومة:

و في صورة تشبه الصورة التي سبقت، يذكر بعضهم: أنه «صلی اللہ علیہ وآلہ» مکث سبعة أيام يقاتل أهل حصون النطاء، يذهب كل يوم بمحمد بن مسلم للقتال، ويختلف على محل العسكر عثمان بن عفان، فإذا أمسى رجع «صلی اللہ علیہ وآلہ» إلى ذلك المحل. ومن جرح من المسلمين يحمل إلى ذلك المحل ليدياوي جرمه. فجرح أول يوم خمسون من المسلمين. و نادى يهودي من أهل النطاء بعد ليل: أنا آمن وأبلغكم. قالوا: نعم.

فدخل على رسول الله «صلی اللہ علیہ وآلہ»، فدله على عوره ليهود. فدعا أصحابه و حضهم على الجهاد، فظفره الله تعالى بهم الخ ..

وفي نص آخر: كان «صلی اللہ علیہ وآلہ» ينأوب بين أصحابه في حراسة الليل، فلما كانت الليلة السادسة من السبع استعمل «صلی اللہ علیہ وآلہ» عمر، فطاف عمر بأصحابه حول العسكرية، وفرقهم، فأتى برجل من يهود خبير في جوف الليل، فأمر عمر أن يضرب عنقه. فقال: اذهب بي إلى نيكم حتى أكلمه، فأمسك عنه، وانتهى به إلى باب رسول الله «صلی اللہ علیہ وآلہ»، فوجده يصلی، فسمع «صلی اللہ علیہ وآلہ» كلام عمر، فسلم وأدخله عليه، فدخل اليهودي، فقال «صلی اللہ علیہ وآلہ» لليهودي: ما وراءك؟ فقال: تؤمنني يا أبي القاسم؟!

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ١٩٤
قال: نعم.

قال: خرجت من حصن النطاء، من عند قوم يتسللون من الحصن في هذه الليلة.

قال: فأين يذهبون؟

قال: إلى الشق، يجعلون فيه ذراريهم، ويتهدّون للقتال.

وفي هذا الحصن الذي هو الحصن الصعب من حصون النطاء، في بيت فيه تحت الأرض، منجنيق، ودببات، ودروع، وسيوف، فإذا دخلت الحصن غداً، وأنت تدخله.

قال رسول الله «صلی اللہ علیہ وآلہ»: إن شاء الله.

قال اليهودي: إن شاء الله - أوقفتك عليه، فإنه لا يعرفه غيري.

و أخرى ..

قيل: ما هي؟

قال: يستخرج المنجنيق، وينصب على الشق (و المراد هو: حصن البريء)، ويدخل الرجال تحت الدبابات، فيحفروا الحصن، فتحته من يومك. وكذلك تفعل بحصون الكتبية.

ثم قال: يا أبي القاسم، احقن دمي.

قال: أنت آمن.

قال: ولی زوجة فهبا لها.

قال: هي لك. ثم دعاه «صلی اللہ علیہ وآلہ» إلى الإسلام.

قال: انظرني أياما.

ثم قال «صلى الله عليه و آله» لمحمد بن مسلم: لأعطيك الراية إلى رجل الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٩٥
يجبه الله و رسوله، و يحبه.

و في لفظ: قال «صلى الله عليه و آله»: لأدفعن الراية إلى رجل يحب الله و رسوله، لا يولي الدبر، يفتح الله عز وجل على يده، فيمكنته الله من قاتل أخيك الخ .. ١. و نقول:

إن في هذه الرواية أموراً عديدة، لا بد من التوقف عندها، و هي:

نصب المنجنيق:

إن هذه الرواية ذكرت: أن المنجنيق قد نصب على حصن البريء من حصون الشق .. أو على حصن النزار ..
مع أنهم يقولون: لم ينصب المنجنيق إلا في غزوه الطائف ..
و الغريب في الأمر: أن الحلبي يقول في وجه الجمع: إنه يجوز أن يكون قد نصب ولم يرم به هناك ..
لقد قال الحلبي هذا، مع أن التعبير الذي أورده هو نفسه يقول: لم ينصب المنجنيق إلا في غزوه الطائف، ولم يقل: لم يرم بالمنجنيق ..
و ما ذلك

(١) راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٤ و ٣٥ و راجع ص ٤١ و الإمتناع ص ٣١٢ و المغازى للواقدى ج ٢ ص ٦٤٥ و ٦٤٧ و ٦٤٨ و نظم درر السمطين للزرندى الحنفى ص ٩٩.

(٢) المغازى للواقدى ج ٢ ص ٦٤٨.

(٣) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٤١.

(٤) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٤١.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٩٦: إلا لأن المفهوم من التعبير بـنصب المنجنيق هو الرمي به.
و الأولى أن يقال: إن الإشكال غير وارد من الأساس.
فإن الرواية لم تذكر: أنه «صلى الله عليه و آله» قد نصب ذلك المنجنيق، و رمى به.
بل قالت: إن ذلك اليهودي قد افترض أو اقترح ذلك، فبذلك ينحل الإشكال المتعلق بالمنجنيق.
يضاف إلى ما تقدم: أن هذه الرواية تدل على: أن أول حصن بدأ به من حصون الشق هو حصن البريء.
مع أنه سيأتي في فقرة «حصن الشق»: أن أول حصن بدأ به هو أبي.
و بالتحديد بقلعة سموان.

ذراري اليهود لم تكن في حصن الشق:

و يفهم من الرواية السابقة: أن ذراري اليهود كانوا معهم في حصن النطا، و أنهم نقلوهم بعد أن أرهقهم الحصار إلى حصن الشق .. ١.

ونقول:

أولاً: قد صرحا: بأن الذراري لم يكونوا في حصن النطاء، بل كان فيه المقاتلون فقط.
ثانياً: إن هؤلاء الذراري لم يجعلوا في حصن الشق، بل كانوا في حصن الكتبية كما هو معلوم، وقد جعلوهم -حسب تصريحهم- فيه قبل حصار

(١) المغازى للواقدى ج ٢ ص ٦٤٨.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٩٧
رسول الله «صلى الله عليه و آله» لهم ..

إلا- أن يكون المقصود: هو بعض الذراري، الذين كانوا معهم يساعدونهم في إعداد الطعام والشراب للمقاتلين، أو للقيام على جراحهم، أو نحو ذلك ..

ابن مسلمة قارة، و الحباب أخرى:

لقد ركزت الرواية المتقدمة على محمد بن مسلمة، و جعلته محور التحركات البوية في حصن النطاء ..
فهي تقول: إن النبي «صلى الله عليه و آله» كان يذهب كل يوم بمحمد بن مسلمة للقتال، و يرجع في المساء .. فهل كانت قيادة الجيش الإسلامي قد أنيطت بابن مسلمة؟! فإن كان الأمر كذلك، فلماذا لم يحدثنا عنه التاريخ و يقول: إن محمد بن مسلمة كان صاحب لواء رسول الله «صلى الله عليه و آله» في خير؟!

أما أن رسول الله «صلى الله عليه و آله» كان يأخذ لأجل القتال فقط، لا بعنوان قيادة، و لا غير ذلك؟
فالسؤال هو: إن المشاركون في القتال كثيرون، فلماذا خص الرواية ابن مسلمة بالذكر من بين ألف و خمس مائة مقاتل؟! ..
ولماذا لم يذكروا عليا «عليه السلام»، أو أبا دجانة، أو المقداد، أو غير هؤلاء أيضا؟!
أم يعقل أن يكون هؤلاء قد أصبحوا متخاذلين؟! و غير ذوى أثر، و أن ابن مسلمة أصبح أكثر نشاطا و حركة منهم؟
هذا .. و اللافت: أن الحباب بن المنذر قد غاب هنا أيضا، و لم يكن له

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ١٩٨
نصيب يذكر، رغم أنه قد أعطى دورا كبيرا في موقع آخر ..

و اللافت أيضا: أن النبي «صلى الله عليه و آله» لم ير محمد بن مسلمة أهلا لأن يقتل قاتل أخيه، كما صرحت به هذه الرواية، فوعده بأن يعطي الراية غدا رجلا يحب الله و رسوله، و يحبه، يمكنه الله من قاتل أخيه (أى أخي محمد بن مسلمة)، فلماذا لا يمكن الله محمد بن مسلمة نفسه من أن يقتل قاتل أخيه؟!

و إذا كان محمد بن مسلمة هذا لم يستطع أن يقتل قاتل أخيه، حتى احتاج إلى على «عليه السلام» ليقوم بهذه المهمة .. فكيف كان يختاره النبي «صلى الله عليه و آله» ليذهب معه للقتال؟! و ما هو نوع و مستوى القتال الذي كان يذهب به إليه؟!
بل ستأتي: أن محمد بن مسلمة نفسه قد انزعج من قتل على «عليه السلام» لأخيه مرحبا اليهودي، و حقد على أمير المؤمنين «عليه السلام» بسبب ذلك، و اعتبر ذلك ذنبا له «عليه الصلاة و السلام».

موقع عثمان هو الأنسب:

و لعل أنساب ما في هذه الرواية إعطاء عثمان بن عفان مهمة حراسة منازل النساء، و أثقال العسكر، و هو الموضع الذي يحمل إليه المجرحون للتداوى .. لأنه أكثر المواقع أمنا، و أبعدها عن الخطر.

و قد كان عثمان- فيما يبدو- بحاجة إلى هذا الأمان، فقد أظهر ما جرى له في واقعة أحد: أنه لا يقدر على مواجهة الأحوال، أو ملاقاء الرجال.

حيث إن فزعته- الشهيره- في أحد جعلته يهرب في الهضاب و الشعاب، و لا الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ١٩٩
يعود إلا بعد ثلاثة أيام، حتى قال له النبي «صلی الله علیه و آله»: لقد ذهبت بها عريضة «١».

عمر يأمر بضرب عنق شخص:

و قد صرحت الرواية المتقدمة أيضا: بأن عمر بن الخطاب حين مناوبته في حراسة العسكر قد أتى بيهودي، فأمر بضرب عنقه ..
و سؤالنا هو:
أولاً: لماذا يأمر غيره بضرب عنق ذلك اليهودي، و لا يبادر هو إلى ذلك؟! أم أنه يريد أن يجد من يشاركه في هذا الفعل، ليكون

اللوم عليه

(١) راجع: تفسير المنار ج ٤ ص ١٩١ و الجامع لأحكام القرآن ج ٤ ص ٢٤٤ و فتح القدير ج ١ ص ٣٩٢ و تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٤١٤ و تفسير التبيان ج ٣ ص ٢٦ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٢٠٣ و الإرشاد للشيخ المفيد ص ٥٠ و البحار ج ٢٠ ص ٨٤ و البداية و النهاية ج ٤ ص ٢٨ و شرح النهج للمعتزلى ج ١٥ ص ٢١ عن الواقدي، لكن مجاز الواقدي المطبوع لم يصرح بالأسماء بل كنى عنها في ج ١ ص ٢٧٧ إلا أنه في الهاشم قال: في نسخة (عمر و عثمان) و الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٥٨ و السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢٧ و السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٥ و الدر المثور ج ٢ ص ٨٨ و ٨٩ عن ابن جرير و ابن المنذر، و ابن إسحاق. و راجع: سيرة ابن إسحاق ص ٣٣٢ و جامع البيان ج ٤ ص ٩٦ و غرائب القرآن (مطبوع بهامش جامع البيان) ج ٤ ص ١١٣ و التفسير الكبير للرازى ج ٩ ص ٥٠ و ٥١ و أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٢٦. و راجع عن فراره يوم أحد و تخلفه يوم بدر: محاضرات الراغب ج ٣ ص ١٨٤ و مسنده أحمد ج ٢ ص ١٠١ وج ١ ص ٦٨ و الصراط المستقيم للبياضى ج ١ ص ٩١.
الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٢٠٠:

أخف؟! أو أنه لا يجرؤ على قتل أحد بنفسه؟!

ثانياً: كيف يجوز أن يأمر بضرب عنق ذلك اليهودي من دون استجازة من رسول الله «صلی الله علیه و آله»؟! بل حتى من دون أن يعلمه بأمره؟!

و هل للحارس أن يتولى ضرب أعناق الناس الذين يجدهم في نوبة حراسته؟! من دون مراجعة؟!
و كيف لا يرجع أمره إلى النبي «صلی الله علیه و آله»؟! فعل له فيه رأيا آخر و سياسة أخرى.
و هذا العمل هل يتوافق مع قوله تعالى: لا تُقدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ؟! «١».

ثالثاً: كيف يأمر بضرب عنق الرجل قبل استجوابه، و معرفة نوایاه، و الذي جاء به، و ما يحمل من معلومات تفيد المسلمين في حربهم؟!
فعل الأمور كانت تسير في غير الاتجاه الذي ظنه ..

رابعاً: إن رواية الواقدي تقول: إن الذي أخذ ذلك العين هو عباد بن بشر، و ليس عمر بن الخطاب، فجاء به إلى رسول الله «صلی الله علیه و آله»، فأخبره الخبر.

فتدخل عمر و قال: اضرب عنقه.

قال عباد: جعلت له الأمان الخ .. ٢).

(١) الآية ١ من سورة الحجرات.

(٢) المغازى للواقدى ج ٢ ص ٦٤١.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٠١.

و فى جميع الأحوال نقول:

لا ندرى لماذا يتدخل عمر، و يصدر الأوامر بهذه الطريقة، فلو أنهم أطاعوه فى أوامر كهذه، فهل سيرضى ذلك رسول الله «صلى الله عليه و آله»؟

يضاف إلى ذلك: أننا قد ذكرنا فى أواخر غزوة أحد: أن عمر كان يطلب ضرب عنق هذا و ذاك فى موارد و مناسبات مختلفة، و كان رسول الله «صلى الله عليه و آله» يرفض ذلك. كما أنه قد طلب من عدد من الصحابة أن يبادروا إلى قتل بعض الناس، و كانوا يرفضون قبول ذلك منه، كما كان الحال بالنسبة لأبى جندل، الذى كان يحثه عمر، على قتل أبيه فى الحديبية. فرفض أبو جندل ذلك.

فلماذا يصر عمر على مثل هذا الأمر فى المواقف المختلفة؟!

ولماذا لا يبادر هو إلى قتل هذا و ذاك من يصدر الأوامر لغيره بقتلهم؟! و لماذا؟! و لماذا؟!

لا يعرف المنجنيق إلا هذا اليهودى:

و قد زعمت الرواية المتقدمة: أنه كان فى حصن الصعب موضع فيه منجنيق، و دبابات، و دروع، و سيف. و أنه لا- يعرف ذلك الموضع إلا ذلك اليهودى الأسير.

و نقول:

إن كان ذلك اليهودى هو الذى وضع تلك الأسلحة فى ذلك الموضع، دون علم أحد، لأن اليهود كلفوه بذلك أو لأن تلك الأسلحة كانت ملكا خاصا به، فمن الطبيعي أن لا يعرفها أحد سواه ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٠٢.

و أما إذا كانت هذه الأسلحة قد هيأها أهل الحصن للدفاع بها عن حصنهم، فاللازم هو: أن يعرف زعماء اليهود، و القيمون على أمر الحرب بالموضع الذى وضعت فيه، ليستفيدوا منها حين تعرض الحاجة، إذ لا يعقل أن يكونوا قد نسوا هذه الأسلحة، أو نسوا موضعها ..

و فى جميع الأحوال نقول:

لم يكن هذا اليهودى هو الزعيم الأوحد لليهود كلهم، و لا- ملکوه أسرار حصنهم، و لم يجعلوا أسلحتهم تحت سلطته، ليتولى هو تغيبها عنهم و عن غيرهم.

لماذا خص النبي صلّى الله عليه و آله ابن مسلم بخطابه؟!

و قد ذكرت الرواية المتقدمة أيضا: أنه «صلى الله عليه و آله»، قال لمحمد بن مسلم: لأعطيين الراية إلى رجل يحب الله و رسوله، و

يحيانه.

غير أننا نقول:

أولاً: لا بد أن نسأل من جديد: لماذا يتم توجيه الخطاب لمحمد بن محمد بن مسلمـة دون سواه؟! فهل هو بهدف التعریض به لأنـه كان قد فـرـى تلك الأيام السبعة، التي كان النبي «صلـى الله عـلـيـه و آـلـه» يخرـجـهـ فيهاـ إـلـىـ القـتـال .. حتىـ صـحـ أـنـ يـطـلـقـ عـلـيـهـ اـسـمـ فـرـارـ؟!

ولماذا وعدهـ بـأنـ يـمـكـنـهـ اللهـ تـعـالـيـ منـ قـاتـلـ أـخـيـهـ، معـ أـنـ اـبـنـ مـسـلـمـةـ نـفـسـهـ لـمـ يـمـكـنـ منـ ذـلـكـ طـلـيـةـ تـلـكـ الـمـدـةـ، وـ ماـ بـعـدـهـ وـ إـلـىـ آخرـ أيامـ حـربـ خـيـرـ ..

حيثـ إـنـ عـلـيـهـ «ـعـلـيـهـ السـلـامـ»ـ هـوـ الـذـىـ تـمـكـنـ منـ ذـلـكـ الـقـاتـلـ، وـ لـيـسـ اـبـنـ مـسـلـمـةـ ..

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٠٣

ولماذا يهتمـ النـبـيـ «ـصـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـ آـلـهـ»ـ بـقـتـلـ قـاتـلـ أـخـيـهـ اـبـنـ مـسـلـمـةـ، وـ لـاـ يـذـكـرـ مـنـ عـدـاهـ مـنـ الشـهـدـاءـ؟ـ وـ لـاـ يـعـلـمـ أـنـ يـرـيدـ مـنـ عـلـىـ «ـعـلـيـهـ السـلـامـ»ـ قـتـلـ الـذـينـ قـلـوـهـمـ؟ـ!ـ فـهـلـ لـأـنـ قـاتـلـهـ هـوـ مـرـحـبـ لـعـنـهـ اللهـ، وـ هـوـ رـأـسـ الـحـرـبـةـ لـلـيـهـودـ، وـ أـعـظـمـ فـرـسانـهـمـ، فـإـذـاـ قـتـلـ مـرـحـبـ، تـقـعـ الـهـزـيمـةـ بـهـمـ، وـ يـحـلـ الفـشـلـ وـ الرـعـبـ فـيـهـمـ؟ـ!ـ وـ يـكـونـ لـذـلـكـ الـنـصـرـ الـعـظـيمـ نـوـعـ اـرـتـبـاطـ بـيـنـ مـسـلـمـةـ وـ يـكـونـ ذـلـكـ بـمـثـاـبـةـ مـكـافـأـةـ لـهـمـ عـلـىـ خـدـمـاتـهـ لـلـخـلـيـفـةـ الثـانـيـ، مـنـ خـلـالـ مـحـمـدـ بـنـ مـسـلـمـةـ بـالـذـاتـ حـسـبـمـاـ أـشـرـنـاـ إـلـيـهـ فـيـ جـزـءـ سـابـقـ.

ثانياً: إنـ هذاـ القـوـلـ: «ـلـأـعـطـيـنـ الرـاـيـةـ غـداـ رـجـلـاـ لـخـ ..ـ إـنـماـ كـانـ بـعـدـ فـتـحـ حـصـونـ النـطـاءـ وـ الشـقـ كـلـهـاـ، وـ بـعـدـ وـصـولـهـ «ـصـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـ آـلـهـ»ـ إـلـىـ حـصـنـ الـقـمـوـصــ وـ هـوـ أـعـظـمـ حـصـونـ خـيـرــ وـ هـوـ مـنـ حـصـونـ الـكـتـيـبـةـ وـ هـوـ آـخـرـ حـصـنـ فـتـحـ فـيـ خـيـرـ كـلـهـاـ، أوـ قـبـلـ آـخـرـهـ ..

إسهامات عمر في فتح خير:

وـ هلـ يـمـكـنـ أـنـ نـفـهـمـ مـنـ هـذـهـ الـرـوـاـيـةـ، الـتـىـ جـعـلـتـ أـسـرـ الـيـهـودـ فـيـ نـوـبـةـ حـرـاسـةـ عـمـرـ:ـ أـنـهـمـ أـرـادـواـ أـنـ يـجـعـلـوـاـ لـعـمـرـ بـنـ الـخـطـابـ سـهـماـ كـبـيرـاـ فـيـ فـتـحـ خـيـرـ؟ـ بـهـدـفـ تـقـلـيـصـ الـفـارـقـ بـيـنـهـ وـ بـيـنـ عـلـىـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ «ـعـلـيـهـ السـلـامـ»ـ الـذـىـ قـتـلـ مـرـحـبـ، وـ فـتـحـ اللهـ تـعـالـيـ خـيـرـ عـلـىـ يـدـيهـ، وـ اـقـلـعـ بـابـ الـحـصـنـ، وـ اـتـخـذـهـ تـرـساـ.ـ رـغـمـ عـجزـ عـشـرـاتـ الـأـشـخـاصـ مـنـ حـمـلـهـ، اوـ عنـ إـعادـتـهـ إـلـىـ مـوـضـعـهـ؟ـ!ـ إـفـاـذاـ أـخـذـ رـجـلـ فـيـ نـوـبـةـ حـرـاسـةـ عـمـرـ، وـ أـدـلـىـ ذـلـكـ الـرـجـلـ بـمـعـلـومـاتـ تـؤـدـىـ إـلـىـ فـتـحـ أـحـدـ حـصـونـ خـيـرـ، فـلـرـبـماـ يـفـيـدـ ذـلـكـ فـيـ إـعادـةـ رـذـاذـ مـنـ مـاءـ

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٠٤

الوجهـ الـذـىـ أـرـيقـ فـيـ فـرـارـ عـمـرـ الـمـتـعـاقـبـ وـ كـذـلـكـ فـرـارـ أـبـىـ بـكـرـ، وـ غـيرـ هـمـاـ.

حتـىـ صـحـ أـنـ تـسـتـعـمـلـ فـيـ حـقـهـمـاـ صـيـغـةـ الـمـبـالـغـةـ وـ هـىـ كـلـمـةـ:ـ «ـفـرـارـ»ـ (أـىـ كـثـيرـ الـكـرـ).ـ وـ هـوـ عـلـىـ «ـعـلـيـهـ السـلـامـ»ـ دـوـنـ سـوـاـ ..

قتل مرحباً في القموص لا في الصعب:

وـ قـدـ فـهـمـ مـنـ الـرـوـاـيـةـ الـمـتـقـدـمـةـ:ـ أـنـ قـوـلـ النـبـيـ «ـصـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـ آـلـهـ»ـ:ـ «ـلـأـعـطـيـنـ الرـاـيـةـ غـداـ رـجـلـاـ يـحـبـ اللهـ وـ رـسـولـهـ الـخـ ..ـ كـانـ فـيـ حـصـونـ النـطـاءـ، وـ بـالـذـاتـ فـيـ الـحـصـنـ الـصـعـبـ، مـاـ يـعـنـىـ:ـ أـنـ فـرـارـ عـمـرـ وـ أـبـىـ بـكـرـ، وـ غـيرـهـمـ، وـ هـمـ يـجـبـنـوـنـ أـصـحـابـهـمـ، وـ يـجـنـبـنـهـمـ أـصـحـابـهـمـ، قـدـ كـانـ فـيـ هـذـاـ الـحـصـنـ بـالـذـاتـ.ـ مـعـ أـنـ كـلـمـةـ الـمـؤـرـخـينـ مـتـفـقـةـ وـ الـنـصـوصـ مـتـضـافـرـةـ، وـ الـرـوـاـيـاتـ مـتـوـاتـرـةـ فـيـ أـنـ مـحـمـودـ بـنـ مـسـلـمـةـ قـدـ قـتـلـ فـيـ حـصـنـ نـاعـمـ، وـ أـنـ فـرـارـ عـمـرـ

وأبى بكر و مبارزة مرحباً و قتله على يد على «عليه السلام»، ثم قلع باب الحصن، إنما كان في حصن القموص. و ذلك بعد فتح حصنون النطاء، و حصنون الشق كلها، بل إن القموص آخر حصنون خير فتحا، أو قبل آخرها.

إلا أن يقال: إن مراد الرواية هو وصف الحصن بأنه صعب و لذلك أدخل الألف و اللام على كلمة الحصن، و ليس المراد الحصن المسمى بحصن الصعب بن معاذ.

و هذا يبقى مجرد احتمال، و لكنه احتمال ليس بالقوى.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٢٠٥

حصن الشق:

قد ذكر الصالحي الشامي تبعاً لغيره:
أنه لما فرغ رسول الله «صلى الله عليه و آله» من النطاء تحول إلى الشق.
و قد روى البيهقي، عن محمد بن عمر، عن شيوخه، قالوا: لما تحول رسول الله «صلى الله عليه و آله» إلى الشق، و به حصنون ذوات عدد، كان أول حصن بدأ به حصن أبي، فقام رسول الله «صلى الله عليه و آله» على قلعة يقال لها: سموان، فقاتل عليها أهل الحصن، قتالاً شديداً.

و خرج رجل من يهود يقال له: غزول، فدعاه إلى البراز، فبرز له الحباب، فاقتتلوا، فاختلغا ضربات، ثم حمل عليه الحباب، فقطع يده اليمنى من نصف الذراع، فوقع السيف من يد غزول، فبادر راجعاً منهزاً إلى الحصن، فتبعده الحباب، فقطع عرقوبه، فوقع دفنه عليه.

فخرج آخر، فصاح: من ييارز؟

فبرز له رجل من المسلمين من آل جحش، فقتل الجحشى.

و قام مكانه يدعوه إلى البراز، فبرز له أبو دجانة، و قد عصب رأسه بعصابته الحمراء، فوق المغفر، يختال في مشيته، فبدره أبو دجانة فضربه، فقطع رجله، ثم ذفف عليه، و أخذ سليمه، درعه و سيفه، فجاء به إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله»، فنفله رسول الله «صلى الله عليه و آله» ذلك.

و أحجم اليهود عن البراز، فكبّر المسلمين، ثم تحاملوا على الحصن فدخلوه، يقدمهم أبو دجانة، فوجدوا فيه: أثاثاً، و متاعاً، و غنماً، و طعاماً.

و هرب من كان فيه من المقاتلة، و ت quamوا الجدر، كأنهم الظباء، حتى صاروا إلى حصن النزار بالشق.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٢٠٦

و جعل يأتي من بقي من فلّ النطاء إلى حصن النزال - و في الحلبية: يقال له: حصن البريء، و هو الحصن الثاني من حصني الشق - فغلقوه، و امتنعوا فيه أشد الامتناع.

و زحف رسول الله «صلى الله عليه و آله» إليهم في أصحابه، فقاتلتهم، فكانوا أشد أهل الشق رمياً للمسلمين بالنبل و الحجارة، و رسول الله «صلى الله عليه و آله» معهم، حتى أصابت النبل ثياب رسول الله «صلى الله عليه و آله» و علقته به.

فأخذ رسول الله «صلى الله عليه و آله» النبل فجمعها، ثم أخذ لهم كفا من حصى، فحصب به حصنهم، فرجف الحصن بهم، ثم ساخ في الأرض، حتى جاء المسلمين، فأخذوا أهلها أخذـاً ^(١).

و نقول:

إننا نشير إلى ما يلى: الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی ج ١٧ حصنون الشق: ص : ٢٠٥

في اندفاعهم إلى الحرب، ولا في اتخاذ القرار بشأنها.

ولعلنا نستطيع أن نؤكد: أن حب الدنيا، وحب الشهرة فيها، جعلهم عاجزين عن تقييم الأمور بصورة منصفة و موضوعية، وسد عليهم باب التعقل، والتدارك، والإنصاف، حتى لأنفسهم، فكيف ينصفون غيرهم.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٢٣ و دلائل النبوة لليهقى ج ٤ ص ٢٢٤ و المغازى للواقدى ج ٢ ص ٦٦٧ و ٦٦٨ و السيرة الحلبية ج ٣ ص ٤٠

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٠٧

إن من يريد أن ينال بقتل الناس مجدًا وشهرة، وأن يتلذذ بهذا المجد وبتلك الشهرة لا يملك أدنى حد من الشعور والوجدان الإنساني ..

و غنى عن البيان: أن صدور هؤلاء عن قبول الحق بعد وضوحي لهم يثبت بصورة قاطعة: أن أحدًا لا يطلب الجنة بقتاله، ولا يسعى لتنفيذ أمر إلهي يخشى العقوبة على مخالفته ..

٢- و تعود الروايات المتقدمة للحديث عن الحباب بن المنذر من جديد، لتجعل له حصة في فتح هذا الحصن أيضًا، وقد قدمنا عن قريب بعض ما يفيد في تلمس الإشارات التي تعطي الانطباع عن حقيقة دوافع هؤلاء لنسبة مواقف وإنجازات لأناس لا يستحقونها في أنفسهم، وإنما تأتي على شكل مكافآت لهم على مواقف اتخذوها، أو نهج اتبعوه، أو أيدوه ..

٣- وعن تبخر أبي دجابة نقول: قد مر الحديث عن تبخر على «عليه السلام» في غزو الخندق، حينما قتل عمرو بن عبد ود، وأن النبي «صلى الله عليه و آله» قد أعلن لكل الناس حينئذ: أنها مشيئة يغضها الله تعالى إلا في هذا الموضع، الذي يطلب فيه إرهاب العدو، وإضعاف شوكته، والحد من ميله للحرب، فإن ذلك يفيد في حفظ أرواح المسلمين، ودفع ويلات الحرب عنهم، فعلل الله سبحانه يقبل بقلوب هؤلاء الجاحدين، أو بقلوب من يلوذ بهم إلى الإسلام والإيمان، فيما لو أدركوا رعايته تعالى لمسيرة الإيمان، حيث يجد اليأس سبيلاً إلى قلوبهم من أن يستطيع بطلهم أن يتماسك أمام سطوة الحق وأهله ..

٤- و الغريب هنا: أن الرواية المتقدمة: تذكر أنهم حين اقتحموا الحصن كان أبو دجابة يقدمهم، ولا ندرى أيضاً أين كان أسد الله وأسد رسوله

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٠٨

الغالب، الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام»، الذي هو صاحب لواء رسول الله «صلى الله عليه و آله» في كل مشهد؟! إذ يبدو لنا: أن هؤلاء قد انتهزوا فرصة الإشاعة الباطلة عن أنه «عليه السلام» كان مبتلى بالرمد، وأن التحاقه بالنبي «صلى الله عليه و آله» في خير قد تأخر إلى أيام حصن القموص، ونسوا: أن ذلك قد ثبت بطلاقه، وزيفه.

حيث سيأتي إثبات رمد عينيه «عليه السلام» إنما اتفق له في آخر أيام حصار حصن القموص، حيث قتل مرحبا ..

و سيأتي: أنه لو صح ذلك لم يكن «عليه السلام» هو صاحب لواء «صلى الله عليه و آله» في خير وفي كل مشهد ..

ويضاف إلى ذلك: أنه إذا كان حصاره «صلى الله عليه و آله» لحصن القموص الذي قتل على «عليه السلام» فيه مرحبا قد دام عشرين ليلة، فإن رمد عيني على «عليه السلام» لم يستمر كل هذه المدة الطويلة ..

و سيأتي توضيح ذلك إن شاء الله ..

و علينا ألا ننسى أن رمد على «عليه السلام»، قد كان من ألطاف الله تعالى، فإنه تعالى قد صنع له ذلك، لكنه يفرّ أولئك الناس مرة بعد أخرى، ويظهر للناس من هو الفزار، ومن هو الكزار ..

٥- وأما بالنسبة لارتفاع الحصن، وأنه ساخ في الأرض لما حصبه النبي «صلى الله عليه و آله»، بکف من حصى. فهـى إذا ثبت

تكون معجزة عظيمة للنبي الأعظم «صلى الله عليه و آله». وقد كان المفروض باليهود بعد حصول هذا الأمر العظيم: أن يستسلموا لرسول الله «صلى الله عليه و آله»، وأن يؤمنوا به.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٠٩

إذ لا يعقل: أن يستمروا على العناد والجحود، وهم يرون هذا العذاب الأليم يحيق بإخوانهم الذين كانوا في ذلك الحصن.

٦- إنه إذا صحت هذه الحادثة فلا بد أن يزيد يقين أصحاب رسول الله «صلى الله عليه و آله» و تتأكد صلابتهم في مواجهة أعداء الله تعالى، فلا يفرون في تلك الحرب مرةً بعد أخرى، حتى وصفهم «صلى الله عليه و آله» بأنهم فرّارون ..

٧- لا ندرى الحكم في جمع النبي «صلى الله عليه و آله» للنبال التي رماهم اليهود بها .. ونحن نرتاب أيضاً في صحة الرواية التي ذكرت ذلك.

ماذا عن فتح حصن النزار؟!

وقد رروا: أن رسول الله «صلى الله عليه و آله» نظر إلى حصن النزار، فقال: هذا آخر حصون خيبر كان فيه قتال .. فلما فتحنا هذا الحصن لم يكن بعده قتال، حتى خرج رسول الله «صلى الله عليه و آله» من خيبر.

و نقول:

لا- شك: في أن علياً «عليه السلام» قد قتل مرحباً و ياسراً في حصن القموص، وهو من حصون الكتبية، وإنما انتقل إليه رسول الله «صلى الله عليه و آله» بعد فراغه من حصون النطأة والشق.

فما معنى قولهم: إنه لم يحصل قتال بعد حصن النزار؟! لا سيما وأن أبو بكر و عمر، و سواهما قد أخذوا الرأي في حصن القموص، ورجعوا ولم يكن فتح - كما تصرح به الروايات.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢١٠

و يمكن أن يجاب: بأن المقصود: أن أبو بكر و عمر و سواهما، وإن أخذوا الرأي و الجيش، و توجهوا نحو الحصن، ولكنهم بمجرد أن رأوا مرحباً و اليهود فروا خوفاً و رعباً، و صاروا يتجنبون أصحابهم، و يتجنبنهم أصحابهم ..

كما أن النبي «صلى الله عليه و آله» قد أرسل المسلمين مع علي «عليه السلام»، فهربوا عنه، و تركوه وحده، فقتل مرحباً، و سائر الفرسان، و لم يكن قتال إلا ذلك ..

و هذا يوجب الشك: في أن يكون الزبير أو محمد بن مسلمة قد قتل أحداً من الفرسان أيضاً ..

و لأجل ذلك: صرحت الروايات و النصوص: بأن فتح حصون الكتبية قد كان بيد علي «عليه السلام» وحده. و لا صحة لما زعموه: من حرب و قتال لأحد سواه «عليه السلام».

و لعل هذا يفسر لنا أيضاً ما سئلني: من أن الكتبية و الوطیح و سلالم كانت لرسول الله «صلى الله عليه و آله» .. بالإضافة إلى فدك ..

صفية في حصن النزار:

وقد ذكروا هنا أيضاً: أن صفية بنت حبي، و ابنة عمها قد أخذتا من حصن النزار، و ذلك لأن اليهود أخرجوا النساء و الذريء إلى الكتبية، و فرغوا حصن النطأة للمقاتلة.

ولكن كنانة بن الحقيق قد رأى أن حصن النزار أحسن ما هنالك،

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢١١

فأباقاها فيه، هي و نسيبات معها؛ فأسرت تلك النسوة في حصن التزار «١».

و نقول:

إن هناك نصوصاً كثيرة تقول: إن علياً «عليه السلام» هو الذي فتح الحصن، و جاء بصفية إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله» «٢». فإن كانت صفة قد سببت في حصن التزار، فذلك يعني: أن علياً «عليه السلام»: هو الذي فتح هذا الحصن أيضاً، كما فتح حصن القموص، و ذلك يدل على وجود تصرف خطير في الحقائق التاريخية، و محاولة تحريف خطيرة لها ..

يضاف إلى ذلك: أن هذا النص يفيد: أن رمد عيني على «عليه السلام» الذي هي الفرصة لأنخذ أبي بكر و عمر و غيرهما الرائية في حصن القموص، و فرارهما- إن رمد عينيه «عليه السلام» هذا- قد كان بعد فتح حصن التزار، و في أيام حصار حصن القموص، الذي استمر عشرين ليلة، كما سيأتي ..

(١) المغازى للواقدى ج ٢ ص ٦٦٨ و ٦٦٩.

(٢) قد ذكرنا مصادر ذلك في موضع آخر من هذا الكتاب، و راجع: البحار ج ٢١ ص ٢٢ و عن الخصائص للنسائي ص ٦٣ و في هامشه عن أعلام النساء ج ٢ ص ٣٣٣ و أسد الغابة ج ٥ ص ٤٩٠ و الدر المتنور ج ١ ص ٢٦٣.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٢١٣.

الباب السادس فتح خير

إشارة

الفصل الأول: المنهزمون الفاشلون الفصل الثاني: وقفات لابد منها الفصل الثالث: قتل مرحباً .. أحداث و تفاصيل الفصل الرابع: قلع باب خير .. أحداث و تفاصيل

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٢١٥

الفصل الأول: المنهزمون الفاشلون

إشارة

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٢١٧

بداية:

إننا نستمتع القارئ عذراً إذا رأى- في هذا الفصل بالخصوص- أن ثمة تبلاً في طريقة العرض و المناقشة، حيث آثرنا: أن نقدم في البداية عرضاً لطائفه كبيرة من النصوص .. ثم ألقنها بعض ما اقتضته الحال من مناقشات لبعضها، و توضيحات لبعضها الآخر، بالإضافة إلى ملاحظات، أو استفادات رأينا أن من المفيد الإلماح إليها، و الوقوف عندها، في نطاق عرض الأحداث التي سجلوها على أنها سيرة و تاريخ ..

و سوف نقتصر على أقل القليل من ذلك، حرصاً منا على عدم إرهاق القارئ بالجزئيات و التفاصيل، فنقول، و نتوكل على خير مأمول، و أكرم مسؤول:

القموص أعظم حصن خير:

قالوا: لقد كان بخير أربعة عشر ألف يهودي في حصنهم، فجعل رسول الله «صلى الله عليه و آله» يفتحها حصناً حصناً، و كان من أشد حصنهم، و أكثرها رجالاً القموص «١».

(١) البحار ج ٢١ ص ٢١ عن إعلام الورى ج ١ ص ٢٠٧.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ١٧، ص: ٢١٨

و قالوا أيضاً: لما فتح رسول الله «صلى الله عليه و آله» حصن النطاء، و الشق، انهزم من هم إلى حصن الكتبة. و هي: القموص، و الوطيط، و السلام.

و أعظم حصنها: القموص، و كان حصننا منها «١». بل هو حصن خير الأعظم «٢».

قال ابن وهب: قلت لمالك: و ما الكتبة؟!

قال: من أرض خير، و هي أربعون ألف عذق «٣».

حصار القموص:

و قد فتح الله هذا الحصن العظيم على يد علي «عليه السلام»، بعد أن حاصره المسلمون عشرين ليلة «٤». و ذكر موسى بن عقبة: أن رسول الله «صلى الله عليه و آله» حاصره

(١) سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١٢٤ و المغازى للواقدى ج ٢ ص ٦٧٠ و راجع: البداية و النهاية ج ٤ ص ٢٢٦ و السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٧٦.

(٢) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٨ و معجم ما استجم للبكري الأندلسي ج ٢ ص ٥٢٢.

(٣) إمتناع الأسماع ص ٣١٩ و ٣٢٠ و راجع: سنن أبي داود ج ٢ ص ٣٧ و السنن الكبرى لبيهقي ج ٦ ص ٣١٨ و عون المعبد ج ٨ ص ١٧٥ و نصب الرأي للزيلعي ج ٤ ص ٢٥٣ و عن البداية و النهاية ج ٤ ص ٢٢٩ و عن عيون الأثر ج ٢ ص ١٤٢ و السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٨٣ و سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١٥٢.

(٤) راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٤١ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٨ و سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١٢٤. الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ١٧، ص: ٢١٩: قريباً من عشرين ليلة. و كانت أرضاً و خمة.

و قال الواقدى: «و بالكتيبة من اليهود، و من نسائهم، و ذراريهم أكثر من ألفين.

فلما صالح رسول الله «صلى الله عليه و آله» أهل الكتبة أمن الرجال و الذريء، و دفعوا إليه الأموال: البيضاء و الصفراء، و الحلقة، و الشيب إلا ثوباً على إنسان» «١».

ثم ذكر: أن فلول النطاء و الشق جاءتهم إلى الكتبة، و الوطيط و السلام، فتحصنت بهم في القموص أشد التحصين مغلقين عليهم لا يبرزون، حتى هم رسول الله «صلى الله عليه و آله» أن يرميهم بالمنجنيق «٢».

رعب اليهود:

و يذكر الواقدي أيضاً أن كنانة ابن أبي الحقيق كان راميأ، يرمي بثلاثة أسلحة في ثلاثة ذراع، فيدخلها في هدف شبرا في شبر. فما هو إلا أن قيل له: هذا رسول الله «صلى الله عليه و آله» قد أقبل من الشق في أصحابه، وقد تهأأ أهل القموص، وقاموا على باب الحصن بالنبل.. فنهض كنانة إلى قوسه، فلم يستطع أن يوتها لشدة الرعدة التي انتابته .. ثم ذكروا: أنه أرسل إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله» ليلتقيه .. و يكلمه في الصلح .. فوقع الصلح بينهما كما سيأتي «٣».

(١) المغازى للواقدي ج ٢ ص ٦٦٩ و إمتناع الأسماع ص ٣١٩.

(٢) المغازى للواقدي ج ٢ ص ٦٧٠.

(٣) المغازى للواقدي ج ٢ ص ٦٧٠.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٢٠

ونقول:

لعل هذا النص يريد أن يقول:

إن الصلح كان على بقية حصون الكتبية، أما حصن القموص فقد فتحه على «عليه السلام» وحده، كما هو صريح كلمات المؤرخين و روایاتهم.

رأيات الفاشلين:

و روى الشیخان، عن سهل بن سعد.

و البخاري، و ابن أبيأسامة، و أبو نعيم، عن سلمة بن الأكوع.

و أبو نعيم، و البيهقي، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه.

و أبو نعيم، عن ابن عمر، و سعد بن أبي وقاص، و أبي سعيد الخدري، و عمران بن حصين، و جابر بن عبد الله، و أبي ليلي.

و مسلم، و البيهقي، عن أبي هريرة.

و أحمد، و أبو يعلى، و البيهقي، عن علي «عليه السلام».

قال بريدة: كان رسول الله «صلى الله عليه و آله» تأخذ الشقيقة، فيمكت اليوم واليومين لا يخرج، فلما نزل خير أخذته الشقيقة، فلم يخرج إلى الناس، فأرسل أبا بكر، فأخذ رأيه رسول الله «صلى الله عليه و آله» - و كانت بيضاء «١» - ثم نهض فقاتل قتالاً شديداً، ثم رجع، و لم يكن فتح. وقد

(١) الرياض النصرة (ط محمد أمين بمصر) ج ١ ص ١٨٤-١٨٨ و الإرشاد للمفيد (ط مؤسسة آل البيت) ج ١ ص ١٢١ و راجع: شرح الأخبار للقاضي النعمان ج ١ ص ١٤٧ و العمدة لابن البطريق ص ١٥٠ عن تفسير الشعالي، و الطراف لابن طاووس ص ٥٨ و إحقاق الحق ج ٥ ص ٣٧٣ و مسنند أحمد ج ٥ ص ٣٥٨

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٢١

جهد (و قتل محمود بن مسلم) «١».

ثم أرسل عمر، فأخذ رأيه رسول الله «صلى الله عليه و آله»، فقاتل قتالاً شديداً هو أشد من القتال الأول، ثم رجع، و لم يكن فتح.

و في حديث عن علي «عليه السلام» عند البيهقي: أن الغلة كانت لليهود في هذين اليومين «٢». انتهى.

و في نص آخر: أنه «صلى الله عليه و آله» أرسل عمر في اليوم الأول، ثم أرسل أبو بكر في اليوم الثاني، ولم يكن

و المناقب للخوارزمي (ط النجف) ص ١٠٣ و في (طبعه أخرى) ص ١٦٧ و البحار ج ٢١ ص ٣ و ج ٣٩ ص ١٠ و مناقب أهل البيت للشيروانى ص ١٣٩ و المستدرک للحاکم ج ٣ ص ٣٧ و عن فتح الباری ج ١٠ ص ١٢٩ و مجمع البيان ج ٩ ص ٢٠١ و خصائص الوحى المبين لابن البطريق ص ١٥٦ و تفسير الميزان ج ١٨ ص ٢٩٥ و عن تاريخ الأمم والملوک ج ٢ ص ٣٠٠ و عن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢١٣ و نهج الإيمان لابن جبر ص ٣٢٢ و السيرة النبوية لابن كثیر ج ٣ ص ٣٥٤ و سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١٢٤.

(١) راجع: البداية والنهاية ج ٤ ص ١٨٥ فما بعدها عن البيهقي، و راجع ما تقدم من مصادر في الإحالة السابقة. غير أننا ذكرنا فيما تقدم: أن محمود بن مسلم قد قتل في حصن ناعم.

(٢) سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١٢٤ و البداية والنهاية ج ٤ ص ١٨٤ فما بعدها و دلائل النبوة ج ٤ ص ٢٠٩ و السيرة الحلبية ج ٣ ص ٤١ و تاريخ الأمم والملوک ج ٢ ص ٣٠ و حلية الأولياء ج ١ ص ٦٢ و معالم التنزيل (ط مصر) ج ٤ ص ١٥٦ و تذكرة الخواص ص ٢٥ و منتخب كتز العمال (بهاشم مسند أحمد) ج ٤ ص ١٢٨ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٨.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٢٢٢
فتح «١».

و في نص آخر عن بريدة: حاصرنا خيبر، فأخذ اللواء أبو بكر، فانصرف ولم يفتح له، ثم أخذه عمر من الغد، فخرج و رجع، ولم يفتح له.

و أصحاب الناس يومئذ شدّة جهد، فقال رسول الله «صلى الله عليه و آله»: إني دافع اللواء الخ .. «٢».

و عند الطبرى: فانكشف عمر و أصحابه، فرجعوا إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله»، يجنبه أصحابه و يجنبهم، فقال رسول الله «صلى الله عليه و آله»: لأعطيين الرأيــ اللواءــ غداً رجلاً يحب الله و رسوله، ويجهه الله و رسوله.
فلما كان من الغد تطاول لها أبو بكر، و عمر، فدعاهما علياً «عليه السلام» الخ .. «٣».

(١) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٨ و راجع: مناقب أهل البيت للشيروانى ص ١٤١.

(٢) مسند أحمد ج ٥ ص ٣٥٣ و راجع: الخصائص للنسائى (ط التقدم بمصر) ص ٥ و السيرة النبوية لابن هشام (المطبعة الخيرية بمصر) ج ٣ ص ١٧٥ و أسد الغابة ج ٤ ص ٣٣٤ و شرح أصول الكافى ج ١٢ ص ٤٩٤ و العمدة لابن البطريق ص ١٤٠ و الطرائف لابن طاووس ص ٥٥ و البحار ج ٣٢ ص ١٣٣ و ج ٣٩ ص ٧ و مجمع الزوائد ج ٧ ص ١٥٠ و السنن الكبرى للنسائى ج ٥ ص ١٠٩ و تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٩٢ و البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٧٣ و نهج الإيمان لابن جبر ص ٣١٨ و ينایع المودة للقندوزى الحفنى ج ١ ص ١٥٥.

(٣) تاريخ الأمم والملوک ج ٣ ص ٣٠ و منتخب كتز العمال (بهاشم مسند أحمد) ج ٤ ص ١٢٧ و ١٢٨ و لم يذكروا غير عمر في هذا النص، و كذلك في الرياض النضرة

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٢٢٣

و عن أبي ليلى، و عن ابن عباس: بعث أبو بكر فسار بالناس، فانهزم حتى رجع إليه، و بعث عمر فانهزم بالناس حتى انتهى إليه، فقال رسول الله «صلى الله عليه و آله»: لأعطيين الخ .. «١».

زاد بعضهم قوله: ثم بعث رجلاً من الأنصار فقاتل و رجع، و لم يكن فتح «٢».

فأخبر رسول الله «صلى الله عليه و آله» بذلك فقال: «لأعطي الرأي غداً رجلاً يفتح الله عليه، ليس بفار، يحب الله و رسوله، يأخذها عنوة».

وفي لفظ: «يفتح الله على يديه».

قال بريدة: فبتنا طيبة أنفسنا أن يفتح غداً، و بات الناس يدوكون ليتهم أيهم يعطها.

(ط محمد أمين بمصر) ج ١ ص ١٨٥ - ١٨٨ والإرشاد للمفید (ط مؤسسة آل البيت) ج ١ ص ١٢٦ و البحار ج ٢١ ص ٢٨ عن الخرایج و الجرایح و راجع ص ٣ و ج ٣٩ ص ١٠، و راجع: العمدة لابن البطريق ص ١٥٠ و الطرائف لابن طاوس ص ٥٨ و تفسیر مجمع البيان للطبرسی ج ٩ ص ٢٠١ و خصائص الوحى لابن البطريق ص ١٥٦ و تفسیر المیزان ج ١٨ ص ٢٩٥ و تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٩٣ و نهج الإيمان لابن جبر ص ٣٢٢.

(١) منتخب كنز العمال (بهاشم مسند أحمد) ج ٥ ص ٤٤ و مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٣ و راجع: مناقب ابن شهر آشوب ج ٢ ص ٣١٨ و البحار ج ٣ ص ٥٢٥ و المستدرک للحاکم ج ٣ ص ٣٧ و عن المصنف لابن أبي شيبة ج ١ ص ٤٩٧ و ج ٨ ص ٥٢٢ و كنز العمال ج ١٣ ص ١٢١.

(٢) راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٧ و المغازى للواقدى ج ٢ ص ٦٥٤.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٢٢٤.

فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله «صلى الله عليه و آله» كلهم يرجو أن يعطها. قال أبو هريرة: مما أحبت الإمارة قط حتى كان يومئذ «١».

قال بريدة: مما منا رجل له من رسول الله «صلى الله عليه و آله» متزلة إلا و هو يرجو أن يكون ذلك الرجل، حتى تطاولت أنا لها، و رفعت رأسى لمتزلة كانت لى منه، و ليس منه «٢».

وفي حديث سلمة، و جابر: و كان على تخلف عن رسول الله «صلى الله عليه و آله» لرمد شديد كان به لا يبصر، فلما سار رسول الله «صلى الله عليه و آله» قال: لا، أنا أتخلف عن رسول الله «صلى الله عليه و آله»!! فخرج فلحق برسول الله «صلى الله عليه و آله» في الطريق، أو بعد وصوله إلى خير «٣». ثم ذكر البخاري و غيره، قوله «صلى الله عليه و آله»: لأعطي الرأي غداً .. إلى أن قال: فنحن نرجوها، فقيل: هذا على، فأعطاه، ففتح عليه «٤».

(١) ستائي مصادر كثيرة لهذا الحديث إن شاء الله تعالى.

(٢) سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١٢٤ و منتخب كنز العمال (بهاشم مسند أحمد) ج ٤ ص ١٢٨ و راجع: كنز العمال ج ١٠ ص ٤٦٣ و البداية و النهاية لابن كثير ج ٤ ص ٢١٢ و السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٥٤ و مصادر أخرى كثيرة.

(٣) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٨ و سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١٢٤ و راجع: صحيح البخاري (ط محمد على صحيح بمصر) ج ٥ ص ١٧١ و راجع ص ٢٣.

(٤) صحيح البخاري (ط محمد على صحيح بمصر) ج ٥ ص ١٧١.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٢٢٥.

وفي نص آخر: فإذا نحن بعلى، و ما نرجوه، فقلوا: هذا على الخ .. «١».

قال بريدة: و جاء على «عليه السلام» حتى أanax قربا، و هو رمد، قد عصب عينيه بشق برد قطرى.

قال رسول الله «صلى الله عليه و آله»: ما لك؟

قال «عليه السلام»: رممت بعده.

قال رسول الله «صلى الله عليه و آله»: ادن مني.

فدعنا منه، ثم ذكر أنه أعطاه الراية، فنهض بها معه، و عليه حلأ أرجوان حمراء، قد أخرج خملها، فأتي خير الخ .. ٢٢. و في نص آخر: قال بريدة: فلما أصبح رسول الله «صلى الله عليه و آله» صلى الغداة، ثم دعا باللواء، و قام قائما.

قال ابن شهاب: فوعظ الناس، ثم قال: «أين على»؟

قالوا: يشتكي عينيه.

قال: « فأرسلوا إليه».

قال سلمة: فجئت به أقوده، قالوا كلهم: فأتي به رسول الله «صلى الله عليه و آله»، فقال له رسول الله «صلى الله عليه و آله»: «ما لك؟

(١) صحيح البخاري (ط محمد على صحيح بمصر) ج ٥ ص ٢٣ و البداية و النهاية ج ٤ ص ١٨٤ و الخصائص الكبرى ج ١ ص ٢٥١ و ٢٥٢.

(٢) البداية و النهاية ج ٤ ص ١٨٥ مما بعدها، و راجع: تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٣٠١ و خصائص الوحي المبين لابن البطريق ص ١٥٦ و المناقب للخوارزمي ص ١٦٨ و السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٥٥ و الكامل في التاريخ (ط دار صادر) ج ٢ ص ٢٢٠ الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص ٢٢٦: قال: رممت حتى لا أبصر ما قدامي.

قال: «ادن مني».

وفي حديث على عند الحاكم: فوضع رأسى عند حجره، ثم بزق في أليه يده، فدللك بها عيني.

قالوا: فبرئ، كأن لم يكن به و جع فقط، فما و جعهما على حتى مضى لسيله، و دعا له، و أعطاه الراية «١».

(١) راجع هذه الكرامة الجليلة في المصادر التالية: منتخب كنز العمال (مطبوع مع مسنند أحمد) ج ٤ ص ١٢٧ و ١٢٨ و الصواعق المحرقة (ط الميمنية) ص ٧٤ و حياة الحيوان (مطبعة الشرفية بالقاهرة) ج ١ ص ٢٣٧ و مشكاة المصايف (ط دهلي) ص ٥٦٤ و الإصابة ج ٢ ص ٥٠٢ و السنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ١٠٧ و مناقب الإمام على لابن المغازلي (ط المكتبة الإسلامية) ص ١٧٦ و مصايف السنة (ط الخيرية بمصر) ج ٢ ص ٢٠١ و الإستيعاب (مع الإصابة) ج ٣ ص ٣٦٦ و معالم التزيل ج ٤ ص ١٥٦ و الشفاء (ط مصر) ج ٢ ص ٢٧٢ و جامع الأصول ج ٩ ص ٤٦٩ و الإكتفاء للكلاغي ج ٢ ص ٢٥٨ و كفاية الطالب ص ١٣٠ و ١١٦ و ١١٨ و البداية و النهاية ج ٤ ص ١٨٤ و ١٨٥ مما بعدها و ذخائر العقبى (ط مكتبة القدس) ص ٧٤ و الرياض النبرة (ط محمد أمين بمصر) ج ٢ ص ١٨٨ و ج ١ ص ٥٠ و صحيح البخاري (ط محمد على صحيح بمصر) ج ٥ ص ١٧١ و صحيح مسلم ج ٥ ص ١٩٥ و ج ٧ ص ١٢٠ و مسنند أحمد ج ٥ ص ٣٣٣ و ٣٥٣ و الجامع الصحيح للترمذى ج ٥ ص ٦٣٨ و الخصائص للنسائي (مطبعة التقدم بمصر) ص ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و السيرة النبوية لابن هشام (المطبعة الخيرية بمصر) ج ٣ ص ١٧٥ و طبقات ابن سعد (مطبعة الثقافة الإسلامية) ج ٣ ص ١٥٧ و المعجم الصغير ص ١٦٣ و مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٨ و ١٠٨ و ١١٦ و راجع ص ١٢٥ و لباب التأويل ج ٤ ص ١٥٢ و ١٥٣ و تاریخ

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص ٢٢٧:

و ذكره: أنه «صلى الله عليه و آله» قد أرسل سلمة بن الأكوع إلى على «عليه السلام»، فجاء يقوده و هو أرمد «١».

قال سهل: فقال على: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟

فقال: «أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم. ثم ادعهم إلى الإسلام، و أخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى، و حق رسوله. فهو لأن يهدى الله بك رجالا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم» «٢».

الخميس ج ٢ ص ٤٨ و ٤٩ و البحار ج ٢١ ص ٢٩ عن الخرایج و الجرایح، و معارج النبوة ص ٢١٩ و الخصائص الكبرى ج ١ ص ٢٥١ فما بعدها و تاريخ الخلفاء (ط مطبعة السعادة) ص ١٦٨ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٣ ص ٣٠ و المستدرک للحاكم ج ٣ ص ٤٣٧ و حلية الأولياء ج ١ ص ٦٢ و تذكرة الخواص ص ٢٤ و ٢٥ و الكامل في التاريخ (ط دار صادر) ج ٢ ص ٢١٩ و ٢٢٠ و أسد الغابة ج ٤ ص ٢١ و ٢٥ و ٢٨ و مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٣ و ١٢٢ و مصادر كثيرة أخرى.

(١) صحيح مسلم ج ٥ ص ١٩٥ و مسنون أحمد ج ٤ ص ٥٤ و طبقات ابن سعد (مطبعة الثقافة الإسلامية) ج ٣ ص ١٥٧ و مناقب آل أبي طالب لابن المغازلي (ط المكتبة الإسلامية) ص ١٧٦ و معالم الترتيل ج ٤ ص ١٥٦ و منتخب كنز العمال (بها مش مسنون أحمد) ج ٤ ص ١٣٠ و حياة الحيوان (مطبعة الشرفية بالقاهرة) ج ١ ص ٢٣٧ و الرياض النصرة (ط محمد أمين بمصر) ج ١ ص ١٨٥ - ١٨٧ و لباب التأويل للخازن ج ٤ ص ١٥٢ و ١٥٣.

(٢) صحيح البخاري (ط محمد على صحيح بمصر) ج ٥ ص ١٧١ و صحيح مسلم ج ٧ ص ٢١ و مسنون أحمد ج ٥ ص ٣٣٣ و الخصائص للنسائي ص ٦ و حلية الأولياء ج ١ ص ٦٢ و السنن الكبرى ج ٩ ص ١٠٧ و تذكرة الخواص ص ٢٤ و أسد الغابة ج ٤ ص ٢٨ و مشكاة المصايب (ط دهلي) ص ٥٦٤ و البداية والنهاية ج ٤ ٢٢٨، ص: ١٧، ج: الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى،

وقال أبو هريرة: إن رسول الله «صلى الله عليه و آله» قال لعلى: «اذهب فقاتلهم حتى يفتح الله عليك، و لا تلتفت». قال: علام أقاتل الناس؟

قال: «قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، و أن محمدا عبده و رسوله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم و أموالهم إلا بحقها، و حسابهم على الله».

فخرجوا، فخرج بها - و الله يأihu - يهرول هرولة، و إنما لخلفه نتبع أثره. حتى ركزها تحت الحصن.

فاطلع يهودي من رأس الحصن فقال: من أنت؟

قال: على.

أو قال: أنا على بن أبي طالب.

فقال اليهودي: غلبتم (أو علّتم)، و الذي أنزل التوراة على موسى. فما راجع حتى فتح الله تعالى على يديه «١».

ص ١٨٤ فما بعدها و ذخائر العقبى (ط مكتبة القدس) ص ٧٤ و راجع: الرياض النصرة (ط محمد أمين بمصر) ج ٢ ص ١٨٤ و ١٨٨.

(١) سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١٢٤ و ١٢٥ و الأنس الجليل (ط الوهبية) ص ١٧٩ و راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٥ و ٣٦ و ٣٧ و السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ١٧٥ و حلية الأولياء ج ١ ص ٦٢ و الإكتفاء للكلاعى (ط مكتبة الخانجي) ج ٢ ص ٢٥٨ و الكامل (ط دار صادر) ج ٢ ص ٢٢٠ و البداية والنهاية ج ٤ ص ١٨٤ و ١٨٥ فما بعدها، و ذخائر العقبى ص ١٨٤ - ١٨٨ و الخصائص الكبرى

ج ١ ص ٢٥١ و ٢٥٢ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٩ و البحار ج ٢١ ص ١٦.

الصحيح من السيرة النبوية، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٢٩:

و عن حذيفة: «لما تهياً على «عليه السلام» للحملة، قال رسول الله «صلى الله عليه و آله»: «يا علي، و الذى نفسى بيده، إن معك من لا يخذلكك. هذا جبريل «عليه السلام» عن يمينك، بيده سيف لو ضرب الجبال لقطعها، فاستبشر بالرضاوان و الجنـة.

يا على: إنك سيد العرب، و أنا سيد ولد آدم».

وفى رواية: أنه «صلى الله عليه و آله» ألبـه درعـه الحـديد «١»، و شـد ذـا الفـقار فـى وـسـطـه، و أعـطاـه الرـاـيـة، و وجـهـه إـلـى الحـصـن.

فقال على «عليه السلام»: يا رسول الله، أقاتـلـهم حتـى يكونـوا مـثـلـنا؟

الـخـ .. «٢».

(١) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٩ و راجع: تحف العقول ص ٣٤٦ و عن عون المعبود ج ٨ ص ١٧٢ و السيرة الحلبـية.

(٢) السيرة الحلبـية ج ٣ ص ٣٧ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٩ و راجع: شرح اللمعـة للـشـهـيدـ الثـانـى ج ٧ ص ١٥٢ و زـبـدـةـ البـيـانـ للـأـرـدـبـيـلـىـ ص ١٢ و شـرـحـ أـصـوـلـ الـكـافـىـ ج ٦ ص ١٣٦ و ج ١٢ ص ٤٩٤ و مناقـبـ أمـيرـ المؤـمنـينـ لـلـكـوـفـىـ ج ٢ ص ٥٠٧ و ٥٠٨ و عنـ الإـحـتـاجـاجـ ج ١ ص ١٦٧ و العمـدةـ ص ١٤٢ و ١٤٦ و ١٤٩ و ١٥٧ و الطـرـائـفـ لـابـنـ طـاوـوسـ ص ٥٦ و عنـ ذـخـائـرـ العـقـبـىـ ص ٧٣ و الـبـحـارـ ج ٢١ ص ٣ و ج ٣٩ ص ٨ و ١٢ و كـتـابـ الـأـرـبـعـينـ لـلـمـاحـوـزـىـ ص ٢٨٧ و ٢٨٨ و مناقـبـ أـهـلـ الـبـيـتـ ص ١٣٧ و الغـدـيرـ ج ٢ ص ٤١ و مستدرـكـ سـفـيـنةـ الـبـحـارـ ج ٣ ص ١٠ و أـصـوـاءـ عـلـىـ الصـحـيـحـيـنـ لـلـنـجـمـيـ ص ٣٤١ و فـضـائلـ الصـحـابـةـ ص ١٦٦ و عنـ مـسـتـدـرـكـ أـحـمـدـ ج ٥ ص ٣٣٣ و عنـ صـحـيـحـ الـبـخـارـىـ ج ٤ ص ٢٠ و ج ٥ ص ٧٧ و عنـ صـحـيـحـ مـسـلـمـ ج ٧ ص ١٢٢ و السنـنـ الـكـبـرـىـ للـبـيـهـقـىـ ج ٩

الـصـحـيـحـ منـ السـيـرـةـ النـبـوـيـةـ، مـرـتـضـىـ الـعـامـلـىـ، ج ١٧، ص: ٢٣٠:

فـخـرـجـ عـلـىـ بـهـاـ، وـ هـوـ يـهـرـوـلـ» «١».

وفـىـ نـصـ آخرـ: أـرـكـبـهـ رـسـولـ اللهـ «صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـ آـلـهـ» يـوـمـ خـيـرـ، وـ أـلـبـسـهـ ثـيـابـهـ، وـ أـرـكـبـهـ بـغـلـتـهـ، ثـمـ قـالـ لـهـ: «امـضـ يـاـ عـلـىـ، وـ جـرـئـيلـ عـنـ يـمـينـكـ، وـ مـيـكـائـيلـ عـنـ يـسـارـكـ، وـ عـزـرـائـيلـ أـمـامـكـ، وـ إـسـرـافـيلـ

ص ١٠٧ و عنـ فـتـحـ الـبـارـىـ لـابـنـ حـجـرـ ج ٧ ص ٣٦٦ و السنـنـ الـكـبـرـىـ لـلـنـسـائـىـ ج ٥ ص ٤٦ و ١١٠ و ١٣٧ و عنـ الـخـصـائـصـ لـلـنـسـائـىـ ص ٥٦ و شـرـحـ معـانـىـ الـآـثـارـ ج ٣ ص ٢٠٧ و صـحـيـحـ اـبـنـ حـبـانـ ج ١٥ ص ٣٧٨ و المعـجمـ الـكـبـيرـ ج ٦ ص ١٥٢ و ١٩٨ و رـيـاضـ الصـالـحـينـ ص ١٤٥ و نـظـمـ درـرـ السـمـطـينـ ص ٩٩ و فيـضـ الـقـدـيرـ ج ٦ ص ٤٦٥ و مـجـمـعـ الـبـيـانـ لـلـطـبـرـيـ ج ٩ ص ٢٠١ و تـفـسـيرـ المـيزـانـ ج ١٨ ص ٢٩٥ و تـارـيخـ مدـيـنـةـ دـمـشـقـ ج ٤٢ ص ٨٦ و ٨٨ و أـسـدـ الـغـابـةـ ج ٤ ص ٢٨ و عنـ الإـصـابـةـ لـابـنـ حـجـرـ ج ١ ص ٣٨ و الـبـداـيـةـ وـ الـنـهـاـيـةـ لـابـنـ كـثـيرـ ج ٤ ص ٢١١ و بـشـارـةـ الـمـصـطـفـىـ ص ٢٩٧ و نـهـجـ الـإـيمـانـ لـابـنـ جـبـرـ ص ٣٢٠ و السـيـرـةـ النـبـوـيـةـ لـابـنـ كـثـيرـ ج ٣ ص ٣٥١ و جـواـهـرـ المـطـالـبـ ج ١ ص ١٧٧ و سـبـلـ الـهـدـىـ وـ الرـشـادـ ج ٥ ص ١٢٥ وـ يـنـايـعـ الـمـوـدـةـ ج ١ ص ١٥٣ وـ مـعـجمـ الـنـورـيـنـ لـلـمـرـنـدـىـ ص ٢٤٢.

(١) السـيـرـةـ الـحـلبـيـةـ ج ٣ ص ٣٧ و رـاجـعـ: الـأـرـبـعـونـ حـدـيـثـاـ لـابـنـ بـابـوـيـهـ ص ٥٦ وـ منـاقـبـ آـلـ أـبـيـ طـالـبـ لـابـنـ شـهـرـ آـشـوبـ ج ٢ ص ١٢٨ وـ الـعـمـدةـ ص ١٥٣ وـ الـطـرـائـفـ لـابـنـ طـاوـوسـ ص ٥٧ وـ الـبـحـارـ ج ٣٩ ص ٣٣ وـ ج ٧٢ ص ٩ وـ بـغـيـةـ الـبـاحـثـ ص ٢١٨ وـ الـمـعـجمـ الـكـبـيرـ ج ٧ ص ٣٥ وـ الـثـقـاتـ لـابـنـ حـبـانـ ج ١٣ وـ تـارـيخـ مدـيـنـةـ دـمـشـقـ ج ٤٢ ص ٨٩ و ٩٠ وـ الـجـواـهـرـ فـىـ نـسـبـ عـلـىـ وـ آـلـهـ لـلـبـرـىـ ص ٧٠ وـ الـبـداـيـةـ الـنـهـاـيـةـ ج ٤ ص ١١٢ وـ ج ٧ ص ٣٧٣ وـ عنـ السـيـرـةـ النـبـوـيـةـ لـابـنـ هـشـامـ ج ٣ ص ٧٩٨ وـ الـجـمـلـ لـلـمـفـيـدـ ص ١٩٦ وـ مـصـادـرـ كـثـيرـةـ

آخرى.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٣١
وراءك، و نصر الله فوقك، و دعائى خلفك» ١.

رأيان أم ثلاث؟!

و قد ذكر فى بعض النصوص: أنه «صلى الله عليه و آله» أرسل أبا بكر، فرجع منهزمًا، ثم أرسل عمر، فرجع منهزمًا أيضًا .. و بعضها اقتصرت على عمر ..

و بعضها ذكر: أنه أرسل عمر مرتين، مرأة قبل أبي بكر، و مرأة بعده.

لكن الذى لفت نظرنا هو: إضافة رأي ثالث لرجل من الأنصار، و أنه رجع منهزمًا أيضًا ٢.

و الظاهر: أن المقصود بذلك هو: سعد بن عبادة، بل لقد صرح الواقدى باسمه، و بأنه قد رجع مجروها ٣.

مع أن الذى ذكرته الروايات الكثيرة، هو: هزيمة أبي بكر و عمر، و ربما اقتصرت بعض الروايات على ذكر عمر أيضًا. فهل السبب فى هذه الإضافة لسعد، و ربما لابن مسلمة و غيره، هو إخراج هذا الأمر عن دائرة قريش، و عن دائرة الذين استأثروا بالأمر بعد رسول الله «صلى الله عليه و آله»، لتشمل الهزيمة زعيم الأنصار، الذى نافسهم فى السقيفة، فأرادوا أن ينيلوه شرف الهزيمة و الفرار الذى باؤوا به؟!

(١) راجع: البحار ج ٢١ ص ١٨ و ١٩ و فى هامشه عنمناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٧٨ و عن الإرشاد.

(٢) المغازى للواقدى ج ٢ ص ٦٥٣ و السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٧.

(٣) المغازى للواقدى ج ٢ ص ٦٥٣.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٣٢:

و إلا، فلماذا اختاروا سعد بن عبادة دون سواه لهذا الأمر؟!

إرسال عمر مرقين:

و قد لوحظ أيضًا: أن بعض النصوص تقول: إن النبي «صلى الله عليه و آله» أرسل عمر إلى اليهود مرتين، مرأة قبل إرسال أبي بكر، و مرأة بعده ..

و ربما يمكن تفسير ذلك، أيضًا: بأن عمر كان يدعى لنفسه الشدة و الصلابة، و يظهر ذلك للناس، حتى إنه يأمر النبي «صلى الله عليه و آله» بقتل هذا، و بقلع ثانياً ذاك، و يصر على قتل الأسرى في بدر .. و على القتال في الحديبية .. و .. و ..

فكأنه «صلى الله عليه و آله» أراد أن يظهر: أن هذا كله لم يكن لأجل شجاعة فيه، بل هو لأمور أخرى ..

و الشاهد على ذلك: هذا الذى جرى فى خير، فإن أمكن لعمر أن يتعلل بشيء فى هزيمته فى اليوم الأول، فإنه شئ يعتذر أو يتعلل فى اليوم الثانى؟!

ثم إن إرسال أبي بكر، و غيره، قد جاء ليؤكد على: أن هذا السنخ من الناس ليس هو الذى يفتح الله تعالى على يده الحصون، و يقرّ بقلع أبوابها العيون ..

بل الذى يقوم بهذه المهامات الجسيمة، و الإنجازات الهائلة و العظيمة هو نوع آخر من الناس، مطمئنة نفسه، و راضية بلقاء الله تعالى ..

قرار .. غير فرار .. لا يتمنى الإمارة لنفسه، حتى في ذلك اليوم، بل هو يرى أنه لا أحد أن يستطيع أن يمنع ما يعطيه، فيقول: «الله لا مانع لما أعطيت».

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٣٣

أين ابن مسلم، و الحباب، و الزبير؟!

ويبقى أمامنا سؤال يقول: لماذا لم يعط النبي «صلى الله عليه و آله» الرأي في اليوم الثاني لمحمد بن مسلم، أو للحباب، أو للزبير؟! الذين ينسبون لهم البطولات العظيمة في خير، حتى ليدعون أن ابن مسلم هو الذي قتل مرحبا.

نعم، لماذا صرف النظر عن هؤلاء جميعاً! وأطلق تعريضه بهم ليشمل وصف الفرار كل واحد منهم، بعد أن حصر وصف القرار على «عليه السلام» دون سواه؟!

فلماذا لم يحفظ لهم ماء الوجه، لو كانوا قد ثبتوه ولم يهربوا مع الهاجرين؟! و نحن نكاد نطمئن إلى أنهم قد أهملوا ذكر ابن مسلم مع الفارين بالرأي - كما سيأتي - لأنهم ادخلوه لقتل مرحبا، بدلاً من على «عليه السلام» كما سنرى ..

كتائب اليهود تهاجم الأنصار:

إشارة

و قد ذكر الواقدي، ما جرى بطريقة تشير إلى أمور يحسن لفت النظر إليها، فهو يقول ما ملخصه: إنه «صلى الله عليه و آله» دفع لوعاه إلى أحد المهاجرين، فرجم ولم يصنع شيئاً. فدفعه إلى آخر: فكذلك.

دفع لوعة الأنصار إلى رجل منهم: فكذلك أيضاً. ففتح «صلى الله عليه و آله» المسلمين على الجهاد.

و سالت كتائب اليهود، أمامهم الحارت أبو زينب يهدّ الأرض هذا، الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٣٤: فأرجعهم صاحب رأية الأنصار إلى الحصن.

فخرج ياسر [أو أسير] معه عاديته «١»، و كشف الأنصار حتى انتهى إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله» في موقفه، فاشتد ذلك على رسول الله «صلى الله عليه و آله»، و بات مهموماً. [و خرج مع ذلك سعد بن عبادة].

و كان سعد بن عبادة قد جرح، و جعل يستطع أصحابه، و جعل صاحب رأية المهاجرين يستطع أصحابه، و يقول: أنت، و أنت. فقال «صلى الله عليه و آله»: إن اليهود جاءهم الشيطان، فقال لهم: إن محمداً يقاتلكم على أموالكم، نادوهم: قولوا: لا إله إلا الله، ثم قد أحرزتم أموالكم و دماءكم، و حسابكم على الله.

فنادوهم بذلك، فنادت اليهود: إننا لا نفعل. و لا نترك عهد موسى و التوراة بيننا.

قال «صلى الله عليه و آله»: لأعطيين الرأي غداً رجلاً يحبه الله و رسوله، و يحب الله و رسوله «٢»، ليس بفارار «٣».

أبشر يا محمد بن مسلم، غدا إن شاء الله يقتل قاتل أخيك، و تولى عاديه اليهود.

(١) أى معه الجماعة الذين يعدن للحرب.

(٢) في الإمتاع لم يذكر كلمة: «و يحب الله و رسوله». فراجع ص ٣١٤

(٣) المغازى للواقدى ج ٢ ص ٦٥٣ و ٦٥٤ و الإمتاع ص ٣١٣ و ٣١٤ و السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٤.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٣٥:

وفى نص المقرizi: «ثم خرج مرحبا، فحمل على على، و ضربه، فاتقه بالترس، فأطعن ترس على رضى الله عنه، فتناول بابا كان عند الحصن، فترس به عن نفسه، فلم يزل فى يده حتى فتح الله عليه الحصن.

وبعث رجلا يبشر النبي «صلى الله عليه و آله» بفتح حصن مرحبا.

ويقال: إن باب الحصن جرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلا.

وروى من وجه ضعيف عن جابر: ثم اجتمع عليه سبعون رجلا، فكان جهدهم أن أعادوا الباب الخ...»^١.
ونقول:

إن لنا مع هذا النص وقفات، نجملها على النحو التالى:

الف: تعمد التكتم على الحقائق:

إن أول ما يطالع من يقرأ هذه الرواية، هو تعمد التكتم على المهاجرين

(١) الإمتاع ص ٣١٤ و ٣١٥ و الإرشاد للمفيد ج ١ ص ٣٣٣ و قال فى الهاشم: انظر حديث فتح خير فى تاريخ مدينة دمشق ج ١ ص ١٧٤ و ٢٤٨ و الثاقب فى المناقب ص ٢٥٧ و مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١٢٥ و المستجاد من الإرشاد (المجموعة) للعلامة الحلى ص ١٢٨ و البحار ج ٢١ ص ٤١ وج ٢٧٩ و الإمام على للهمданى ص ٦١٣ و كشف الخفاء ج ١ ص ٢٣٢ و ٣٦٦ و مجمع البيان ج ٩ ص ٢٠٢ و الميزان ج ١٨ ص ٢٩٦ و عن البداية و النهاية ج ٤ ص ٢١٦ عن دلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ٢١٢ و نهج الإيمان لابن جبر ص ٣٢٣ عن المناقب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٣٢٩ و السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٥٩ و سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١٢٩.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٣٦:

الذين فرزا أولا، و ذلك بأساليب متعددة، منها:

١- كتمان اسميهما .. و قد جاء ذلك في نصوص أخرى أيضا.

مع ملاحظة: أن ثمة إيحاء بالتكتم على اسم الأنصارى الثالث، بالرغم من أن الراوى يتعمد التصرير أخيرا باسم سعد بن عبادة الذى جرح، حيث يظهر بوضوح أنه هو المقصود، فإنه جعله في مصاف المهاجرين اللذين فرزا، ولم يصنعا شيئا.

ثم أوغل الراوى في حشد الأمارات و الدلالات عليه، حين ذكر: أن ذلك الأنصارى جعل يستبطئ أصحابه .. تماما كما جعل المهاجريان يستبطئان أصحابهما ..

٢- إنه غير في التعبير بطريقة لا يفهم القارئ أن هؤلاء قد هربوا، فضلا عن أن يكون الهروب مخزيا ..

بل هو قد أبعد ذهن القارئ عن موضوع الفرار بصورة تامة، و يكاد لا يشير إليه، بل هو يهيء الأجزاء لفهم الناس عكس الحقيقة، إذ

غاية ما يفهم من الكلام، أنهما قد بذلا جهداً، و حارباً ولم يتمكنا من فتح الحصن.

٣- إنه تكتم أيضاً على أمر آخر قد صرحت به الروايات، وهو: أن الهارب الأول صار يجتنب أصحابه (أى يتهمهم بأنهم جبناء)، ويجتنبه أصحابه (أى يتهمونه هو بأنه جبان)، فذكر الراوى هنا عوضاً عن ذلك عبارة: يستبطئ أصحابه ويقول: أنتم، وأنتم ..

ب: لواء الأنصار، أم لواء النبي صلى الله عليه وآله؟!

و يلاحظ أيضاً: أن الراوى هنا .. قد نسب اللواء الذي أخذته المهاجري

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٣٧:

الأول، والمهاجرى الثانى إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله» .. فقال: دفع لواءه إلى أحد المهاجرين ..

ولكته: نسب اللواء الذى أعطاه للأنصارى إلى الأنصار، لا إلى رسول الله، فقال: «دفع لواء الأنصار إلى رجل منهم».

وهذا يدل: على أن فرار ذلك الأنصارى إنما كان بلواء الأنصار، لا بلواء الجيش كله .. فهو لواء لفرقة خاصة.

و أما فرار الأولين، و هما من المهاجرين، فقد كان بلواء رسول الله «صلى الله عليه و آله». و هو لواء الجيش.

فإن كان الراوى يريد إعطاء امتياز للمهاجرين (و هما أبو بكر و عمر طبعاً) على ذلك الأنصارى (و هو سعد بن عبادة المنافس لهما في يوم السقيفة) .. فإنه يكون قد وقع في أمر لا يريد، و هو أمر بالغ الخطورة.

حيث أوضح: أنهما قد هربا بلواء رسول الله «صلى الله عليه و آله»، و من الواضح: أن الهزيمة لحامل لواءه «صلى الله عليه و آله» - و هو لواء الجيش كله - تبقى هي الأشر، والأضر، والأخطر، والأمر، عليه «صلى الله عليه و آله»، و على الإسلام والمسلمين، و هي جريمة عظيمة و هائلة ..

ج: حفظ ماء وجه الأنصارى:

و يلاحظ: أن الراوى نفسه، الذى يريد أن يكرس الامتيازات للرجلين المهاجرين، بالتأكيد على فرار أحد منافسيهما، و هو ابن عبادة،

قد أقر لسعد بن عبادة بأنه حق إنجازاً - مهما كان متواضعاً - عجز ذانك الرجال عن تحقيقه، حيث ذكر: أنه قد أرجع كتائب اليهود

إلى الحصن، و معهم قائددهم

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٣٨:

الحارث أبو زينب، الذى كان يهدّ الأرض هدا.

د: أين كان المهاجرون؟!

و السؤال المحير هنا هو: لماذا يتصدى خصوص ذلك الأنصارى و الأنصار الذين كانوا معه للحارث أبي زينب، و لكتائب التي كانت

معه، حتى ردّوهم إلى الحصن. و أين كان المهاجريان اللذان أخذوا لواء النبي «صلى الله عليه و آله»، و هربا به؟!! ..

و الأغرب من ذلك: أنه بعد ما عادت كتائب اليهود مع الحارث أبي زينب إلى الحصن بجهد الأنصار فقط، قد عادت لتخرج من

جديد بقيادة ياسر اليهودي، و تهاجم الأنصار، دون سواهم مرّة أخرى ..

و لا ندرى لماذا لا تتعرض للمهاجرين فى هذه المرة .. أيضاً؟!

كما أنت لا ندرى: لماذا لم يعن المهاجرون الأنصار؟!
ولماذا تركوا اليهود يزيلون الأنصار عن مراكمتهم، حتى انتهوا إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله» في موقفه؟!
فإن كانوا لا يجدون إعانته للأنصار لأمر ما كان في نفوسهم عليهم، فهل من المعقول أن يتركوا اليهود يخلصون إلى النبي «صلى الله عليه و آله» في موقفه؟!
وماذا سيكون عذرهم لو أن اليهود تمكنا من إلحاق الأذى به «صلى الله عليه و آله»؟! ..

٥: نداء رسول الله صلّى الله عليه و آله في اليهود:

و قد ذكرت تلك الرواية المتقدمة أيضاً: أن النبي «صلى الله عليه و آله» .. قد
الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٣٩:
أخبر عن مقالة الشيطان لليهود: إن محمداً يقاتلكم على أموالكم ..
و هو نداء شيطاني حقاً، من شأنه أن يثير حفيظة أناس يعرف الناس كلهم: أن جبهم للمال يفوق كل حب، و المال هو هاجسهم الأول
و الأخير، و يرون: أن فقدتهم للمال يوازي فقدتهم للحياة.
و قد أمر النبي «صلى الله عليه و آله» بنداء يبطل تأثير مقوله الشيطان هذه، و يفقدتهم ذريعة كانوا يرون أنها تكفى لتبرير طغيانهم عليه
«صلى الله عليه و آله». فإن «صلى الله عليه و آله» أظهر في ندائهم: أن أموالهم، و كذلك دمائهم ليست هدفاه «صلى الله عليه و آله»، رغم كل ما فعلوه
معه، من نقض عهود، و من تحريض، و من تآمر، و سعى للإعداد والاستعداد لحربه، و إنما هدفه هو: أن يعلموا أنهم ملتزمون بتوحيد
الله سبحانه ..
مع تقديم تعهد صريح منه «صلى الله عليه و آله»، بالاكتفاء منهم بهذا الإعلان، فلا- يكون هناك أى بحث عن دخائلهم، و عن
مكونات نفوسهم، و لا يتعرض للكشف عن ضمائرهم، فإن حسابهم على الله وحده، و ليس لأحد غيره الحق في التعرض لشئء من
ذلك.
فنلاحظ: أنه «صلى الله عليه و آله» لم يطلب لنفسه منهم مالاً، و لا سلطه، و لا سعي لمحاسبتهم على ما بدر منهم، و لا غير ذلك.
ولكن اليهود رفضوا حتى الإعلان عن الالتزام بالوحدانية، و أكدوا التزامهم بالخط الذي هم عليه، رغم ظهور الحجة، و سطوع البرهان
على نبوته «صلى الله عليه و آله»، حتى إنهم ليجدونه «صلى الله عليه و آله»، مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، و هم يعرفونه «صلى
الله عليه و آله» كما
الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٤٠:
يعرفون أبناءهم.

٦: الصحابة يفرون حتى عن علي عليه السلام!!

و قد صرحت الرواية: بأن الذين ذهبوا مع علي «عليه السلام» قد فروا عنه «صلوات الله و سلامه عليه» أيضاً، و تركوه، ليواجهه كتائب
اليهود وحده، و كانت بقيادة الحارت أخى مرحباً. فقتله على «عليه السلام» ..
و هرب الذين كانوا مع الحارت إلى الحصن، و أغلقوا عليهم ..

ثم خرج مرحباً، فقتله على «عليه السلام» أيضاً على الباب، وفتح الباب ..
والذى يبدو لنا: أن الرواة المغرضين قد حاولوا تلطيف أمر هذا الفرار، فقالوا: إن علياً قد أخذ الرأيَّة و هرول نحو الحصن و فتحه، و
قلع بابه و دخله، قبل أن يلحق آخر الناس أولهم، أو قبل أن يلبس الناس سلاحهم، أو قبل أن يتم اصطدام الخيل، أو نحو ذلك مما
سند كره فيما سيأتي إن شاء الله، تحت عنوان: على يفتح خير وحده.

تعابير ذات مغزى:

و عن ابن عباس: أنه «صلى الله عليه و آله» قال: لأبعن رجالاً لا يخزيه الله أبداً، يحب الله و رسوله.
قال: فاستشرف لها من استشرف.

قال: أين على «عليه السلام»؟!

قالوا: هو في الرحل، يطحن.

قال: و ما كان أحدكم ليطحن؟

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٤١

قال: فجاء و هو أرمد، لا يكاد يبصر.

قال: فنفت في عينيه، ثم هز الرأيَّة ثلاثة، فأعطاه إياها، فجاء بصفية بنت حبي الخ .. ١.

ونقول:

١- قد تحدثنا في موضع آخر من هذا الكتاب عن قوله «صلى الله عليه و آله»: «لا يخزيه الله أبداً». فيمكن الاكتفاء بما ذكرناه هناك ..

٢- لقد كان على «عليه السلام» يمارس عملية الطحن، حين تخلف في الرحل، بسبب الرمد الذي جعله لا يبصر.

فلم يكن «عليه السلام» - حتى و هو في هذه الحالة الصعبة - فارغاً، يتضرر خدمة الآخرين له .. بل يؤدي وظيفة تفيد هذا الجيش المقاتل للأعداء

(١) مسندي أحمد ج ١ ص ٣٣١ و الخصائص للنسائي (ط التقدم بمصر) ص ٨ و في (طبعة أخرى) ص ٦٣ و المستدرك للحاكم ج ٣ ص ١٣٢ و كفاية الطالب (ط مكتبة الغرب) ص ١١٦ و راجع: العمدة لابن البطريق ص ٨٥ و ٢٣٨ و ذخائر العقبى ص ٨٧ و حلية الأبرار ج ٢ ص و البحار ج ٣٨ ص ٤٠ و ج ٤٠ ص ٥٠ و خلاصة عبقات الأنوار ج ٧ ص ١١٢ و ٢٩٢ و المراجعات ص ١٩٦ و الغدير ج ١ ص ٥٠ و ج ٣ ص ١٩٥ و مواقف الشيعة ج ٣ ص ٣٩٣ و عن مجمع الزوائد ج ٩ ص ١١٩ و كتاب السنّة لابن عاصم ص ٥٨٩ و السنن الكبرى ج ٥ ص ١١٣ و عن خصائص الوحي المبين لابن البطريق ص ١١٨ و تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٩٨ و ٩٩ و ١٠١ و ج ٤٦ ص ١٥٠ و سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٦٨ و عن الإصابة لابن حجر ج ٤ ص ٤٦٧ و عن البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٧٤ و المناقب للخوارزمي ص ١٢٥.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٤٢

الله تعالى، وجد نفسه قادرًا على أدائه ..

و قد تركه الناس يمارس هذا العمل، و سارعوا إلى الحضور عند رسول الله «صلى الله عليه و آله»، على أمل أن يفوزوا بشرف حمل الرأيَّة حين علموا: بأن ثمة أوسمة هامة، تؤهلهم لتبوء مناصب، و تح لهم في مراتب كانوا يحلمون بها، و منها: أن حاملها سوف يفتح الله على يديه.

نعم، لقد سارعوا إلى مجلس رسول الله «صلى الله عليه و آله»، واستشروا للرأي، و طلبوها، رغم الفرار الذي كان قد صدر منهم عن قريب.

فهل كانوا ذاهلين عن أن الله تعالى إنما يفتح على يدي من كان كرارا غير فرار؟!
و من كان الله و رسوله أحب إليه حتى من نفسه؟!.

و من كان باذلا نفسه في كل ما يرضي الله و رسوله، حتى صار حبيبا لهم؟!

و من لا يعتبر إعطاء الرأي له مكسبا دنيويا، بل هو يعتبره عطاء إلهيا يعبر عنه بقوله: اللهم لا مانع لما أعطيت؟! «١».

و من لا يخالف ما يأمره به رسول الله «صلى الله عليه و آله»، حتى فيما قد يراه الكثير من الناس شكليا، أو أمرا عاديا؟!

حتى إنه حينما قال له: اذهب و لا تلتفت، مشى قليلا، و وقف و لم يلتفت، و سأله رسول الله «صلى الله عليه و آله»: علام أقاتلهم؟! أو علام أقتل الناس؟!

(١) قد ذكرنا مصادر هذه الكلمة في موضع آخر من هذا الكتاب.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٢٤٣:

و من الواضح: أن الالتزام بأوامر النبي «صلى الله عليه و آله» و تنفيذها حرفي، هو الأمر الذي يجب الالتزام به، و لا يجوز التخلف عنه، و هو الذي يدخل السرور على قلبه «صلى الله عليه و آله».

٣- وأجل تركهم إياه يمارس ذلك العمل، و إسراعهم إلى ما يرون الحصول عليه مكسبا و امتيازا دنيويا، جاء اللوم لهم من قبل رسول الله «صلى الله عليه و آله» ليؤكد على لزوم معرفة أقدار الرجال، و إعطاء كل ذي حق حقه ..

و الأهم من ذلك: أن يوكّل كل عمل للشخص المناسب له، فلا يوكل أمر الطحن، أو استقاء الماء لقادة الجيش، و لعلماء الأمة و ربانيها؛ لأن ذلك معناه:

هدر الطاقات، و تعطيل القدرات، خصوصا إذا حصل ذلك في الأوقات العصيبة، و الظروف الحساسة، و المصيرية.

٤- وعن النصوص التي تعمد كتمان أسماء الفارين نعود فنقول:

لماذا يتعمدون تجاهيل الناس بهذا الأمر؟!

ألا يعتبر ذلك: من مفردات الخيانة للأمة، و من التدليس على الناس؟! و هو تدليس شديد الإضرار بالأمة، عظيم الأثر على الدين، و لا نريد أن نقول أكثر من ذلك.

أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟!

و حول قول على «عليه السلام» للنبي «صلى الله عليه و آله»: علام أقاتلهم؟ نقول:

١- لعل سؤال على «عليه السلام» عن غاية القتال قد فاجأ الكثرين من

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٢٤٤:

الصحابيَّة الذين كانوا حول رسول الله «صلى الله عليه و آله»، و الذين قد يكون أكثرهم إنما يقاتل من أجل الغائم، أو المناصب، أو الشهوة، أو حبا بالأمارء؛ أو لأجل أن يفرضوا الإسلام عليهم بالقوة و القهر، أو نحو ذلك ..

فأراد على «عليه السلام» أن يعرف الجميع: أنه لا بد أن يكون كل عمل يقوم به الإنسان هادفا.

ثم أن يكون الهدف في مستوى العمل نفسه، من حيث خطورته، و من حيث حساسية آثاره.

٢- و من جهة أخرى نلاحظ: أنه لم يقل: أقاتلهم حتى يكونوا مسلمين، بل قال: حتى يكونوا مثلنا ..

و لعل السبب في ذلك: أنه «عليه السلام» لو استعمل كلمة «المسلمين» لجاء الجواب بنعم، أو بلا .. ولتكن حين قال: حتى يكونوا مثلنا .. احتاج إلى توضيح مستوى المثلية المطلوبة، وأن المطلوب أولاً: هو الدرجة التي توجب حزن دمائهم .. أما سائر المراتب والدرجات، فإنما تحصل بالسعى الدؤوب من قبل الأفراد أنفسهم، كل بحسب حاله، وقدراته، وطبيعة قناعاته ..

و الذي تحقق به دمائهم، هو شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

عَرَفُوهُمْ مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ:

و من الأهمية بمكان الوقوف عند قوله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ»، حين قال له: علام أقاتلهم؟!؛ «عَرَفُوهُمْ مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ» من حق الله تعالى، و حق رسوله». و ذلك بالتزامن مع دعوتهم إلى الإسلام الأمر الذي الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٤٥ يدل على أن دعوتهم إلى الإسلام لا يقصد بها إكراههم عليه، وفرض قبوله عليهم بلا مناقشة .. بل هي دعوة تستند إلى الإقناع، و تعتمد على إقامة الحجة، و التوعية، و التعريف بما يجب و ما لا يجب.

حَقُّ اللَّهِ وَ حَقُّ رَسُولِهِ:

ثم إن قول رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ»: «عَرَفُوهُمْ مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ من حق الله و رسوله»، قد تضمن طلبه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ» في بادئ الأمر تعريفهم بحق الله تعالى عليهم، و هو توحيده، و عبادته، و طاعته. و لا يطلب تعريفهم بأوامر الله، و نواهيه لهم، فإن هذا يأتي في مرحلة لا حقة، حيث لا بد لهم من السعي إلى الحصول على هذا الأمر .. كما أنه لم يطلب تعريفهم بشيء يعود نفعه إليه «عليه السلام» كشخص، و لا يريد منهم شيئاً لنفسه، بل يطلب «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ» أن يعرفهم بحق من تكون له صفة الرسولية و النبوة، و هو القبول منه، و عنه، و توقيره و نصرته، و الشهادة و الاعتراف له بذلك ..

لَأَنْ يَهْدِي اللَّهُ بَكُ نَسْمَةً:

ثم هو يعقب ذلك بالتوجيه الكريم و العظيم، حيث يقول له: لأن يهدى الله بك رجلاً خير لك من حمر النعم .. ليفهم الجميع: أن مسؤوليتهم هي هداية الناس .. و أن هذا هو الخير العظيم الذي يحب أن تنصرف إليه الهمم، و تعقد عليه العزائم، فلا يكون همهم الحصول على الأموال و الجواري، و المناصب، و لا فتح الحصون، و قتل الرجال. بل يكون كل همهم منتصراً إلى فتح القلوب أولاً، حتى إذا أصبحت الحصون الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٤٦ أقفالاً على تلك القلوب، فلا بد حينئذ من دكها و تحطيمها، و إزاله تلك الأقفال عنها. وقد ورد أيضاً أنه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ» قال: لأن يهدى الله بك نسمة (أو رجلاً) خير لك مما طلعت عليه الشمس «١»، و هذه الكلمة و تلك تعطى الانطباع عن حقيقة القيمة التي للإنسان بنظر الإسلام، حتى إن نسمة واحدة سواء كانت رجلاً أم امرأة، صغيرة كانت أم كبيرة، إذا هديت بك، فهي خير من كل ما طلعت عليه الشمس ..

(١) راجع: البحار (ط كمباني) ج ٦ ص ٤٤٠ و (ط جديد) ج ٣٢ ص ٣٤ و ج ٩٧ ص ٤٤٨ و ج ١٠١ ص ٣٦٤ و ج ١ ص ٢١٦ و ج ١٩ ص ١٦٧ و ج ٢١ ص ٣٦١ و مختلف الشيعة ج ٤ ص ٣٩٤ و منتهي المطلب للحلبي ج ٢ ص ٩٠٤ و تذكرة الفقهاء للحلبي ج ١ ص ٤٠٩ و ج ٩ ص ٤٤ و كشف اللثام ج ٢ ص ١٩٦ و ٢٧٦ و رياض المسائل ج ١ ص ٤٨٦ و ج ٧ ص ٤٩٣ و جواهر الكلام ج ٢١ ص ٥٢ و المبسوط للسرخسي ج ١٠ ص ٣١ و الكافي ج ٥ ص ٢٨ و ٣٦ و تهذيب الأحكام ج ٦ ص ١٤١ و الوسائل (ط دار الإسلامية) ج ١١ ص ٣٠ و مستدرك الوسائل ج ١١ ص ٣٠ و ج ١٢ ص ٢٤١ و ج ١٧ ص ٢١٠ و مصباح الشرعية ص ١٩٩ و النوادر للراوندي ص ١٤٠ و الإقبال لابن طاوس ج ٢ ص ٥٨ و اليقين لابن طاوس ص ١٤ و مستدرك سفينة البحار ج ٢ ص ٣٥٣ و ج ١٠ ص ٥٠٢ و نهج السعادة ج ٢ ص ١٥٨ و ج ٥ ص ٢١٤ و درر الأخبار ص ١٧٨ و المستدرك للحاكم ج ٣ ص ٥٦٨ و مجمع الروائد ج ٥ ص ٣٣٤ و المعجم الكبير ج ١ ص ٣١٥ و ٣٣٢ و شرح النهج للمعتزلى ج ٤ ص ١٤ و الجامع الصغير ج ٢ ص ٤٠١ و كنز العمال ج ١٠ ص ١٥٦ و ج ١٣ ص ١٠٧ و السير الكبير ج ١ ص ٧٨ و الثقات لابن حبان ج ٢ ص ١٢٢ و سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٣٨.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٤٧

وهذا معناه: أن كل قتال شرعه الإسلام، إنما شرعه وفق هذه النظرة و من خلالها، إذ لا مجال للتناقض والاختلاف في دين الله سبحانه و تعالى، فهذا التشريع إنما كان بهدف حفظ البشرية، و من أجل إزاحة مصادر الخطر عنها، و استئصال جراثيم سرطانية، لا مجال للحياة معها.

اليهود، و كلمة التوحيد:

و قد قال «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهٖ وَ سَلَّمَ»: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وهذا يشير إلى أن توحيد اليهود مشوب بالشرك أو بغيره من المعانى التى تنافيه، و تخرجه عن حقيقته، مثل اعتقادهم بأن عزيزاً ابن الله، و اعتقادهم بالتجسيم الإلهي، و نسبة أمور مشينة إلى الذات المقدسة، مثل أن يده - سبحانه - مغلولة، و كذلك نسبة الظلم، و العجز إليه تبارك و تعالى، و غير ذلك.

الدرج في الاعتقادات، و في الأحكام:

و قد جعل النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهٖ وَ سَلَّمَ» ميزان حفظ الأموال، و حقن الدماء .. شهادة أن لا إله إلا الله، و أن محمداً رسول الله، كما اتصف من جواب النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهٖ وَ سَلَّمَ» على «عليه السلام» .. و ذلك: لأن للاعتقادات مراتب، و لكل مرتبة منها آثارها .. فالاعتراف بوجود الله سبحانه، و بأن له رسلاً و كتاباً، و شرائع .. كما هو الحال في أهل الكتاب - أقل قبحاً من الإلحاد، و من الشرك.

ولذلك كانت لهؤلاء أحكام تختلف عن أحكام أولئك، فيجوز مثلاً التزويع بالكتابية متعدة، و لا يجوز تزويجهم مطلقاً، و يصح أيضاً اعتبارهم من أهل الذمة، و يمنع التعرض لهم في ممارساتهم الدينية، وفق حدود و قيود

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٤٨

معينة. و يمكن الدخول في عهد معهم، و ما إلى ذلك.

فإذا دخلوا في الإسلام، و شهدوا أن لا إله إلا الله، و أن محمداً رسول الله، فإنه يضاف إلى ذلك: أنه يجب بمجرد حقن دمائهم، و يمنع من التعرض لأموالهم، و لا حاجة في ذلك إلى عقد و عهد، و لا يصح اعتبارهم أهل ذمة .. و يجوز أيضاً: التزوج و التزويع منهم، و يحكم بحلية ذبائحهم، و بطهارتهم، و هم يرثون و يورثون الخ .. فإذا اعتنقوا مذهب الحق: فإن ذلك يرب أحكاماً أخرى لهم و عليهم.

فتاحم غيبتهم، و تجب حقوق الأئمة لهم، و ترتب عليهم أيضاً أحكام أهل المذهب، فلا يقبل منهم التصرف المخالف للمذاهب الأخرى، فلا يمضي عليهم الطلاق بالثلاث، و يحكم ببطلانه، و لا يقبل طلاقهم من غير شهود، فإذا صاروا من أهل العدالة، صحت الصلاة خلفهم، و قبلت شهادتهم، و ما إلى ذلك.

ثم إن الوارد منهم يتدرج في مراتب الفضل والكمال، فيكون عالماً، و يكون عابداً تقياً، و قد يصل إلى أن يكون ولينا من الأولياء. و من البشر من يصطفونهم تعالى للإمامية وللنبوة، و إن للنبوة مراتب أيضاً تختلف و تتفاوت، فيكون النبي «صلى الله عليه و آله» من أولى العزم، أو من غيرهم، أو تكون له مرتبة النبوة الخاتمة، التي هي المرتبة العظمى و المترفة الأسمى .. و للإمامية أيضاً مراتب، و أعظمها مقام الإمامية للنبوة الخاتمة، فإنها أعظم من مقام الإمامية بدون هذه الخاصية.

و على كل حال: فإن الله يزيد في المقام، و يوجب الحقوق، و يجعل الأحكام التي تناسب هذه الخاصية أو تلك ..

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٢٤٩

الفصل الثاني:

وقفات لا بد منها

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٢٥١

هل قاتل المهزومون في خير؟!

زعمت بعض النصوص المتقدمة: أن أباً بكر و عمر قد قاتلا قتالاً شديداً، وقد جهدا فلم يفتح لهما ..
و نحن ليس فقط نشك في صحة ذلك، بل نرجح: أنهما قد هزما قبل مباشرة القتال، أو أنهما باشراه مع ظهور الخوف والجبن، فانهزموا بسرعة قبل إنجاز أي شيء مؤثر، أو صالح لأن يوصف بأنه قتال ..
و نستند في ذلك إلى ما يلى:

أولاً: أشارت بعض النصوص، وبعضها كاد أن يصرح: بأن عمر قد رجع قبل أن يصل إلى ساحة الحرب ..
فقد ورد: أن النبي «صلى الله عليه و آله» دعا أباً بكر في اليوم الأول، وقال: خذ الراية.
فأخذها في جمع من المهاجرين، فاجتهد فلم يغش شيئاً. فعاد يؤنب القوم الذين اتبعوه و يؤنبونه ..
فلما كان من الغد تعرض لها عمر، فسار بها غير بعيد، ثم رجع يجتنب أصحابه و يجتنبونه.
فقال «صلى الله عليه و آله»: ليست هذه الراية لمن حملها، جيءوني بعلى.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٢٥٢

فقيل: إنه أرمد.

فقال: أرونيه، تروني رجلاً يحب الله و رسوله، و يحبه الله و رسوله «١».

و قد ورد في حديث بريدة أيضاً قوله: «فأخذ اللواء أبو بكر، فانصرف ولم يفتح له، ثم أخذها عمر من الغد، فخرج و رجع و لم يفتح له ..».

و في حديث ابن أبي ليلى، و ابن عباس: بعث أباً بكر، فسار بالناس؛ فانهزم حتى رجع إليه، و بعث عمر، فانهزم بالناس حتى انتهى إليه. و في نص آخر: دفع «صلى الله عليه و آله» اللواء لرجل من المهاجرين، فرجع و لم يصنع شيئاً. فدفعه إلى آخر من المهاجرين فرجع و لم يصنع شيئاً.

و كل ذلك قد تقدم مع طائفه من مصادره ..

ثانياً: إن النبي الأعظم «صلى الله عليه و آله» قد غضب و استاء مما حصل، و صرخ بما قد يشعر: بأن هذا الفعل مقصود من المهاجرين و الأنصار، حيث قال: هكذا تفعل المهاجرون و الأنصار؟! - حتى قالها ثلاثة - لأعطين .. «٢».

و قالوا أيضاً: فغضب رسول الله «صلى الله عليه و آله»، و قال: «ما بال أقوام يرجعون منهزمين، يجبنون أصحابهم؟! أما و الله لأعطين الخ ..» «٣».

و ذكر نص آخر: انهزام أبي بكر و عمر و قال: حتى ساء رسول الله

(١) البحار ج ٢١ ص ١٥ و الإرشاد للمفید ج ١ ص ١٢٦ و راجع: مدينة المعاجز ج ١ ص ١٧٤.

(٢) البحار ج ٢١ ص ١٢ عن الإحتجاج ج ٢ ص ٦٤.

(٣) البحار ج ٢١ ص ٢٨ عن الخرایج و الجرایح ج ١ ص ١٥٩.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٢٥٣: «صلى الله عليه و آله» ذلك، فقال: لأعطين الراية الخ .. «١».

فهذا الغضب و الاستياء من رسول الله «صلى الله عليه و آله» يدل على: أن هزيتهم لم يكن لها ما يبررها أصلاً.

بل إن قوله ثلث مرات: هكذا تفعل المهاجرون و الأنصار، يشير إلى أسف بالغ، و حسرة قوية، قد انتابته من فعلهم هذا، حيث يدل ذلك على أن ما يجري ليس بسبب قوة اليهود، بل هو نتيجة تخاذل، و جبن من أصحابه، و لهذا الجبن و الخور دلالته السلبية .. و مما يؤكّد ذلك كله: أن نفس المهاجرين و الأنصار كانوا يتداولون الاتهامات حول ما يجري، الأمر الذي يدل على قناعتهم بأن مسؤولية ما حصل تقع على عاتقهم أنفسهم.

ثالثاً: لو صح قولهم: إنهم قاتلا قتلا شديداً، و جهداً، لم يصح تعريض النبي «صلى الله عليه و آله» بهما و بمن معهما، و إظهار الإزراء عليهم، و فضحهما على رؤوس الأشهاد. بل كان اللازم تقدير جهودهما، و جهادهما، و إغراق الأوسمة عليهم، فهذا الاستياء، و ذلك التعريض و التأنيب، و إظهار الأسى و الغضب يدل دلالة واضحة على أنهما قد ارتكبا بفرارهما أمراً عظيماً، و أن هذا الفرار كان على درجة كبيرة من القباه و الشناعة، جعلهما يستحقان ذلك كله ..

وبات من الضروري عقوبتهما بهذه الطريقة المؤلمة، التي تخلد اسميهما في سجل لا يحب أحد أن يكون له اسم فيه، و هو سجل الفارين في

(١) البحار ج ٢١ ص ٢١ عن إعلام الورى ج ١ ص ٢٠٧.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٢٥٤:

الحروب، ثم هو يصف علياً «عليه السلام» بأوصاف، و يمنحه أوسمة تستبطن التعريض بهما، من حيث إنهم لا يستحقان شيئاً منها ..

بل هي تظهر أنهم يحملان نقاصها، و هو الأمر القبيح الذي لا يصح الانطواء عليه بأى حال.

و الأوصاف هي التالية:

١- يحب الله و رسوله:

فهو «صلى الله عليه و آله» قد وصف علياً «عليه السلام» بأنه يحب الله و رسوله، مشيراً بذلك - فيما يظهر - إلى أن غيره لم يكن كذلك، فإن أدعى ذلك لنفسه، فأمثال هذه الدعاوى تكون ساقطة عن الاعتبار، لأن شواهد الامتحان في ساحات الجهاد و التزال، تكذبها.

ولو أن أيهما كان صادقاً فيما يدعيه لنفسه لفعل نفس ما فعله على «عليه السلام»، ولم يؤثر حفظ نفسه، و النجاة بها، ولو بارتكاب الفرار من الزحف، الذي هو من المحرمات العظيمة، مع علمه بما يترب على هذا الفرار من سلبيات تمثل باشتداد ميل الأعداء إلى الحرب، و تؤدي إلى هزيمة روحية للأولئك في ساحات الطعن و الضرب.

ويتأكد ضعف المستوى من خلال ما جرى بين رسول الله «صلى الله عليه و آله» وبين عمر بن الخطاب، فقد قال عمر: لأنّت أحب إلى من كل شيء إلا من نفسي.

قال النبي «صلى الله عليه و آله»: و الذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسي.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٥٥

قال عمر: فأنت الآن - و الله - أحب إلى من نفسي.

قال رسول الله «صلى الله عليه و آله»: الآن يا عمر؟! «١».

ولابد أن نذكر هنا الآية الشريفة التي تقول:

قُلْ إِنْ كَانَ آباؤُكُمْ وَ أَبْناؤُكُمْ وَ إِخْوَانُكُمْ وَ أَزْوَاجُكُمْ وَ عَيْشَةَ يَرْتُكُمْ وَ أَمْوَالُ أَفْرَقْتُمُوهَا وَ تِجَارَةً تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَ مَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ جِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا بَخَنَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَ اللَّهُ لَا يَهِدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ «٢»

٢- يحبه الله و رسوله:

إشارة

و إذا كان على «عليه السلام» يحب الله و رسوله، فإن ذلك يستتبع القيام بما يميله هذا الحب من الالتزام، و الوفاء، و التضحية في سبيل الله و رسوله ..

الأمر الذي ينشأ عنه حب الله و رسوله له «عليه السلام» أيضاً ..

فكان من الطبيعي أن يأتي الوسام الآخر، و هو: أنه «عليه السلام» يحبه الله و رسوله، و هو وسام عظيم، خصوصاً مع ما يتضمنه هذا الوصف من التعريض بالذين هربوا، ليدل فرارهم على: أنهم لم يكونوا كذلك،

(١) مسنـد أـحمد ج ٤ ص ٣٣٦ و صـحـيق البـخارـي (طـ محمد عـلى صـبـح بمـصر) ج ٨ ص ١٦١ و عـمـدة القـارـى ج ١ ص ١٤٤ و المـعـجم الأـوسط ج ١ ص ١٠٣ و كـنزـ العـمال ج ١٢ ص ٦٠٠ و تـفسـير القرـآن العـظـيم ج ٢ ص ٣٥٦ و ج ٣ ص ٤٧٦ و تـارـيخ دـمشـق ج ١٩ ص ٨٧ و فـتحـ الـبـارـى ج ١ ص ٥٥٦ و رـاجـعـ: المـسـتـدرـكـ لـلـحاـكمـ الـنيـساـبـورـيـ ج ٣ ص ٤٥٦ و الشـفـاـ بـتـعرـيفـ حـقـوقـ الـمـصـطـفـىـ ج ٢ ص ١٩.

(٢) الآية ٢٤ من سورة التوبـة.

الصـحـيقـ منـ السـيـرةـ النـبـيـ الأـعـظـمـ، مـرتـضـىـ العـاملـىـ، جـ ١٧ـ، صـ ٢٥٦ـ

فالـمعـيارـ لـكـسبـ رـضاـ اللـهـ تـعـالـىـ، وـ نـيلـ مـحـبـتـهـ وـ مـحبـةـ رـسـولـ اللـهـ «صلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـ آـلـهـ»؛ هوـ الـعـملـ الصـالـحـ، وـ الـجـهـادـ، وـ التـضـحـيـةـ، وـ لاـ تـكـفىـ الدـعـاوـىـ الـعـرـيـضـةـ، وـ الـعـجـيـجـ، وـ الصـبـحـيـجـ فـيـ الرـخـاءـ، ثـمـ الـهـرـبـ فـيـ سـاحـاتـ الـجـهـادـ، وـ الـحـاجـةـ إـلـىـ التـضـحـيـةـ وـ الـفـداءـ ..

التزوير الرخيص .. تصرف و حذف:

و في بعض الروايات جاءت العبارة هكذا: فقال «صلى الله عليه و آله» لأعطين الراية غدا رجلا يحبه الله و رسوله، أو قال: يحب الله و رسوله «١».

و بعضها أكتفى بذكر الفقرة الثانية و هي قوله «صلى الله عليه و آله»:
يحب الله و رسوله «٢».

(١) صحيح البخاري (ط محمد على صحيح) ج ٥ ص ١٧١ و ٢٣ و الخصائص للنسائي (طبعة التقدم بمصر) ص ٧.

(٢) منتخب كنز العمال (بهاشم مسند أحمد) ج ٤ ص ١٣٠ و مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٣ و الإصابة ج ٢ ص ٥٠٢ و البداية و النهاية ج ٤ ص ١٨٤ و راجع: الرياض النبرة (ط محمد أمين بمصر) ج ٢ ص ١٨٨ و الخصائص الكبرى ج ١ ص ٢٥٢ و ٢٥٣ و مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٠٨ و جامع الأصول ج ٩ ص ٤٧٢ و الإكتفاء (ط مكتبة الخانجي) ج ٢ ص ٢٥٨ و تذكرة الخواص ص ٢٥ و سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١٢٤ و مسند أحمد ج ١ ص ٣٣١ و ج ٢ ص ٣٨٤ و ج ٤ ص ٥٤ و لسان العرب ج ١٤ ص ٣٥٢ و مسند الطيالسي ص ٣٢٠ و سنن ابن ماجة (ط مكتبة التازية بمصر) ج ١ ص ٥٦ و السيرة النبوية لابن هشام (ط المكتبة الخيرية بمصر) ج ٣ ص ١٧٥ و السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٧ و الخصائص للنسائي (ط مكتبة التقدم بمصر) ص ٣٢ و ٤ و ٨ و ٧ و حلية الأولياء ج ٤ ص ٣٥٦ و ج ١ ص ٦٢.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٥٧
و بعضها اقتصر على الفقرة الأولى «١». و هي قوله: يحب الله و رسوله.
ونقول:

إن هؤلاء ما فتئوا يسعون إلى الانتقاد من على «عليه السلام»، و إخفاء فضائله بكل حيلة و وسيلة، و قد بدأت هذه السياسات منذ الصدر الأول، فقد أخفى أعداؤه «عليه السلام» فضائله حسدا، و أخفاها محبوه و أولياؤه خوفا، و ظهر من بين هذين ما ملأ الخافقين .. و علينا في مثل هذه الموارد التي تعطي حсад على «عليه السلام» و مناوئيه، أن نتوقع ظهور حسيكة النفاق، و أن يتجلّى الحقد الأعمى بصورة يصعب التستر عليها .. و هكذا كان، فإنهم حاولوا حتى إنكار قتله «عليه السلام» لمرحبا، و نسبوه لمحمد بن مسلمئة كما سيأتي بيانه إن شاء الله ..

و نسبوا قتل سائر الفرسان إلى أبي دجانة تاره، و إلى الزبير أخرى ..
ولكن الله يأبى إلا أن يتم نوره، ولو كره الشاندون و الحاقدون .. فإن فضائل على «عليه السلام» و كراماته قد ظهرت في أصح الكتب عند شيعته، و عند غيرهم أيضا، و أسفر الصبح لذى عينين.

أقوال النبي صلّى الله عليه و آله في المصادر والمراجع:

و في جميع الأحوال نقول:

قد ذكرت الروايات: أن النبي «صلى الله عليه و آله» قال في خير بعد فرار المهاجرين و الأنصار:

(١) المغازى للواقدي ج ٢ ص ٦٥٣.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٥٨
لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله و رسوله، و يحبه الله و رسوله «١».

(١) تاريخ بغداد ج ٨ ص ٥ و مسند أحمد ج ١ ص ٩٩ و ١٨٥ وج ٥ ص ٣٣٣ و ٣٥٣ و ٣٥٨ و صحيح البخاري (ط محمد على صحيح بمصر) ج ٥ ص ١٧١ و تاريخ البخاري ج ١ ق ٢ ص ١١٥ وج ٤ ص ١١٥ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٨٤ فما بعدها، و صحيح مسلم ج ٧ ص ١٢١ وج ٥ ص ١٩٥ و تذكرة الخواص ص ٢٤ و ٢٥ و الكامل في التاريخ (ط دار صادر) ج ٢ ص ٢١٩ و ٢٢٠ و أسد الغابة ج ٤ ص ٢٥ و ٢٨ و ذخائر العقبي (ط مكتبة القدس) ص ٧٤ و سنن ابن ماجة (ط مكتبة التازية بمصر) ج ١ ص ٥٦ و الجامع الصحيح للترمذى ج ٥ ص ٦٣٨ و الخصائص للنسائي (ط مكتبة التقدم بمصر) ص ٤ و ٥ و ٣٢ و ٧ و ٨ و منتخب كنز العمال ج ٥ ص ٤٤ و ٤٨ وج ٤ ص ١٣٠ و ١٢٧ و الصواعق المحرقة (ط المكتبة الميمونة بمصر) ص ٧٤ و المناقب المرتضوية (ط بمبى) ص ١٥٨ و مدارج النبوة للدهلوى ص ٣٢٣ و مجمع الروايد ج ٩ ص ١٢٣ و حياة الحيوان (مطبعة الشرفية) ج ١ ص ٢٣٧ و مشكاة المصابيح (ط دهلي) ص ٥٦٤ و الإصابة ج ٢ ص ٥٠٢ و الفصول المهمة لابن الصباغ ص ١٩ و الخصائص الكبرى ج ١ ص ٢٥١ و تاريخ الخلفاء (مطبعة السعادة بمصر) ص ١٦٨ و نور الأ بصار ص ٨١ و إسعاف الراغبين (بهامش نور الأ بصار) ص ١٦٩ و تاج العروس ج ٧ ص ١٣٣ و ينابيع المودة (ط بمبى) ص ٤١ و الطبقات الكبرى لابن سعد (مطبعة الشفاعة الإسلامية) ج ٣ ص ١٥٦ و ١٥٧ و مشارق الأنوار للصغائى (ط مكتبة الأستانة) ج ٢ ص ٢٩٢ و كفاية الطالب (ط الغرى) ص ١٣٠ و حلية الأولياء ج ١ ص ٦٢ و العقد الفريد (ط مكتبة الجمالية بمصر) ج ٣ ص ٩٤ و تاريخ الأمم والملوک ج ٣ ص ٣٠ و مناقب الإمام على لابن المغازلى (ط المكتبة الإسلامية) ص ١٧٦ و مستدرک الحاکم ج ٣ ص ٣٨ و ٤٣٧ و ١٣٢ و الشفاء (ط مصر) ج ١ ص ٢٧٢ و الرياض النصرة (ط محمد أمين بمصر) ج ١ ص ١٨٤-١٨٨ وج ٢ ص ١٨٨.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٢٥٩

ليس بفرار «١»

أو كرار غير فرار «٢».

لا يرجع حتى يفتح الله عليه «٣».

و ١٩٠ و لباب التأويل ج ٤ ص ١٥٢ و ١٥٣ و المعجم الصغير (ط دهلي) ص ١٦٣ و الإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج ٣ ص ٣٦٦ و مصابيح السنة (ط المكتبة الخيرية بمصر) ج ٢ ص ٢٠١ و معالم الترتيل ج ٤ ص ١٥٦ و جامع الأصول ج ٩ ص ٤٦٩ و ٤٧١ و ٤٧٢ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٨ و البحار ج ٢١ ص ٢٨ و ٢١ و ٢٠ عن الخرایج و الجرایح و عن إعلام الورى ص ١٠٧ و ١٠٨ و عن الخصال ج ٢ ص ١٢٠ و ١٢٤.

(١) مسند أحمد ج ١ ص ١٣٣ و الخصائص للنسائي (ط مكتبة التقدم بمصر) ص ٥ و السيرة النبوية لابن هشام (ط مكتبة الخيرية بمصر) ج ٣ ص ١٧٥ و حلية الأولياء ج ١ ص ٦٢ و الإستيعاب (مع الإصابة) ج ٣ ص ٣٦٦ و كفاية الطالب (ط الغرى) ص ١٣٠ و منتخب كنز العمال (بهامش المسند) ج ٥ ص ٤٨ وج ٤ ص ٤٨ و ١٢٧ و البداية والنهاية ج ٤ ص ١٨٤ و ١٨٥ فما بعدها، و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٦٥٣ و مجمع الروايد ج ٩ ص ١٢٣ و البحار ج ٢١ ص ٢٠ عن الخصال ج ٢ ص ١٢٠ و ١٢٤.

(٢) مسند أحمد ج ٥ ص ٣٥٣ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٨ و البحار ج ٢١ ص ٢٨ و ٢١ عن الخرایج و الجرایح و عن إعلام الورى ص ١٠٧ و منتخب كنز العمال (بهامش المسند) ج ٥ ص ٤٨ و المناقب المرتضوية (ط بمبى) ص ١٥٨ و معارج النبوة ص ٢١٩ و الرياض النصرة (ط محمد أمين بمصر) ج ١ ص ١٨٥ و ١٨٧.

(٣) المعجم الصغير (ط دهلي) ص ١٦٣ و مستدرک الحاکم ج ٣ ص ٣٨ و المغازى ج ٢ ص ٦٥٣ و البحار ج ٢١ ص ٢٨ و ٢١ و ٢٠ عن الخرایج و الجرایح و عن إعلام الورى ص ١٠٧ و عن الخصال ج ٢ ص ١٢٠.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٢٦٠
يفتح الله على يديه «١».
أو قال: لا يولى الدبر، يفتح الله عليه «٢».
فاستشرف لها الناس، بعث عليها «٣».

- (١) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٨ و مصادر أخرى.
- (٢) المستدرک للحاکم ج ٣ ص ٣٨ و المعجم الصغير (ط دهلي) ص ١٦٣ و تاريخ بغداد ج ٨ ص ٥ و السنن الكبرى ج ٩ ص ١٠٧ و الإستیاع (مع الإصابة) ج ٣ ص ٢٦٦ و کفایة الطالب (ط الغری) ص ١٣٠ و تذكرة الخواص ص ٢٤ و منتخب کتز العمال (بهاشم المسند) ج ٥ ص ٤٨ و ح ٤ ص ١٣٠ و الصواعق المحرقة (ط المکتبة المیمنیة بمصر) ص ٧٤ و مشکاة المصابیح (ط دهلي) ص ٥٦٤ و الإصابة ج ٢ ص ٥٠٢ و البداية والنهاية ج ٤ ص ١٨٤ و ١٨٥ فما بعدها و ذخائر العقبي (ط مکتبة القدسی) ص ٤ و لباب التأویل ج ٤ ص ١٨٢ و ١٨٣ و مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٣ و معارج النبوة ص ٢١٩ و الخصائص الكبرى ج ١ ص ٢٥١ و ٢٥٢ و تاريخ الخلفاء (ط مکتبة السعادة بمصر) ص ١٦٨ و نور الأبصار ص ٨١ و إسعاف الراغبين بهامشه ص ١٦٩ و تاج العروس ج ٧ ص ١٣٣ و ينایع المودة (ط بمبی) ص ٤١.
- (٣) مسند أحمد ج ١ ص ١٣٣ و راجع: تاريخ البخاري (ط حیدر آباد الدکن) ج ١ ق ٢ ص ١١٥ و صحيح مسلم ج ٧ ص ١٢٠ و سنن ابن ماجة (ط المکتبة التازیة بمصر) ج ١ ص ٥٦ و الجامع الصحيح ج ٥ ص ٦٣٨ و الخصائص للنسائی (ط مکتبة التقدم بمصر) ص ٤ و المستدرک للحاکم ج ٣ ص ٤٣٧ و منتخب کتز العمال (بهاشم المسند) ج ٤ ص ١٢٧ و البداية والنهاية ج ٤ ص ١٨٤ و ١٨٥ فما بعدها و راجع: الرياض النفرة (ط محمد أمین بمصر) ج ١ ص ١٨٤-١٨٨ و مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٣.
- الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٢٦١
أو فبات الناس يدركون ليتهم أيهم يعطها «١».
وفى اليوم التالي غدا الناس على رسول الله «صلى الله عليه و آله» كلهم يرجو أن يعطها «٢».
و عند الرواندى: فتطاول جميع المهاجرين والأنصار، فقالوا: أما على فهو لا يبصر شيئاً، لا سهلاً ولا جبراً «٣».

- (١) صحيح البخاري (ط محمد على صحيح بمصر) ج ٥ ص ١٧١ و صحيح مسلم ج ٧ ص ١٢١ و مسند أحمد ج ٥ ص ٣٣٣ و تاج العروس ج ٧ ص ١٣٣ و ينایع المودة (ط بمبی) ص ٤١ فما بعدها و دلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ٢٠٥ و حلية الأولياء ج ١ ص ٦٢ و السنن الكبرى ج ٩ ص ١٠٧ و جامع الأصول ج ٩ ص ٤٧٢ و تذكرة الخواص ص ٢٤ و أسد الغابة ج ٤ ص ٢٢ و الصواعق المحرقة (ط المیمنیة بمصر) ص ٧٤ و الفصول المهمة لابن الصباغ ص ١٩ و البداية والنهاية ج ٤ ص ١٨٤ و سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٢٤ و مسند الطیالسی ص ٣٢٠ و الخصائص الكبرى ج ١ ص ٢٥١ و ٢٥٢ و ذخائر العقبي (ط مکتبة القدسی) ص ٧٤ و الرياض النفرة (ط محمد أمین بمصر) ج ١ ص ١٨٤-١٨٨ و تاريخ الخلفاء (ط مکتبة السعادة بمصر) ص ١٦٨ و إسعاف الراغبين (بهاشم نور الأبصار) ص ١٦٩ و نور الأبصار ص ٨١.
- (٢) صحيح البخاري (ط محمد على صحيح بمصر) ج ٥ ص ١٧١ و صحيح مسلم ج ٧ ص ١٢١ و مسند أحمد ج ٥ ص ٣٣٣ و مشکاة المصابیح (ط دهلي) ص ٥٦٤ و الإصابة ج ٢ ص ٥٠٢ و ذخائر العقبي (ط مکتبة القدسی) ص ٧٤ و الخصائص للنسائی ص ٦ و مصابیح السنّة (ط مکتبة الخیریة بمصر) ج ٢ ص ٢٠١ و تذكرة الخواص ص ٢٤ و الصواعق المحرقة (ط المکتبة المیمنیة بمصر) ص ٧٤.

(٣) البحار ج ٢١ عن الخرایج و الجرایح.

الصحيح من السيرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی، ج ١٧، ص: ٢٦٢

و عند الطبری: فتطاولت لها قريش و رجال، کل واحد منهم يرجو أن يكون هو صاحب ذلك «١».

و في نص آخر: تطاول لها أبو بکر و عمر «٢».

ابن الصباغ ينقل عن صحيح مسلم:

قال ابن الصباغ: «و في صحيح مسلم: قال عمر بن الخطاب: فما أحببت الإمارة إلا يومئذ، فتساورت لها، و حرست عليها حتى أبديت وجهي، و تصدیت لذلك ليذكرني ..

ثم قال: قالوا: و إنما كانت محبة عمر لما دلت عليه من محبته الله و رسوله، و محبتهما له، و الفتح» «٣».

ونقول:

إن سائر الروايات قد اقتصرت على القول: بأن عمر قال: ما أحببت

(١) تاريخ الأمم والملوک ج ٣ ص ٣٠ و السنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ١٠٧ و الكامل في التاريخ (ط دار صادر) ج ٢ ص ٢١٩ و

راجع: منتخب كنز العمال (بها مش مسند أحمد) ج ٤ ص ١٢٨ و البداية والنهاية ج ٤ ص ١٨٥ فما بعدها و الرياض النصرة (ط محمد أمين بمصر) ج ١ ص ١٨٤-١٨٨ و الخصائص الكبرى ج ١ ص ٢٥١ و ٢٥٢ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٨.

(٢) راجع: منتخب كنز العمال (بها مش مسند أحمد) ج ٤ ص ١٢٨ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٨.

(٣) الفصول المهمة لابن الصباغ ص ٣٨ و كتاب الأربعين للمحاوزي ص ١٨١ و ١٨٩.

الصحيح من السيرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی، ج ١٧، ص: ٢٦٣

الإمارة إلا يومئذ.

قال: فتساورت لها، رجاء أن أدعى لها «١».

فدعها عليا فأعطيها إياها، و قال: امش، و لا تلتفت.

فصرخ: يا رسول الله، على ماذا أقاتل الناس؟!

قال: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، و أن محمدا رسول الله.

إذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم و مالهم إلا بحقها، و حسابهم على الله «٢».

(١) صحيح مسلم (ط محمد على صحيح) ج ٧ ص ١٢١ و مسند الطيالسي ص ٣٢٠ و التاج الجامع للأصول ج ٣ ص ٣٢٦ و مسند

أحمد ج ٢ ص ٣٨٤ و عن صحيح البخاري ج ٧ ص ٥٤٤ (٤٢٠٩ و ٤٢١٠) و الخصائص الكبرى ج ١ ص ٢٥١ و ٢٥٢ و خصائص

على بن أبي طالب للنسائي ص ٧ و الطبقات لابن سعد (ط دار الثقافة الإسلامية مصر) ج ٣ ص ١٥٦ و معارج النبوة ص ٢١٩ و راجع:

سبيل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١٢٤ و دلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ٢٠٥ و جامع الأصول ج ٩ ص ٤٧٢ و تذكرة الخواص ص ٢٤ و

البداية والنهاية ج ٤ ص ١٨٤ و ١٨٥ و ذخائر العقبي (ط مكتبة القدس) ص ٧٤ و ٧٥ و الرياض النصرة (ط محمد أمين بمصر) ج ١

ص ١٨٨-١٨٤ و النهاية لابن الأثير ج ٢ ص ٤٢٠ و ينایع المودة ج ١ ص ١٥٤ و البحار ج ٣٩ ص ١٢ و ١٣ و شرح صحيح مسلم

للنووى ج ١٥ ص ١٧٦ و الدبياج على مسلم ج ٥ ص ٣٨٧ و رياض الصالحين للنووى ص ١٠٨ و الجوهرة في نسب على بن أبي

طالب و ولده ص ٦٨ و شرح أصول الكافى للمازندرانى ج ٦ ص ١٣٦ و ج ١٢ ص ٤٩٤ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٨.

(٢) صحيح مسلم (ط محمد على صحيح) ج ٧ ص ١٢١ و مسند الطيالسي ص ٣٢٠
 الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٦٤:
 فهل كانت لدى ابن الصباغ نسخة من صحيح مسلم تختلف عن النسخة التي وصلت إلينا ..
 أم أن أحدا قد كتب في هامش نسخته توضيحاً لكلام عمر، فظن أنه ابن الصباغ جزءاً من الرواية، فأدرجها فيها ..
 أو أن ابن الصباغ نفسه قد شرح كلمة عمر بالنحو المتقدم، لكن نسخة كلامه قد أسقطوا (كلمة).
 أى أن كل ذلك محتمل و يؤيد هذا الاحتمال الأخير: أن الماحوزي نقل كلام ابن الصباغ بإضافة ما يدل على أنه بصدق توضيح
 كلام عمر فراجع «١».

٣- كرار غير فرار:

و إذا أردنا العودة إلى شرح كلمات رسول الله «صلى الله عليه و آله» لعلى في خير، فإننا نقول:
 إنه «صلى الله عليه و آله» لا- يكتفى بالإشارة إلى فرار هؤلاء الناس، بل هو يتحدث عن أنهم كثيرو الفرار، حتى كان هذا الأمر قد
 أصبح عادة لهم، في حين أن علياً «عليه السلام» ليس بفار، بل هو كثير الكرا، حتى أصبح

و التاج الجامع للأصول (ط مصر) ج ٣ ص ٣٢٦ و مسند أحمد ج ٢ ص ٣٨٤ و الخصائص للنسائي ص ٧ و الطبقات لابن سعد (ط دار
 الشفاعة الإسلامية) ج ٣ ص ١٥٦ و مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٨ و المعجم الصغير (ط دهلي) ص ١٦٣ و تذكرة الخواص ص ٢٤ و
 ٢٥ و البداية والنهاية ج ٤ ص ١٨٤ و ١٨٥ و الرياض النصرة (ط محمد أمين بمصر) ج ١ ص ١٨٤ - ١٨٨ .
 (١) كتاب الأربعين للماحوزي ص ١٨١ و ١٨٩ .

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٦٥
 ذلك عادة له أيضا ..

٤- لا يولي الدبر:

ثم أكد ذلك بقوله: لا يولي الدبر، مستفيداً من تعبير يؤكّد شعور السامع بالنفرة من عملهم هذا.

٥- لا يرجع حتى يفتح الله عليه:

ثم يزيد «صلى الله عليه و آله» في توضيح ما يرمي إليه، بقوله: لا يرجع .. أى كما رجع أولئك، حتى يفتح الله سبحانه عليه، لأن الفتح
 كرامة إلهية، ولطف رباني، يختص الله به من هو أهل للكرامة، و مستحق للطف ..
 و هو ذلك الذي يحب الله و رسوله، و يحبه الله و رسوله، فإنه «صلى الله عليه و آله» قد مهد تلك المقدمات ليتهي إلى هذه النتيجة،
 بصورة عفوية و طبيعية.
 فكأنها من القضايا التي تكون قياساتها معها ..

٦- لا يخزيه الله أبداً:

وورد في بعض النصوص قوله «صلى الله عليه و آله»: لأبغض رجالا لا يخزيه الله أبدا، أى إنه «صلى الله عليه و آله» قد تقدم خطوة أخرى في سياق الإعلان عن قبح الفرار الذي حصل، ليدلنا ذلك على أنه لا يمكن المرور عن هذا الأمر مرور الكرام، لشدة خطورته، وعميق تأثيره، مما يعني بقاء تبعاته و آثاره تلاحق الذين صدر منهم ذلك، وتلقى بكل كالها على سمعتهم، وعلى موقعهم. و ذلك حين ألمح على سبيل التعریض الذي هو

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٢٦٦

أبلغ من التصریح إلى أن الفرار من موجبات الذل، والمهانة، والخزى، الذي هو أشر أنواع السقوط.

ولللحاظ: كلمة أبداً أيضاً في كلامه «صلى الله عليه و آله»، فإنها قد جاءت لتفيد المزيد من التأكيد على براءة و نزاهة ذلك المبعوث من هذا الأمر الشنيع.

حتى أنت يا عمر؟!:

وقد روى: أن عمر لما سمع النبي «صلى الله عليه و آله» يقول: لأعطي الرأي غدا رجلاً يحب الله و رسوله، و يحبه الله و رسوله، كراراً غير فرار، قال: ما أحبيت الإمارة إلا ذلك اليوم «!».

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٥ و راجع: شرح أصول الكافى ج ٦ ص ١٣٦ و ٤٩٤ و ١٣٧ و ٣٨٠ و مناقب أمير المؤمنين ج ٢ ص ٥٠٣ و أمالى الطوسي ص ١٤٤ و العمدة ص ١٤٩ و الطرائف لابن طاووس ص ٥٩ و البحار ج ٢١ ص ٢٧ و ج ٣٩ ص ١٠ و ١٢ و كتاب الأربعين للمماحوزي ص ٢٩٠ و مقام الإمام على للعسکري ص ٣٠ و ٤٢ و مستدرک سفينة البحار ج ٨ ص ٢٢٩ و أصوات على الصحيحين ص ٤٣٢ و عن صحيح مسلم ج ٧ ص ١٢١ و عن فتح الباري ج ٧ ص ٤٧ و ٣٦٥ و السنن الكبرى للنسائى ج ٥ ص ١١ و ١٨٠ و عن خصائص أمير المؤمنين للنسائى ص ٥٧ و رياض الصالحين للنحوى ص ١٠٨ و عن تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٧٧ و تاريخ مدينة دمشق ج ٢٥ ص ٤٥٩ و ج ٤٢ ص ٨٣ و ٨٤ و عن الإصابة ج ٤ ص ٤٦٦ و عن البداية والنهاية لابن كثير ج ٧ ص ٣٧٢ و عن السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٤٢٢ و عن عيون الأثر ج ١ ص ٢٩١ و نشأة التشيع ص ١٢٠ و عن التاج الجامع للأصول ج ٣ ص ٣٣١ و رواه الشیخان.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٢٦٧:
و نقول:

١- الظاهر هو: أنه قد ذكر ذلك عن نفسه ليقول للناس: إنه لم يكن من طلاب الدنيا فما جرى بعد رسول الله «صلى الله عليه و آله» إنما كان لأجل الحفاظ على الإسلام، و على أهله ..

٢- إن عمر قد فهم من الأوصاف التي أوردها النبي «صلى الله عليه و آله»: أنه يقصد ترشیح صاحب تلك الأوصاف لما هو أعظم من قيادة الجيش و من أخذ الرأي يوم خيبر.
 فهو يريد أن يقول:

إن الذي يفتح الله على يديه، و يحب الله و رسوله، هو الذي يصلح لحمل الأمانة من بعده، و هو سيد العرب كما تقدم.
أما من عداه فليس له الحق؛ لأنه لا يؤمن على ذلك.

فكأن عمر أراد أن يظهر: أن هذه الميزات كانت موجودة فيه، ولذلك رشح نفسه للإمارة، و صار يتعرض لرسول الله «صلى الله عليه

و آله».

٣- إن النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» كان قد منح أبا بكر و عمر، كلا على حدة فرصة للفوز بالفتح، و تحقيق النصر العظيم، فضليعاها. و رجعا منهزمين.

بل ورد: أنه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» قد منح الفرصة لعمر مرتين، فما معنى تجدد حب الإمارة لدى عمر، بعد أن أعلن النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»: أنه سيعطى الرأيَة رجلاً يحب الله و رسوله، و يحبه الله و رسوله؟!

فقد يقال: إن ذلك جاء بداعِ الحسد المذموم ..

و قد يقال: إن هذا الأمر قد جاء نتيجة الإحساس بأنه بعد فراره هو

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٦٨

و صاحبه قد أصبحا في موضع التهمة، وأن عليه أن يستعيد شيئاً من ماء الوجه، مع علمه بمقصود النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، فعرض نفسه لذلك، و طلب الرأيَة لنفسه، مع يقينه بأنه لن يختاره، هو ولا غيره من الفارين، فإن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين، ولا يصح ولا يفيد تجربة المجرب، إلا من السفيه، وغير المتوازن. و حاشا رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» أن يكون كذلك.

٤- إن المفروض: أن يكون نفس كلام النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» مانعاً لعمر، و لغيره ممن هم مثله من التصدي للرأيَة، و لا يجوز لهم بمقتضاه أن يطلبواها من جديد، إذ إن القرار غير الفرار، هو ذلك الذي كان من عادته الكرا، دون الفر، و قد ظهر عملياً أنه ليس كذلك، فما معنى صدور هذا التمني منه، و ما معنى أن يتطاول لها؟. و ما معنى رجاءه أن يدعى لها؟

ثم أن يبادر إلى طلبها؟!

٥- إن عمر يقول: إنه لم يتمن الإمارة إلا يومئذ، مع أنه هو نفسه يقر و يقسم على أنه قد تمنى هذا الأمر مرة أخرى، و ذلك عند ما جاء وفد ثقيف إلى رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، فقال لهم النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»:

لتسلمن، أو لأبعن إليكم رجلاً مني، و في رواية: مثل نفسي، فليضربين أعناقكم، و ليسين ذراريكم، و ليأخذن أموالكم «١».

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٥ و راجع: الطرائف لابن طاووس ص ٦٥ و البحار ج ٣٨ ص ٣٢٥ و ج ٤٠ ص ٨٠ و المناقب للخوارزمي ص ١٣٦ و نهج الإيمان لابن جبر ص ٤٨١ و العدد القوية للحلبي ص ٢٥٠ و جواهر المطالب لابن الدمشقى ج ١ ص ٦٠ و في الهاشمى روى الحديث فى أواسط ترجمة أمير المؤمنين

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٦٩

قال عمر: فو الله، ما تمنيت الإمارة إلا يومئذ، و جعلت أنصب صدرى له، رجاءً أن يقول: هو هذا.

فالتفت «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» إلى على «عليها السلام»، و قال: هو هذا، هو هذا.

فعمر يقول هنا: ما تمنيت الإمارة إلا يومئذ.

و في غرفة خير يقول: ما تمنيت الإمارة، إلا ذلك اليوم .. فأيهما هو الصحيح؟! ..

أم أنه قد تمنى الإمارة في كلام الموردين؟!

هذا كله .. عدا عن السؤال الذي يطرح نفسه، و هو: أنه حين هاجم بيت الزهراء «عليها السلام»، بعد رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، و اعتدى عليها بالضرب، و تسبب في إسقاط جينيتها المحسن، و في استشهادها «عليها السلام»، ألم يكن ذلك منه حبا بالإمارة، و طلبها، و إزهاقا لأرواح أقدس الخلق من أجلها؟!

و كيف نفسر قول أمير المؤمنين «عليها السلام» له حينئذ: احطب حلبًا لك شطره؟! «١».

«عليه السلام» من كتاب الإستيعاب (بها مش الإصابة) ج ٣ ص ٤٦ وأما عبد الرزاق فروي الحديث في فضائل على «عليه السلام» تحت الرقم ٢٣٨٩ من كتاب المصنف ج ١١ ص ٢٢٦، وليلاحظ: ترجمة أمير المؤمنين «عليه السلام» من تاريخ دمشق ج ٢ ص ٣٧٣.

(١) راجع: الإحتجاج ج ١ ص ٩٦ والصراط المستقيم ج ٢ ص ٢٢٥ وج ٣ ص ١١ و ١١١ و كتاب الأربعين للشيرازى ص ١٧٣ و البحار ج ٢٨ ص ٢٨٥ و ٣٨٨

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٧٠
وقوله «عليه السلام» عنه، وعن أبي بكر: لشد ما تশطرا ضر عيها؟! «١».
و غير ذلك ..

مقارنة ذات مغزى:

و علينا أن نتأمل كثيرا في موقف عمر الأنف الذكر، حيث تمنى الإمارة في خيبر تارة، وفي ثقيف أخرى .. وبين موقف أمير المؤمنين «عليه السلام»، فإنه لما بلغه ما قاله النبي «صلى الله عليه و آله»، عن الذي سوف يعطيه الرأي، قال: «اللهم لا معطى لما منعت، ولا مانع لما أعطيت ..». «٢».

وج ٢٩ ص ٥٢٢ و ٦٢٦ و مناقب أهل البيت للشيرازى ص ٤٠٠ و السقيفة للمظفر ص ٨٩ و الغدير ج ٥ ص ٢٧١ و نهج السعادة ج ٥ ص ٢١٠ و مکاتیب الرسول ج ٣ ص ٧٠٨ و تثبيت الإمامة ص ١٧ و أنساب الأشراف ص ٤٤٠ و الإمامة و السياسة (تحقيق زيني) ج ١ ص ١٨ و بيت الأحزان ص ٨١ و حياة الإمام الحسين للقرشى ج ١ ص ٢٥٧.

(١) نهج البلاغة (الخطبة الشقشقية) ج ١ ص ٣٣ و رسائل المرتضى ج ٢ ص ١٠٩ والإحتجاج ج ١ ص ٢٨٤ و كتاب الأربعين للشيرازى ص ١٦٧ و حلية الأبرار ج ٢ ص ٢٩٠ و مناقب أهل البيت للشيرازى ص ٤٥٧ و النص والإجتهاد ص ٢٥ و الغدير ج ٧ ص ٨١ وج ١٠ ص ٢٥ و المعيار و الموازن لابن الإسكافي ص ٤٦ و شرح النهج للمعتزلى ج ١ ص ١٦٢ و ١٧٠ و الدرجات الرفيعة ص ٣٤ و بيت الأحزان ص ٨٩ و حياة الإمام الحسين للقرشى ج ١ ص ٢٨٢ و شرح شافية ابن الحاجب للأستر آبادى ج ١ ص ٧٨.

(٢) البحار ج ٢١ ص ٢١ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٨ و إعلام الورى ج ١ ص ٢٠٧ و قصص الأنبياء للراوندى ص ٣٤٤.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٧١
 فهو «عليه السلام» يعتبر: أن ذلك كرامه إلهي، يختص الله تعالى بها من يشاء.
أما بالنسبة لتنمية عمر، فنقول:

ألف: إن كان يقصد بأنه أحب الإمارة، طمعا منه في ملاقة العدو، فيرد عليه:
أولا: إن النبي «صلى الله عليه و آله» كان قبل ذلك قد نهى عن لقاء العدو، وقال: لا تتمنوا لقاء العدو «١». مما يعني أن يخالف عمر هذا النهي

(١) قد تقدم الكلام حول هذه الفقرة في فصل سابق و راجع: المعجم الصغير (ط دهلي) ص ١٦٣ و المستدرك على الصحيحين ج ٣ ص ٣٨ و تنوير الحوالك ص ٦٤٤ و المحلي لابن حزم ج ٧ ص ٢٩٣ و فقه السنّة للسيد سابق ج ٢ ص ٦٤٨ و مکاتیب الرسول ج ١ ص ٤٤٠ و سنن الدارمي ج ٢ ص ٢١٦ و عن صحيح البخاري ج ٤ ص ٩ و عن صحيح مسلم ج ٥ ص ١٤٣ و عن سنن أبي داود ج ١ ص ٥٩٢ و المستدرك للحاكم ج ٢ ص ٧٨ و السنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ٧٦ و شرح مسلم للنووى ج ١٢ ص ٤٥ وج ١٤ ص ٢٠٧ و عن فتح الباري ج ١٠ ص ١٦٠ و المصنف للصناعي ج ٥ ص ٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٥٠ و السنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ١٨٩ و

مستند أبي يعلى الموصلى ج ٢ ص ١٥١ و مسند ابن أبي أوفى ص ١١٧ و الكافى فى علم الرواية للخطيب البغدادى ص ٣٧٣ و الأذكار التووية ص ٢٠٩ و ٢١٠ و رياض الصالحين للتووى ص ٨٦ و ٥٣٤ و ٥٤٠ و الجامع الصغير ج ٢ ص ٧٢٩ و كنز العمال ج ٤ ص ٢٩١ و ٣٦١ و فيض القدير ج ٦ ص ٥٠٤ و كشف الخفاء ج ٢ ص ٣٤٩ و ٣٥٩ و إرواء الغليل ج ٥ ص ٧ و تفسير الثورى ص ١١٩ و عن تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٤١٧ و ج ٢ ص ٣٢٨ و الجامع لأحكام القرآن ج ٣ ص ٢٣٣ و ٢٤٥ و عن الدر المنثور ج ٣ ص ١٨٩ و تفسير الشعابى ج ١ ص ٤٨٩ و سير أعلام النبلاء ج ٦ ص ٧ و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٣٨٣ و ج ٥ ص ١٢٠ و ج ٩ ص ١١٤.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٧٢
من رسول الله «صلى الله عليه و آله»!

ثانياً: إنه قد جرب حظه مرتين، ومع هذا العدو بالذات، ولم يتغير شيء بين الأمس واليوم.
ب: وإن كان قد تمنى و تطاول إلى الحصول على الإمارة، لما دلت عليه من محبة الله و رسوله، و حصول الفتح، فهو أعجب، و أ عجب. فإن كل الناس يعرفون - و عمر بن الخطاب منهم - أن في جهاد العدو رضا الله و رسوله.
و أن محبة الله و رسوله لا تناول إلا بالعمل الصالح، و الطاعة و الانقياد في الحرب و السلام، و السراء و الضراء، و هو عارف بنفسه إن كان قد أطاع الله و رسوله، و لم ينادي نداء الواجب في جهاد العدو أبداً لم يقدم بذلك. الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى ج ١٧ ٢٧٢ سعادتهم برمد على عليه السلام: ص : ٢٧٢ لقد أظهرت النصوص المختلفة: أن قريشاً و المتأثرين بمنهجها، و التابعين لها، كانوا سعداء بابتعاد على «عليه السلام» عن الساحة، و لعلهم ظنوا: أن كل الدور سيكون لهم، و أن الانتصارات و الإنجازات ستتحقق على أيديهم، و أن جميع الأوسمة، ستكون من نصيبهم ..

و هذا أول الغيث، فإنه «صلى الله عليه و آله» يعلن عن وسام جديد و هو: أنه سيعطي الراية رجالاً يحب الله و رسوله و يحبه الله و رسوله، كرار غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله عليه ..

وفي جميع الأحوال نقول:

إنه بعد أن قال رسول الله «صلى الله عليه و آله»: لأعطي الراية غداً الخ .. غدت قريش يقول بعضهم لبعض:
الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٧٣:
«أما على فقد كفيتموه، فإنه أرمدا لا يضر موضع قدمه» «١».

غير أن علياً «عليه السلام» لما سمع مقالة رسول الله «صلى الله عليه و آله» قال: «اللهم لا معطي لما منعت، و لا مانع لما أعطيت». و ربما يكون قد دار في خلدهم: أن هذه الأوسمة تعطى جزافاً، و أن وجود على «عليه السلام» بينهم كان هو العائق لهم عن نيلها .. و أن فرارهم السابق لا يضر، فعلل الجيش الذي سوف يقودونه سيجد الفرصة لتحقيق النصر أو لعل بعضهم قد ظن أن هذا الفتح - الذي وعدهم رسول الله «صلى الله عليه و آله» - سيكون سهلاً، لأنه وعد تضمن الإشارة إلى التدخل الإلهي الذي يأتي بالفتح، فلا تعب ولا نصب، بل هي معجزة يظهرها الله تعالى، و ينتهي الأمر .. و هم أهل لأن يظهر الله سبحانه المعجزات لمصلحتهم و من أجلهم ..

و هذا سوف يعوضهم عن النكسة التي مني بها أحبابهم، الذين هربوا بالراية أكثر من مرة في هذه الحرب.

و لعل فيهم أيضاً من احتمل أن يكون لغضب رسول الله «صلى الله عليه و آله» تأثير على روحيات المقاتلين، الذين سوف يهاجمون الحصن بقوة و اندفاع، يوفر على حاملى الراية جهداً، و يحقق لهم نصراً على أيدي غيرهم، و يظهر لهم فضلاً يكون لهم بمثابة الغنيمة الباردة التي يحمل بها الضعفاء، و الفرارون عادة ..

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٢٧٤

يضاف إلى ذلك: أن نفس هذا التصدى، واستعراض العضلات، ربما يسهم في تبرئة القادة الذين فروا، و كان أصحابهم يجبنونهم، و يجعل التهمة بالجبن والفرار موجهة لغيرهم، أكثر مما هي موجهة إليهم.

و الأهم من ذلك كله: أن أى رجل يأخذ الرأي لسوف يكون له كل الفضل على الذين هربوا حتى لو كان هو واحداً منهم، و لا سيما بعد غضب الرسول «صلى الله عليه و آله»، واستيائه، و بعد ما قاله في حقهم تصريحاً تارة، و تلوياً أخرى.

كلهم يرجو أن يغطاه:

و لا ندرى كيف يرجو أولئك الذين فروا بالرأي، مرأة بعد أخرى و ربما أكثر من ثلاثة مرات، أن يعطىهم رسول الله «صلى الله عليه و آله» الرأي مرة رابعة، أو خامسة؟!

فهل هم يحسبون أن النبي «صلى الله عليه و آله» لا يملك موازين صحيحة؟
أم يظلون أنه شديد النسيان إلى هذا الحد؟

أم أنه يخضع لتأثيرات الهوى، والميول، والعصبيات؟!
أم أنهم هم أنفسهم قد خولطوا في عقولهم؟!

أم أنهم يظلون أن الرسول سوف يخصهم بمعجزة إلهية، يستطيع هو أن يختار لها من أحب؟!
ثم إن رسول الله «صلى الله عليه و آله»، هو الذي يقول: لا يلدغ المؤمن

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٢٧٥

من جحر مرتين «١»، فكيف يتوقع منه أبو بكر و عمر أن يعطياهما الرأي، و هما

(١) راجع: مجمع الزوائد ج ٨ ص ٩٠ و مسنن ابن راهويه ج ١ ص ٣٩٥ و الأدب المفرد ص ٢٧٢ و منتخب مسنن عبد بن حميد ص ٢٤٠ و الديبايج على مسلم ج ٦ ص ٢٩٩ و عن فتح الباري ج ١٠ ص ٤٤٠ و صحيح ابن حبان ج ٢ ص ٤٣٨ و المعجم الكبير ج ٢ ص ٢٢٢ و ج ١٧ ص ٢٠ و المعجم الأوسط ج ٧ ص ٣٤ و ٨٣ و ج ١ ص ٣١ و مسنن الشاميين ج ١ ص ١٦١ و معرفة علوم الحديث ص ١٤٧ و مسنن الشهاب ج ٢ ص ٣٤ و رياض الصالحين ص ٧١١ و عن الجامع الصغير ج ٢ ص ٧٥٨ و عن كنز العمال ج ١ ص ١٦٦ و فيض القدير ج ٦ ص ٥٨٨ و الفتوح لابن أثيم ج ٣ ص ٥٧ و سبل السلام للعسقلاني ج ٤ ص ٥٥ و مشكاة الأنوار للطبرسي ص ٥٥١ و الصراط المستقيم ج ١ ص ١١٤ و عن بحار الأنوار ج ١١٠ ص ١٠ و عن مسنن أحمد ج ٢ ص ١١٥ و سنن الدارمي ج ٢ ص ٣١٩ و عن البخاري ج ٧ ص ١٠٣ و عن مسلم ج ٨ ص ٢٢٧ و عن سنن أبي داود ج ٢ ص ٤٤٨ و سنن ابن ماجة ج ٢ ص ١٣١٨ و السنن الكبرى للبيهقي ج ٦ ص ٣٢٠ و شرح النووي على صحيح مسلم ج ١٨ ص ١١٤ و سبل الهدى و الرشاد ج ٢ ص ٩٧ و قصص الأنبياء للجزائرى ص ٢٠٧ و كشف الخفاء ج ٢ ص ١٨٥ و ٣٧٤ و الأحكام لابن حزم ج ٧ ص ٩٦٨ و الضعفاء الكبير للعقيلي ج ١ ص ٧٤ و المجردون لابن حبان ج ١ ص ٤٠ و الكامل لابن عدى ج ٣ ص ٣٣١ و ٤٤٤ و ج ٤ ص ٦٥ و العلل للدارقطنى ج ٩ ص ١٠٩ و ١١١ و تاريخ بغداد ج ٥ ص ٤٢٧ و تاريخ مدينة دمشق ج ٥٥ ص ٣٧٢ و سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٣٤٠ و الذريعة ج ٢٥ ص ٥١ و تاريخ جرجان ص ٣١٤ و البداية و النهاية ج ٣ ص ٣٨١ و ج ٤ ص ٥٣ و تنزيه الأنبياء ص ١١٠ و نهج الإيمان لابن حجر ص ٥٤ و ٦١٨ و الشفاء لعياض ج ١ ص ٨٠ و السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٤٨٦ و ج ٣ ص ٩٢ و عن عيون الأثر ج ١ ص ٤٠١

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٢٧٦

لا يكادان يتقطنان أنفاسهما من عناء الهروب، الذى يريد النبي «صلى الله عليه و آله» أن يعالج سلبياته و آثاره؟.. و كيف يتطاولان لها، و هما السبب فى اتخاذ النبي «صلى الله عليه و آله» هذا القرار الحاسم، و هو أن يعطى الرأي لقرار غير فرار؟!.

حتى قريش:

و الأغرب من ذلك أن يصرح المؤرخون: بأن قريشاً هى التى تطاولت لهذا الأمر، و رجا كل واحد منهم أن يكون هو صاحب الرأي، فما هو المبرر لهذا الطموح القبائلى القرشى؟!.. و متى كانت قريش - بما هي قبيلة - مهتمة بأمر الجهاد و التضحية و العطاء؟! فإننا لا ننكر: أن بعض أفرادها قد جاهد و ضحى، و لكنهم لم يكونوا أفضل من غيرهم في ذلك .. أم يظنون: أن يغلب الحسن العشارى على رسول الله «صلى الله عليه و آله»، فيخص عشيرته بالامتيازات، و لو لم تكون مستحقة لها؟!

لماذا الإعلان المسبق؟؟!

و قد لوحظ هنا أيضاً: أنه «صلى الله عليه و آله» قد وعد الناس بأن يعطي الرأي في اليوم التالي لرجل ذكره لهم بوصفه دون اسمه .. مع أنه كان يمكنه «صلى الله عليه و آله»: أن يسكت في ذلك اليوم، ثم يطلب في اليوم التالي حضور على «عليه السلام»، فيعطيه الرأي، و يمكن أن يطلق عليه تلك الأوصاف في ساعة إرساله «عليه السلام» للقتال .. و لكنه «صلى الله عليه و آله» أراد للناس أن يفكروا في هذا الأمر، و أن

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٧٧:

يطبقوه على هذا تارء، و على ذاك أخرى .. و أن يتمناها الفaraohون، و أن تشرئب إليها الأعناق، في الوقت الذي كان لا يمر في خيال الجميع أوفى و همهم حتى احتمال أن يكون المقصود هو على «عليه السلام» لأن الجميع يعرفون أنه «عليه السلام» يعني من الرمد ما يعني .. و لذلك لم يعطه رسول الله «صلى الله عليه و آله» الرأي في أيام رمده، حتى أظهر الله تعالى ضعف و خور أولئك القوم، و عرف الناس حقيتهم، و أنهم لم يكونوا أهلاً لما يؤملونه، و ليسوا في المواضع التي يضعون أنفسهم فيها.

و قد استقرت كلمات النبي «صلى الله عليه و آله»- في وصف صاحب الرأي- في أنفسهم، و طبقوها على الكثرين منهم، و استمرت الاحتمالات و المقارنات بين الأوصاف و بين ما ظهر من صفات المدعين للمقامات طيلة تلك الليلة .. حتى تبين لهم في اليوم التالي خطؤهم جميعاً في حساباتهم، و أن أحداً من الناس الذين فكروا فيهم لا يملك تلك الصفات.

و لو أنه «صلى الله عليه و آله» أجل إطلاق كلماته تلك لل يوم التالي فلربما لا يفكر أحد بتلك الصفات، و لا يقوم بأية مقارنة تطبيقية، بل قد يظن الكثيرون أنها مجرد مداعح طارئة، و أوسمة يطلقها الرئيس على القادة عادة، لتشجيع فرسانهم، و شحذ عزائمهم، و قد لا تكون فضفاضة على أصحابها في مجال التطبيق.

التدخل الإلهي:

و قد أظهرت النصوص المتقدمة: أنه حين ظهر إحجام هؤلاء الناس عن القيام بواجبهم الشرعي في دفع العدو، تدخل الله تعالى لحفظ دينه

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٧٨:

بصورة إعجازية، و ذلك بشفاء على «عليه السلام» من دون أن يؤثر ذلك على خيار و اختيار أعدائه تعالى، أى أنه تعالى لم يحل

بينهم وبين ما يريدون، ولم يشل حركتهم، ولم يمنعهم من ممارسة حقهم الطبيعي، فليس لهم أن يشعروا بأنهم قد ظلموا في ذلك .. كما أنه لم يقهر المسلمين ولا عليا «عليه السلام» على التصدي للحرب، بل اكتفى بإزالة الموانع من طريق على «عليه السلام» بشفاء عينيه، وأفسح المجال له لكي يختار، بعد أن أساء الآخرون الاختيار، فاختاروا الحياة الدنيا، وأنفسهم، وأظهروا: أن أنفسهم أحب إليهم من الله ورسوله ..

النبي صلى الله عليه وآله يصنع المعجزة:

وشفاء عيني على «عليه السلام» وإن كان معجزة صنعها رسول الله «صلى الله عليه وآله» لهم، ولكنها لم تكن المعجزة التي يتوقف عليها إقناع الناس بالنبوة. لأن معجزة النبوة هي القرآن الكريم.

وقد كان الناس مقتنين بنبوته «صلى الله عليه وآله»، بالاستناد إليها، أو إلى غيرها من موجبات ذلك .. كما أن هذا الشفاء لم يأت ابتداء من الله تعالى ليظهر سبحانه فضل النبي «صلى الله عليه وآله»، أو على «عليه السلام». بل هو أمر تعمد رسول الله «صلى الله عليه وآله» نفسه أن يفعله. وقد اختاره، وقصد إلى إيجاده بعد أن لم يكن، مما يعني: أنه «صلى الله عليه وآله» عارف به، ومحظوظ له، واثق بالنتيجة قبل حصولها .. وعارف بأنه يملك القدرة على فعله، من خلال ما خوله الله تعالى إليه ..

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٢٧٩

وهذا يشير إلى: أنه «صلى الله عليه وآله» يملّك قدرات تمكّنه من التأثير التكويني في أمور واقعية ومادية خارجية، من دون استخدام الوسائل المعتادة. بل من خلال هذه القدرات التي يملّكها، وأن القضية ليست مجرد دعاء، قد استجابه الله تعالى له. وهذا يفسر ما روى من أنه «صلى الله عليه وآله» قد تفل في عيني على «عليه السلام»، وبزق في إليه يده، فذلك بها عينيه، أو نحو ذلك.

ولابد من التوقف والتأمل في حقيقة أنه «صلى الله عليه وآله» لم يكتف بالدعاء والطلب إلى الله تعالى أن يشفيه، بل قرن ذلك بممارسة عملية تؤكد:

أنه يريد أن ينجذب عملاً يقع تحت قدراته وباختياره.

متى رمدت عيناً على عليه السلام؟

وأما حديث: أن عليا «عليه السلام» قد تخلف عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وبقى في المدينة، فلما سار «صلى الله عليه وآله» إلى خير، قال على: لا، أنا أتخلف؟!

فلحق برسول الله «صلى الله عليه وآله». فلا يصح؛ وذلك لما يلي:

أولاً: إذا كان على «عليه السلام» يعني من رمد في عينيه، حتى إنه لم يكن يبصر، فإنه كان غير قادر على السير إلا بقائد يقوده، و مدبر يدبره، فإلى من أوكلت هذه المهمة يا ترى في كل هذه المدة الطويلة؟! فإن كان قائده هو سلمة بن الأكوع. فإن الرواية قد صرحت: بأنه جاء به يقوده إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، في قضية قتل مرحبا فقط ..

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٢٨٠

فكيف جاء من المدينة؟! وكيف كان ينتقل من حصن إلى حصن، ومن مكان إلى مكان لقضاء حوائجه؟! وبعد .. فإن تخلف على «عليه السلام» في المدينة لا بد أن يكون بإذن من رسول الله «صلى الله عليه وآله» .. كما أن مسيرة لا بد أن يكون بإذن منه، فهل استاذن «عليه السلام» في الخروج من المدينة؟ أم أنه فعل ذلك من عند نفسه؟ و إذا كان قد خرج بإذنه «صلى

الله عليه و آله» و بعلمه، فلماذا لم يخرجه معه، فإن حاله لم يختلف؟ و إن كان قد أذن له بالخروج، فكيف أذن له و هو بهذه الحال؟ و كيف؟ و كيف؟

ثانياً: إنهم يقولون: إن سبب رمد عيني على «عليه السلام» هو دخان الحصن الخيرى نفسه، و ليس شيئاً آخر عرض له في المدينة، فراجع «١». فإذا صح هذا، فلا يكون ثمة مبرر لبقاءه في المدينة، كما زعموا.

ثالثاً: صرحت الروايات المتقدمة: بأن النبي «صلى الله عليه و آله» قد أعطى اللواء في غزوة خيبر إلى على بن أبي طالب «عليه السلام» .^٢

و قد أعطاه إياه في أول حصن ورد عليه، و باشر معه القتال فيه، و هو حصن ناعم، و قد هاجم هو نفسه ذلك الحصن بالذات، فقتل معه «عليه السلام» ^٣ عبد يهودي اسمه ياسر، و كان قد أسلم آنذا.

(١) راجع: مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٣ و المسترشد للطبرى ص ٢٩٩ و راجع: كنز العمال ج ١٠ ص ٩٢.

(٢) راجع: دلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ٤٨ و المطالب العالية ح ٤٢٠٢ و المغازى للواقدى ج ١ ص ٤٠٧ و ج ٢ ص ٦٤٩ و السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٥.

(٣) راجع على سبيل المثال: المغازى للواقدى ج ٢ ص ٦٤٩.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٨١: فكيف يعطيه اللواء، و هو لا يبصر طريقه؟!

رابعاً: قال المفيد: «كانت الرأيَّة يومئذ لأمير المؤمنين «عليه السلام»، فلحقه رمد أعجزه عن الحرب» .^١.
أى إن هذا الرمد قد عرض له بعد أن تسلم الرأيَّة ..

خامساً: إن الرواية نفسها تدل على أن رمد عيني على «عليه السلام» قد كان طارئاً في تلك الفترة، و أنه لم يدم برهة، بحيث يصل خبر ذلك إلى النبي «صلى الله عليه و آله».

فقد ذكرت الرواية: أنه في يوم قتل مرحباً: أصبح رسول الله «صلى الله عليه و آله» فصلى الغداة، ثم دعا باللواء، و وعظ الناس، فقال:

أين على؟

قالوا: يشتكي عينيه.

قال: فأرسلوا إليه ..

فلما جيء به قال له النبي «صلى الله عليه و آله»: ما لك؟!

قال: رمدت، حتى لا أبصر ما قدامي.

فظاهر السياق يعطى: أن الناس كانوا يرون: أن رسول الله «صلى الله عليه و آله» لم يكن على علم بأمر الرمد، فأخبروه به.
و سؤال النبي «صلى الله عليه و آله» لعلى «عليه السلام»: ما لك؟

و جواب على «عليه السلام» له يقطع كل عذر، و يزيل كل شبهة في ذلك.

ولو كان على «عليه السلام» غائباً عن ساحة القتال كل هذه الأيام، لعلم بذلك رسول الله «صلى الله عليه و آله»، لا سيما و أنه هو الذي يعتمد

(١) راجع: الإرشاد ج ١ ص ١٢٦.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٨٢.

عليه في حروبها، و هو القريب منه، و الذي يواصل الاتصال به، و التفقد له، و هو حامل لواءه، و قائد جيشه ..

على عليه السلام فاجأهم:

وفي البخارى و غيره: أن علياً «عليه السلام» رممت عيناه في المدينة، فلما خرج رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» لحق به، فوصل في لحظة إعطاء الرأي.

ففاجأ حضور على «عليه السلام» الناس، لأنهم كانوا لا يرجون حضوره، حتى إنهم حين رأوه قالوا بعفوئه: هذا على.. و نقول:

قد ذكرنا فيما تقدم: أن رمد عيني على «عليه السلام» إنما حصل في أواخر أيام الحصار، بل لقد صرحت بعض الروايات: أن الرمد إنما أصابه بسبب دخان الحصن ..

و أما الحديث الدال على أنهم فوجئوا بحضور على «عليه السلام»، فقد يكون بعضه صحيحًا إذا كان أكثر الناس لم يلتفتوا، أو لم يسمعوا كلام النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، حين سأله عن على «عليه السلام»، فتصدى عمر بن ياسر، أو سلمة بن الأكوع لإخباره أو إحضاره. فلما جاء به فوجئوا بحضوره.

أما إن كان المقصود: أنهم كانوا يعتقدون أن رمده قد منعه من الخروج مع رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» من المدينة إلى خير، ثم لحق به ..

فقد تقدم: أنه لم يفارق رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» منذ خروجه من المدينة، حسبما أوضحته..
الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٢٨٣

لباس على عليه السلام في الحر والبرد:

و رووا عن على «عليه السلام» أنه قال: إن رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» بعث إلى و أنا أرمد العين يوم خير، فقلت: يا رسول الله، إنني أرمد!!

فتغل في عيني، فقال: اللهم أذهب عنه الحر والبرد، فما وجدت حرًا ولا بردًا منذ يومئذ.

و ذكروا: أنه «عليه السلام» كان يلبس في الحر الشديد القباء المحسو الشinin. و يلبس في البرد الشديد الثوبين الخفيفين «١». و نقول:

أولاً: قد ذكروا: أن رجلاً دخل على على «عليه السلام» و هو يرعد

(١) مسندي أحمد ج ١ ص ٩٩ و السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٦ و سنن ابن ماجة (ط المكتبة التازية بمصر) ج ١ ص ٥٦ و الخصائص للنسائي (ط مكتبة التقدم بمصر) ص ٥ و العقد الفريد (ط مكتبة الجمالية بمصر) ج ٣ ص ٩٤ و كفاية الطالب (ط الغري) ص ١٣٠ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٩ و مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٢ و تذكرة الخواص ص ٢٥ و الرياض النبرة (ط محمد أمين بمصر) ج ٢ و ص ١٨٨ و الخصائص الكبرى ج ١ ص ٢٥٢ و ٢٥٣ و البحار ج ٢١ ص ٤ و ٢٠ و ٢٩ عن الخرايم و الجرايم، وعن الخصال ج ٢ و عن دلائل النبوة للبيهقي و الميزان (تفسير) ج ١٨ ص ٢٩٦ و تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ١٠٦ و سبل الهدى و الرشاد ج ١٠ ص ٢١٤ و كنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج ١٣ ص ١٢١ عن ابن حجر، و البزار، و أحمد، و ابن أبي شيبة، و الطيالسي، و المستدرك، و البيهقي، و غيرهم و المصنف لابن أبي شيبة ج ٧ ص ٤٩٧ و مناقب أمير المؤمنين ج ٢ ص ٨٨ و ٨٩ و مجمع البيان (ط سنة ١٤٢١ هـ)

ج ٩ ص ١٥٥.

الصحيح من السيرة النبوية، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٢٨٤:

تحت سمل قطيفة، (أى قطيفة خلقة) فقال: يا أمير المؤمنين، إن الله جعل لك في هذا المال نصيباً، وأنت تصنع بنفسك هكذا. فقال: لا أرزوكم من مالكم شيئاً، وإنها لقطيفتي التي خرجت بها من المدينة «١».

قال الحلبی: «قد يقال: لا مخالفه، لأنه يجوز أن تكون رعدته رضى الله عنه ليست من البرد، خلاف ما ظنه السائل، لجواز أن تكون لحمي أصابته في ذلك الوقت» «٢».

ويرد عليه:

أن هذا تأويل بارد، ورأى كاسد، بل فاسد؛ فإن ظاهر الكلام: أن رعدته قد كانت بسبب رقة ما يلبسه، وهو قطيفة خلقة (أى بالية)، وأنه لو استفاد من نصيبيه من المال، ولبس ما يدفع هذا البرد لم يكن ملوماً. فما يجري له كان هو السبب فيه، وهو الذي أورده على نفسه .. وقد أصر «عليه السلام» على عدم المساس بالمال الذي تحت يده.

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٦ و حلية الأبرار ج ٢ ص ٢٤٦ و تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٤٧٧ و عن ينابيع المودة ج ٢ ص ١٩٥ و البحار ج ٤٠ ص ٣٣٤ والتذكرة الحمدونية (ط بيروت) ص ٦٩ و مختصر حياة الصحابة (ط دار الإيمان) ص ٢٥٣ والأموال (ط دار الكتب العلمية) ص ٢٨٤ و قمع الحرث بالزهد والقناعة ص ٧٩ و صفة الصفوية (ط حيدر آباد الدکن) ج ١ ص ١٢٢ و حلية الأولياء ج ١ ص ٨٢ وإحقاق الحق (الملاحقات) ج ٨ ص ٢٩٥ و جواهر المطالب لابن الدمشقي ج ١ ص ٢٨٤ و كشف الغمة للأربلي ج ١ ص ١٧٣.

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٦.

الصحيح من السيرة النبوية، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٢٨٥:

ولعلهم أرادوا في جملة ما أرادوه من هذا الحديث: أن يشککوا الناس بزهده «عليه السلام» في ملبيه، وأن يقولوا لهم: إن ذلك بسبب عدم شعوره بحر ولا برد.

ثانياً: إننا لا نجد أى ارتباط بين شكوى على «عليه السلام» من الرمد، وبين الدعاء المنسوب للنبي «صلى الله عليه وآله» وهو: اللهم أذهب عنه الحر والبرد. فإنه «عليه السلام» لم يكن يشکک من حر ولا برد.

بل كانت شكواه من رمد عينيه، فهل هذا إلا من قبيل أن تقول للإنسان: إنني عطشان، فيقول لك: نم على السرير؟!

ثالثاً: حتى لو كان قد دعا له بإذهاب البرد والحر عنه .. فإنه لا يجب استمرار أثر ذلك حتى الممات، بل يكفي أن لا يشعر بالبرد والحر في ذلك اليوم، أو في أيام خير مثلاً.

ويدل على ذلك: أنهم قد رروا عن بلال، قوله: أذنت في غداء باردة فخرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» فلم ير في المسجد أحداً، فقال: أين الناس يا بلال؟!

قال: منعهم البرد.

فقال: اللهم أذهب عنهم البرد.

قال بلال: فرأيتهم يترونون «١».

(١) سبل الهدى والرشاد ج ١٠ ص ٢١٤ عن البيهقي، وأبي نعيم، والطبراني وجمع الزوائد للهيثمي ج ١ ص ٣١٨ والكامل لابن عدى ج ١ ص ٣٤٦ والمواضيعات لابن الجوزي ج ٢ ص ٩٣ وأسد الغابة ج ١ ص ٢٠٩ و ميزان الإعتدال ج ١ ص ٢٨٩ ولسان

الميزان لابن حجر ج ١ ص ٤٨٢ و البداية والنهاية ج ٦ ص ١٨٥.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٨٦:

فلمادا لم يستمر ذهاب البرد عنهم إلى أن خرجو من الدنيا؟ كما يزعمونه بالنسبة لعلى «عليه السلام»؟!

أم أن هذه هي القصة الواقعية، وقد استفيد منها في قصة خير، لحاجة في أنفسهم؟!

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٨٧:

الفصل الثالث:

قتل مرحباً .. أحداث وتفاصيل

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٨٩:

علوته و الذي أنزل التوراة:

و عن قول اليهودي لما سمع باسم على «عليه السلام»: علوتهم، و الذى أنزل التوراة على موسى، نقول: إن أبي نعيم قال: «فيه دلالة على أن فتح على لحضرتهم مقدم فى كتبهم، بتوجيه من الله وجهه إليهم، و يكون فتح الله تعالى على يديه». و هى التفاتة جليلة من أبي نعيم، و يؤيدتها:

أولاً: ما روى من أنه «صلى الله عليه و آله» قد قال لعلى «عليه السلام»:

خذ الراية، و امض بها فجبرئيل معك، و النصر أمامك، و الرعب مثبت في قلوب القوم ..

و اعلم يا على، أنهم يجدون في كتابهم: أن الذى يدمر عليهم اسمه (إيليا)، فإذا لقيتهم فقل: أنا على. فإنهم يدخلون إن شاء الله تعالى الخ .. ١.

ثانياً: إن مرحباً نفسه قد هرب لما سمع باسم على «عليه السلام»، و كانت ظهره قد أخبرته: بأن اسم قاتله حيدره.

(١) البحار ج ٢١ ص ١٥ عن الإرشاد للمفید ج ١ ص ١٢٦ و راجع: كتاب الأربعين للماحوزي ص ٢٩٥ و كشف الغمة للإربلي ج ١ ص ٢١٣.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٩٠:

و قد زعموا: أنها قالت له ذلك: لأنها كانت تتعاطى الكهانة.

والجواب: إن كونها تتعاطى الكهانة لا يعطيها القدرة على معرفة الغيب الإلهي، فإنه تعالى وحده عالم الغيب فلا يُظْهِرُ على غَيْرِه أحداً، إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ .. ١.

ويشهد لذلك: أنها وجدنا في جملة الأقوال حول تسمية على «عليه السلام» بحيدره: أن اسمه في الكتب المتقدمة أسد، و الأسد هو الحيدره ..

و سيأتي بعض الحديث عن ذلك، تحت عنوان: «من سمي علياً «عليه السلام» بحيدره» إن شاء الله تعالى.

و لعل هناك من يريد اعتبار قول اليهودي: علوتم (أو غلبتم) و الذى أنزل التوراة على موسى، قد جاء على سبيل التفوق بالاسم .. و نحن و إن كنا لا نصر على بطلان هذا الاحتمال، باعتبار أن الذين يشتد تعقهم بالدنيا يتسبّبون ولو بالططلب، و يخافون حتى من هبوب الرياح، و يتشاءمون و يتغافلون بالخيالات والأشباح ..

غير أتنا نقول:

إنه مع وجود الشواهد والمؤيدات لما ذكره أبو نعيم، لا يبقى مجال لترجح الاحتمال الآخر ..
ونزيد هنا: أن ما أكد لهم صحة ما ورد في كتبهم، هو ما تناهى إلى مسامعهم من مواقف على «عليه السلام» التي تظهر أنه أهل لما
أهله الله تعالى له، كما دلت عليه معالي أمره في الموضع المختلفة في الحرب، وفي

(١) الآيات ٢٦ و ٢٧ من سورة الجن.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٢٩١

السلم على حد سواء، ومن ذلك مبيته «عليه السلام» على فراش النبي «صلی الله علیه و آله» ليلة الهجرة، وجهاده في بدر، وأحد، و
الخندق، وقريظة، والنضير، و .. و .. الخ ..

قتل على عليه السلام مرجبا و الفرسان الثمانية:

قالوا: ثم خرج أهل الحصن إلى ساحة القتال .. أما رسول الله «صلی الله علیه و آله»، فإنه لما أصبح أرسل إلى على «عليه السلام» و هو
أرمد، فتغلب في عينيه. قال على «عليه السلام»: فما رممت حتى الساعة. و دعا له، و من معه من أصحابه بالنصر.
فكان أول من خرج إليهم الحارث أبو زينب، أخو مرب حب في عاديه (أى من يعودون للقتال على أرجلهم)- قال الحلبی: و كان معروفا
بالشجاعة- فانكشف المسلمون، و ثبت على «عليه السلام»، فاضطربا ضربات، فقتله على «عليه السلام».
و رجع أصحاب الحارث إلى الحصن، و أغلقوا عليهم، و رجع المسلمون إلى موضعهم ..

و خرج مرب حب و هو يقول:

قد علمت خيراً أني مرب حب ...

فحمل عليه على «عليه السلام» فقتله (أى القاه على أحد قطريه، أى جانبيه) على الباب، و فتح الباب، و كان للحصن بابان «١».

(١) المغازى للواقدى ج ٢ ص ٦٥٣ و ٦٥٤ و راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٤.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٢٩٢

و رجع أصحاب الحارث إلى الحصن، و برق عامر، و كان رجلا جسima طويلا، فقال رسول الله «صلی الله علیه و آله» حين برق و طلع
عامر: «أترون خمسة أذرع؟» و هو يدعu إلى البراز.
فخرج إليه على بن أبي طالب «عليه السلام»، فضربه ضربات، كل ذلك لا يصنع شيئا، حتى ضرب ساقيه فبرك، ثم ذُفَّ عليه، و أخذ
سلاحه.

قال ابن إسحاق: ثم برق ياسر و هو يقول:

قد علمت خيراً أني ياسرشاكى السلاح بطل مغaur

إذا الليوث أقبلت تبادر و أحجمت عن صولة المسaur

إن حسامي فيه موت حاضر

قال محمد بن عمر: و كان من أشدائهم، و كان معه حرية يحس الناس بها حوسا.
فبرز له على بن أبي طالب، فقال له الزبير بن العوام: أقسمت إلا خليت بيني وبينه، فعل.
فقالت صفية لما خرج إلى الزبير: يا رسول الله، يقتل ابنى؟

فقال رسول الله «صلى الله عليه و آله»: «بل ابنك يقتله، إن شاء الله»، فخرج إليه الزبير و هو يقول:
قد علمت خير أنى زبارقون لقرم غير نكس فرار
ابن حمأة المجد، ابن الأخيار ياسر لا يغرك جمع الكفار
فجمعهم مثل السراب الخثار
ثم التقى فقتله الزبير.

الصحيح من السيرة النبوية الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٩٣
قال ابن إسحاق: و ذكر أن عليا هو الذى قتل ياسرا.

قال محمد بن عمر: و قال رسول الله «صلى الله عليه و آله» للزبير لما قتل ياسرا: فداك عم و خال.
ثم قال: «لكل نبى حوارى، و حوارى الزبير و ابن عمته» (١).

وفى حديث سلمة بن الأكوع عند مسلم، و البهقى: أن مرحا خرج و هو يخطر بسيفه.

وفى حديث ابن بريدة، عن أبيه: خرج مرحبا و عليه مغفر معصفر يمانى، و حجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه، و هو يرتجز و يقول:
قد علمت خير أنى مرحبا شاكى السلاح بطل مجريب
إذا الليوث أقبلت تلهب

قال سلمة: فبرز له عامر (أى عامر بن الأكوع) و هو يقول:

قد علمت خير أنى عامر شاكى السلاح بطل مغامر قال: فاختلفا ضربتين، فوقع سيف مرحبا فى ترس عامر، فذهب عامر يسفل له، و
كان سيفه فيه قصر، فرجع سيفه على نفسه، فقطع أكحله، و فى رواية: أصاب عين ركبته، و كانت فيها نفسه.

قال بريدة: فبرز مرحبا و هو يقول:

قد علمت خير أنى مرحبا شاكى السلاح بطل مجريب
إذا الليوث أقبلت تلهب و أحجمت عن صولة المغلب

(١) راجع: المغازى للواقدى ج ٢ ص ٦٥٧ و سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١٢٥ و ١٢٦ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٥١.

الصحيح من السيرة النبوية الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٩٤

فبرز له على بن أبي طالب «عليه السلام»، و عليه جبهة أرجوان حمراء قد أخرج حملها، و هو يقول:
أنا الذى سمتني أمى حيدرة كليث غابات كريه المنظرة
أو فيهم بالصاع كيل السندرة

فضرب مرحبا فقلق رأسه، و كان الفتح (١).

وفى نص آخر: أن عليا «عليه السلام» أجاب مرحبا بقوله:
أنا الذى سمتني أمى حيدرة كليث غابات كريه المنظرة
عبد الذراعين شديد القصورة أضرب بالسيف وجوه الكفرة

ضرب غلام ماجد حزوراً أكيلكم بالسيف كيل السندرة (٢) و فى حديث بريدة، فاختلغا ضربتين، فبدره على «عليه السلام» بضربة
(بذرى الفقار) فقد الحجر، و المغفر، و رأسه، وقع فى الأرض، و أخذ المدينة.
وفى نص آخر: سمع أهل العسكر صوت ضربته. و قام الناس مع على

(١) صحيح مسلم ج ٥ ص ١٩٥ و مسند أحمد ج ٥ ص ٣٣٣ و ٣٥١ و المستدرك للحاكم ج ٣ ص ٣٨ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٣ ص ٣٠ و مناقب على بن أبي طالب لابن المغازى (ط المكتبة الإسلامية بطهران) ص ١٧٦ و لباب التأويل ج ٤ ص ١٨٢ و ١٨٣ و الرياض النصرة (ط محمد أمين بمصر) ج ١ ص ١٨٥ و ١٨٧ و البداية والنهاية ج ٤ ص ١٨٥ فما بعدها و معالم التنزيل (ط مصر) ج ٤ ص ١٥٦ و حياة الحيوان ج ١ ص ٢٣٧ و طبقات ابن سعد (مطبعة الثقافة الإسلامية) ج ٣ ص ١٥٧ و ينابيع المودة (ط بمبي) ص ٤١ و المغازى للواقدى ج ٢ ص ٦٥٧.

(٢) تذكرة الخواص ص ٢٦.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٩٥
حتى أخذ المدينة «١».

و في نص آخر: ضربه على هامته حتى عض السيف منها بأضراسه، و سمع أهل العسكر صوت ضربته.
قال: و ما تناهى آخر الناس مع على «عليه السلام» حتى فتح لأولهم «٢».
وفي نص آخر: «فخرج يهرون هرولة، فو الله ما بلغت أخراهم حتى دخل الحصن.
قال جابر: فأعجلنا أن نلبس أسلحتنا.
و صاح سعد: اربع يلحق بك الناس.
فأقبل حتى ركزها قريبا من الحصن الخ ..» «٣».

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٢٦ و ١٢٥ و راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٢ و ٣٧ و ٣٨ و مسند أحمد ج ٥ ص ٣٥٨ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٣ ص ٣٠ و البداية والنهاية ج ٤ ص ١٨٥ فما بعدها، و لباب التأويل ج ٤ ص ١٨٢ و ١٨٣ و معارج النبوة ص ٢١٩ و الإصابة ج ٢ ص ٥٠٢ و الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٢٠ و المستدرك للحاكم ج ٣ ص ٤٣٧ و معالم التنزيل ج ٤ ص ١٥٦ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٥٠ و راجع بعض ما تقدم في: إمتاع الأسماع ص ٣١٥ و ٣١٦.

(٢) مسند أحمد ج ٥ ص ٣٥٨ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٣ ص ٣٠ و المستدرك للحاكم ج ٣ ص ٤٣٧ و راجع: العمدة لابن البطريق ص ١٤١ و مجمع الزوائد ج ٦ ص ١٥ و السنن الكبرى ج ٥ ص ١١٠ و ١٧٨ و تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٩٥ و عن الإصابة ج ٤ ص ٤٦٦ و عن تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٣٠٠ و فضائل الصحابة لابن حنبل ج ٢ ص ٦٠٤.

(٣) البحار ج ٢١ ص ٢٢ عن إعلام الورى ج ١ ص ٢٠٨ و في هامشه قال: انظر الإرشاد للمفید ج ١ ص ١٢٥ و الخرائج و الجرائم ج ١ ص ١٥٩ و ٢٤٩ و المغازى للواقدى.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٩٦

و في بعض النصوص: «أن مرحبا لما رأى أن أخاه قد قتل خرج سريعا من الحصن في سلاحه، أى وقد كان ليس درعين، و تقلد بسيفين، و اعتم بعمامتين، و ليس فوقهما مغفرا، و حجرا قد ثقبه قدر البيضة، و معه رمح لسانه ثلاثة أسنان، و ذكر أن ياسرا خرج بعد مرحبا» «١».

و لم يكن بخير أشجع من مرحبا و لم يقدر أحد من أهل الإسلام أن يقاومه في الحرب «٢».
و زعموا: أن محمد بن مسلم قتل أسيرا أيضا «٣».

و عن على «عليه السلام» قال: لما قتلت مرحبا، جئت برأسه إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله» «٤».
قال الديار بكرى: قيل هذا- أى قتل على مرحبا- هو الصحيح، و ما نظمه بعض الشعراء يؤيده، و هو:
على حمى الإسلام من قتل مرحبا غداه اعتلاه بالحسام المضخم و في روایة قتله محمد بن مسلم «٥».

- (١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٧ و ٣٨ و راجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٥٠.
- (٢) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٥٠.
- (٣) إمتناع الأسماع ص ٣١٥.
- (٤) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٢٧ و مسند أحمد ج ١ ص ١١١ و تذكرة الخواص ص ٢٦ و عن البداية والنهاية ج ٤ ص ١٨٥ فما بعدها، و مجمع الروايد للهيثمي ج ٦ ص ١٥٢ و السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٥٧.
- (٥) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٥٠ و راجع: مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٥ عن جماعة من السفاف والمعاذين ادعوا: أن مرحبا قتله محمد بن مسلم، و ادعوا، و ادعوا.

الصحيح من السيرة النبوة الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٩٧
و سيأتي الكلام حول ذلك، وأنه مكذوب و مختلف.
ولنا مع هذه النصوص و قفات عديدة، نكتفى منها بما يلى:

قطع رأس مرب ج ١؟!

بالنسبة لما روى من أن عليا «عليه السلام» قد قطع رأس مرب، و جاء به إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله»، نقول:
أولاً: هو أمر لم نعهد منه «عليه السلام» في مختلف موافقه الجهادية ..
و ثانياً: إننا لا نرى مبرراً لتصرف كهذا. فإن النبي «صلى الله عليه و آله» و كذلك على «عليه السلام» لم يكونا ممن يرغب في التشفي من الأشخاص، لا في حياة أولئك الأشخاص، و لا بعد مماتهم، بل كانوا يريدان دفع الفساد، و إقامة الدين.
ثالثاً: إنه إذا كان «عليه السلام» قد شق رأس مرب و جسده نصفين حتى بلغ السرج «١»، كما ذكرته بعض الروايات؛ فإن قطع الرأس في هذه الحال يصبح بمثابة جمع أشلاء، و حمل قطع ذات منظر مثير، و هو أمر لا يليق فعله بالإنسان العادى، فكيف بأجل الناس، و أشرفهم، و أكرمهم؟!

صفية تتدخل لمصلحة ولدها:

و أما قصة الزبير، و أن أمه قد خافت عليه، حين بز لذلك اليهودي.
فتحن نشك في صحتها. و ذلك لما يلى:
أولاً: إنهم يقولون: إن هذه القضية قد حصلت في بنى قريظة، حيث

- (١) معارج النبوة ص ٣٢٣ و ٢١٩.
- الصحيح من السيرة النبوة الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٢٩٨
برز أحد الأعداء، فقال النبي «صلى الله عليه و آله» للزبير: قم يا زبير.
فقالت أمه صفية: واحدى يا رسول الله.
فقال «صلى الله عليه و آله» أيهما علا صاحبه قتله، فعلاه الزبير فقتله.
فنفله رسول الله «صلى الله عليه و آله» سلبه و قال: السلب للقاتل «١».

ثم نجد الحلبي يشكك في هذه القضية أيضا، فيقول: فليتأمل، فإني لم أقف في كلام أحد على أن بنى قريظة وقعت منهم مقاتلة بالمبارة «٢» فأى ذلك هو الصحيح؟!.

ثانياً: قوله: إنه «صلى الله عليه و آله» قد قال للزبير حين قتل ياسرا: فداك عم، و خال .. يشير أمامنا سؤالاً عن السبب في اختيار تفديته بالعم و الخال، دون الأب و الأم كما هو المعتمد، و من هو العم المقصود بالتنفيذ؟! فهل أراد أن يفديه بعمه المشرك أبي لهب، أو بعمه الآخر أبي طالب، الذي يزعمون أنه مات مشركاً أيضاً؟! مع أن دعواهم الثانية في أبي طالب محض افتراء و بهتان، كما أثبتنا في كتابنا: «ظلامة أبي طالب عليه السلام».

و من هو الحال الذي يقصدونه؟ و هل كان مسلماً أم مشركاً؟!

و لماذا ترك «صلى الله عليه و آله» تفدية الزبير بأبويه، مع أنهم يزعمون أنه كان قد فداء بهما في أحد، و في بنى قريظة «٣».

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٨ عن الزمخشري و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٥٠٤.

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٨ و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٥٠٥.

(٣) الموهاب اللدنية ج ١ ص ١١٢ و السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢١٧ و راجع ص ٣٢٧ و ٣٢٨ كلاهما عن الشيخين.

وقال الترمذى: حديث حسن. و التاريخ الكبير للبخارى ج ٦ ص ١٣.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص ٢٩٩.

قال ابن عبد البر: ثبت عن الزبير أنه قال: جمع لى رسول الله «صلى الله عليه و آله» أبويه مرتين: يوم أحد، و يوم بنى قريظة. فقال: فداك أبي و أمي «١».

و رغم: أنهم يقولون هذا، فإنهم ينكرون في موضع آخر فيقولون أيضاً:

إنه «صلى الله عليه و آله» لم يجمع أبويه لأحد إلا لسعد بن أبي وقاص «٢».

ثالثاً: زعموا: أنه «صلى الله عليه و آله» قد قال للزبير حين قتل ياسرا:

«لكل نبى حوارى، و حوارى الزبير و ابن عمتى».

مع أنهم يقولون: إن النبي «صلى الله عليه و آله» قال له ذلك، حين جاءه بخبر بنى قريظة «٣».

فأيهما هو الصحيح؟ و إن كنا نعتقد بعدم صحة أي منهما أيضاً.

فقد ذكرنا في غزوة بنى قريظة: أن النبي «صلى الله عليه و آله» إنما استخبر عن أمر بنى قريظة بواسطة سعد بن معاذ، و سعد بن عبادة،

فلم

و قول الزبير الأخير: موجود في السيرة النبوية لدحlan ج ٢ ص ٥ و ١٠ و كذا في سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥٦٢ لكنه لم يصرح بيني قريظة. و حدائق الأنوار ج ٢ ص ٥٩٠ عن الصحيحين، و ليس فيما تصريح بيني قريظة أيضاً.

و فيه: أنه لما قال له الزبير: أنا، قال: إن لكل نبى حوارى، و إن حوارى الزبير.

و راجع: صحيح البخارى كتاب أصحاب النبي «صلى الله عليه و آله»، باب مناقب الزبير.

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢١٧ و ٢٢٩.

(٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢٩ و شرح مسلم للنحوى ج ١٥ ص ١٨٤.

(٣) المغازى ج ٢ ص ٤٥٧ و إمتناع الأسماع ج ١ ص ٢٢٧ و السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢١٧.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٣٠٠

يکن هنارک حاجة لإرسال الزبیر.

رابعاً: صرحت بعض الروايات: بأن الزبیر كان أيضاً قد طلب الرایة يوم خیر، وأنه كان قد فرّ بها، وأنه «صلی اللہ علیہ وآلہ» لم يعطه إیاها بل قال «صلی اللہ علیہ وآلہ»: و الذى کرم اللہ وجه محمد لأعطي الرایة رجلاً لا یفر، هاک ک یا على ۱۱۔ و سیأتی بعض الحديث عن ذلك إن شاء اللہ تعالیٰ ..

الزبیر حواری رسول اللہ صلی اللہ علیہ وآلہ:

و أما الحديث الذى يقول: لكل نبی حواری، وإن حواریي الزبیر، و ابن عمته ..
فلا نشك: في أنه مکذوب على الرسول «صلی اللہ علیہ وآلہ» ..

ويکفى أن نذكر شاهداً على ذلك:

أولاً: روی الكشی بسنده عن أسباط بن سالم، عن الإمام الكاظم «عليه السلام» أنه قال: إذا كان يوم القيمة نادى مناد: أین حواریی
محمد بن عبد اللہ «صلی اللہ علیہ وآلہ»، الذين لم ينقضوا العهد، و مضوا عليه؟!

(١) مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٤ و راجع: شرح الأخبار ج ١ ص ٣٢١ و العمدة ص ١٤٠ و ١٤٣ و فضائل الصحابة ج ٢ ص ٦١٧ ح ١٠٥٤ و ص ٥٨٣ ح ٩٨٧ و ذخائر العقی ص ٧٣ عن مستند أحمد ج ٣ ص ١٦ و مستند أبي يعلى ج ٢ ص ٥٠٠ و تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ١٠٤ و ١٠٥ و البداية والنهاية ج ٤ ص ٢١٢ و نهج الإيمان لابن جبر ص ٣١٧ و السیرة النبویة لابن کثیر ج ٣ ص ٣٥٢ و
ینابیع المودة ص ١٦٤ و مصادر أخرى تقدمت.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٣٠١:
فيقوم سلمان، والمقداد، وأبو ذر.

ثم ينادي مناد: أین حواریی على بن أبي طالب «عليه السلام» الخ ..؟! ۱۱.

ثانياً: ما معنی و ما فائدة قوله في الحديث المزعوم: و ابن عمته؟! فهل لم يكن الناس يعلمون: أن الزبیر كان ابن عمہ رسول اللہ «صلی
اللہ علیہ وآلہ»؟!

و ما فائدة كونه كذلك، إذا كان سوف يخالف أمره «صلی اللہ علیہ وآلہ»، ويخرج على أخيه ووصيه، وابن عمہ على بن أبي
طالب «عليه السلام»؟! وسيخرج زوجته «صلی اللہ علیہ وآلہ» من خدرها، ويسير بها في البلاد لتعيينه على حرب على «عليه السلام» ..
لقد كان ابن نوح أقرب إلى نوح من أي إنسان آخر، ولكن ذلك لم ينفعه، حين آثر الكفر على الإيمان والخيانة على الأمانة ..
ولقد كان أبو لهب أقرب الناس إلى رسول اللہ «صلی اللہ علیہ وآلہ» من الزبیر، ولكن ذلك لم ينفعه أيضاً، حين اختار أن يحارب
اللہ و رسوله ..

(١) سفينة البحار ج ٢ ص ١٩٤ عن رجال الكشی، و البحار ج ٣٤ ص ٣٤٢ و ج ٢٢ ص ٢٧٥ و الإختصاص (ط النجف) ص ٥٥ و
روضۃ الوعاظین (ط سنۃ ١٣٨٦ھ) ص ٢٨٢ و راجع: شجرة طوبی ج ١ ص ٧٨ و مستدرک سفينة البحار ج ٢ ص ٤٩٥ و تفسیر نور
الثقلین ج ٥ ص ٢١٠ و اختيار معرفة الرجال ج ١ ص ٤١ و جامع الرواۃ للأردبیلی ج ١ ص ١١٠ و ٥٤٥ و الدرجات الرفيعة ص ٤٣٢ و

طرائف المقال ج ٢ ص ٣٤٠ و ٥٩٣ و معجم رجال الحديث ج ٤ ص ١٥٦ و ج ٩ ص ١٩٧ و ج ٢٠ ص ١٠٩ و تهذيب المقال ج ٤ ص ٢٠٠ و الشيعة في أحاديث الفريقيين ص ٥١٨.

الصحيح من السيرة النبوية الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٣٠٢.

بل إن قربته هذه سوف تزيد من عذابه في نار جهنم، لأنه يكون بها أشد إساءة إلى الرسول «صلى الله عليه و آله»، وإلى دين الله تعالى، حيث ستكون سبباً في صدود الناس عنه «صلى الله عليه و آله» وعن الدين الذي جاء به.

كما أن هذه القرابة القريبة أكدت في إقامة الحجّة عليه، بسبب شدة قربه من الرسول «صلى الله عليه و آله»، وأطلاعه على أحواله، وعلى صدقه و صحة ما جاء به ..

ثالثاً: من أين لنا، وكيف يمكن إثبات أن لكل نبي حوارياً؟ فإن القرآن قد صرّح: بأن عيسى «عليه السلام» هو الذي كان له حواريون، كما أن الروايات تقول: إن للنبي الأعظم «صلى الله عليه و آله» أيضاً حواريين ..

ولم نجد مثل ذلك لسائر الأنبياء «عليهم السلام»، سواء أكانوا من أولي العزم، أم من غيرهم.

رابعاً: بماذا استحق الزبير أن يكون حواري رسول الله «صلى الله عليه و آله» دون سائر الصحابة، ومن كانوا أقرب إليه «صلى الله عليه و آله» منه بمراتب؟!

خامساً: روى هشام بن زيد، عن أنس، قال: سألت النبي «صلى الله عليه و آله»: من حواريك يا رسول الله؟!

فقال: الأئمة بعدى اثنى عشر، من صلب على و فاطمة «عليهما السلام».

و هم حواري، وأنصار ديني «١».

(١) البحار ج ٣٦ ص ٢٧١ و مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٢١٣ و راجع: كفاية الأثر ص ٦٩.

الصحيح من السيرة النبوية الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٣٠٣.

وفي نص آخر: عن أبي المفضل، عن رجاء بن يحيى العبراني الكاتب، عن محمد بن خلاد الباهلي، عن معاذ بن معاذ، عن ابن عون، عن هشام بن زيد، عن أنس بن مالك، قال:

سألت رسول الله «صلى الله عليه و آله» عن حواري عيسى «عليه السلام»، فقال: كانوا من صفوته و خيرته، و كانوا اثنى عشر، مجردين، مكمشين في نصرة الله و رسوله، لا زهو فيهم، ولا ضعف، ولا شك، كانوا ينصرونه على بصيرة و نفاذ، و جد و عناء. قلت: فمن حواريك يا رسول الله؟

فقال: الأئمة من بعدى اثنا عشر، من صلب على و فاطمة، هم حواري، وأنصار ديني عليهم من الله التحيّة و السلام «١».

لماذا تعظيم الزبير؟!

من الواضح: أن سياسة هؤلاء تقضي بتعظيم كل من ناوأ على بن أبي طالب «عليه السلام» و حاربه، فمن الطبيعي إذا أن نجد هم يهتمون بمنح الزبير الأوسمة و أن ينحلوه الكثير من البطولات التي لا يستحقها، بل من الطبيعي أن يختلسوا موقف أمير المؤمنين «عليه السلام» و يمنحوها لأعدائه الذين أحبوهم لبغضهم علياً «عليه السلام»، و الزبير - كما هو معلوم - قاد جيشاً و حارب علياً «عليه السلام» و تسبب بقتل الألوف من المسلمين و المؤمنين، ولكن الدائرة قد دارت عليه حتى قتل و هو منهزم كما دلت عليه

(١) البحار ج ٣٦ ص ٣٠٩ و كفاية الأثر ص ١٠.

الصحيح من السيرة النبوية الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٣٠٤.

النحو صـ الكثيـرـةـ

و أما بشارته «عليه السلام» لابن جرموز-قاتل الزبير-بالنار، فإنما هي إخبار بالغيب عما سيؤول إليه أمر ابن جرموز من المروق من الدين، و صيرورته خارجيا، و ليس لأجل أن الزبير قد تاب و انصرف عن الحرب. و لو كان لأجل ذلك لكان أقاده به، و لما طلّ دمه.

و إنما قلنا: إنه قتل و هو منهزم، استنادا إلى نصوص كثيرة، نذكر منها ما يلي:

١- إنه حينما ذكر على «عليه السلام» الزبير يقول رسول «صلى الله عليه و آله» له: «أما إنك ستحاربه، و أنت ظالم له». رجم الزبير إلى صفوقة، و اتهمه ولده عبد الله بالجبن و قال له:

ما أراك إلا جبنت عن سيفبني عبدالمطلب، إنها لسيوف حداد، تحملها فتية أنجاد.

فالزبير: ويلك، أتهيجم على حربه؟ أما إني قد حلت ألا أحاربه.

قال: كفر عن يمينك، لا تتحدث نساء قريش أنك جنت، وما كنت جيانا.

فالزبير: غلامي مكحول حر كفاره عن يميني.

ثم أنصب سنان رمحه، وحمل على عسكر علي «عليه السلام» برمج لا سنان له.

فقال علي «عليه السلام»: أفر جوا له، فإنه محرج.

ثم عاد إلى أصحابه، ثم حمل ثانية، ثم ثالثة.

ثم قال لابنه: أجبنا - و يلک - ترى؟!

^{٣٠٥} صحيح من السيرة النبوية الأعظم، مرتضي العاملی، ج ١٧، ص:

فقال: لقد أعتذرت «١».

٢- وقد قال همام الثقفي:

أي عق مكحولاً و يعصي نبيه لقد تاه عن قصد الهدى ثم عوق

أينوى بهذا الصدق والبر والتقوى سيعلم يوماً من يبر و يصدق «٢»-٣ وقد قال النجاشي الشاعر، في رثائه لعمرو بن محسن الأنصاري:

وَنَحْنُ تَرَكَنَا عِنْدَ مُخْلِفِ الْفَنَادِخِ كَمْ عَيْدَ اللَّهُ لِحَمَّا مَلَجَبَا

بصفين لما ارفض عنه رجالكم ووجه ابن عتاب ترکناه ملغمبا

و طلحة من بعد الزبير، ولم ندع لضبة في الهيجا عريفاً ومنكباً «٣» - وروى البلاذري: أن ابن الزبير لما جبن أباه و غيره، قال له: حلفت ألا أقاتلهم.

قال: فکر عن یمینک.

فأعتق غلاما له يقال له: سرجس. وقام في الصف بينهم «٤».

(١) شرح النهج للمعتزل (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) ج ١ ص ٢٣٤ و راجع:

تلخيص الشافى ج ٤ ص ١٥٠ و ١٤١ و ١٤٣ و الفصول المختارة ص ١٠٦ و تاريخ الأمم والملوك (ط دار المعارف بمصر) ج ٤ ص ٥٠٢ والكامل فى التاريخ ج ٣ ص ٢٤٠ و ٢٦١ و تذكرة الخواص ص ٧١ والبحار ج ٣٢ ص ٢٠٥.

٢٠٥ ص ٣٢ ج البحار (٢)

(٣) شرح النهج للمعتزل (ط سنة ١٩٦٤ م) ج ٢ ص ٨١٩.

(٤) تلخيص الشافعى ج ٤ ص ١٤٣ و شرح النهج للمعتزلى ج ٢ ص ١٦٧ و تاريخ الأمم والملوک (ط دار المعارف بمصر) ج ٤ ص

٥٠٩ و أنساب الأشراف (بتحقيق محمودي) ج ٢ ص ٢٥٤.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٣٠٦.

٥- قال عبد الرحمن بن سليمان:

لم أر كاليلوم أخا إخوان أعجب من مكفر الأيمان

بالعقل فى معصية الرحمن

٦- وقال رجل من شعرائهم:

يعتق مكحولا لصون دينه كفاره لله عن يمينه

و النكث قد لاح على جبينه «١»

٧- و كتب «عليه السلام» إلى أهل الكوفة يخبرهم بالفتح، و يقول:

«قتل طلحه و الزبير. وقد تقدمت إليهما بالمعدرة، و أبلغت إليهما بالنصيحة، و استشهدت عليهما صلحاء الأمة، فما أطاعوا المرشدين، و لا أجابوا الناصحين الخ ...» «٢».

٨- و عن سليم في حديث قال: و نشب القتال، فقتل طلحه، و انهزم الزبير «٣».

٩- و عن الحسن قال: إن عليا «عليه السلام» لما هزم طلحه و الزبير أقبل الناس مهزومين فمروا بأمرأة حامل الخ .. «٤».

١٠- و ذكر الحاكم: أن عليا «عليه السلام» نادى في الناس: أن لا

(١) تلخيص الشافى ج ٤ ص ١٤٢ و تاريخ الأمم و الملوك (ط دار المعارف بمصر) ج ٤ ص ٥٠٢ و تذكرة الخواص ص ٧١.

(٢) تلخيص الشافى ج ٤ ص ١٣٦.

(٣) البحار ج ٣٢ ص ٢١٧.

(٤) البحار ج ٣٢ ص ٢١٤.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٣٠٧.

ترموا أحداً بسهم و لا تعطونا برمج، و لا تضرروا بسيف، و لا تطلبوا القوم .. إلى أن قال:

ثم الزبير قال لأساوره كانوا معه: ارمونهم برشق. و كأنه أراد أن ينشب القتال.

فلما نظر أصحابه إلى الانتساب لم يتظروا، و حملوا.

فهزهم الله، و رمى مروان طلحه الخ .. «١».

و هذا يدل: على أن الواقعة الفاصلة قد حصلت بفعل الزبير نفسه و حضوره، و أن الهزيمة وقعت عليه و على أصحابه.

١١- و ذكر الطبرى: أنه «لما انهزم الناس في صدر النهار نادى الزبير:

أنا الزبير، هلموا إلى أيها الناس، و معه مولى له ينادى: أعن حوارى رسول الله «صلى الله عليه و آله» تنهزمون؟!».

و انصرف الزبير نحو وادى السباع» «٢».

١٢- و ذكرروا أيضاً: أن كعب بن سور أقبل إلى عائشة، فقال: أدركى، فقد أبي القوم إلا القتال، فركبت، و ألبسوه وجهاً الأدراع، ثم بعثوا جملها، فلما بربت من البيوت وقف و اقتتل الناس، و قاتل الزبير، فحمل عليه عمارة بن ياسر، فجعل يحوزه بالرمي و الزبير كاف عنه، و يقول:

أتقتلنى، يا أبا اليقظان؟

فيقول: لا، يا أبا عبد الله.

(١) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٧١.

(٢) تاريخ الأمم و الملوك (ط دار المعارف بمصر) ج ٤ ص ٥١٢.

الصحيح من السيرة النبوية، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٣٠٨.

و إنما كف عنه الزبير لقول رسول الله «صلى الله عليه و آله»: تقتل عمara الفتنة الباغية. ولو لا ذلك لقتله.

و بينما عائشة واقفة إذ سمعت ضجة شديدة.. فقالت: ما هذا؟

قالوا: ضجة العسكر.

قالت: بخير أو بشر؟

قالوا: بشر.

فما فجأها إلا الهزيمة.

فمضى الزبير من سنته في وجهه، فسلك وادي السباع، و جاء طلحه سهم غرب الخ .. «١».

أضاف ابن الأثير قوله عن الزبير: و إنما فارق المعركة، لأنه قاتل تعذيرا لما ذكر على «عليه السلام» «٢».

١٣ - و نص آخر يقول: «لما انهزم الناس يوم الجمل عن طلحه و الزبير، مضى الزبير حتى مر بمعسكر الأحنف الخ .. «٣».

١٤ - و عن محمد بن إبراهيم قال: « Herb الزبير على فرس له، يدعى بذى الخمار، حتى وقع بسفوان، فمر بعد الله بن سعيد المجاشعي الخ .. «٤».

١٥ - و في نص آخر: « Herb الزبير إلى المدينة، حتى أتى وادي السباع،

(١) راجع: الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٢٤٣ و راجع ص ٢٦٢ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٤ ص ٥٠٧.

(٢) الكامل ج ٣ ص ٢٤٣.

(٣) تاريخ الأمم و الملوك ج ٤ ص ٥٣٤.

(٤) الجمل ص ٣٨٧.

الصحيح من السيرة النبوية، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٣٠٩.

فرفع الأحنف صوته الخ .. «١».

١٦ - و عن أبي مخنف وغيره: مضى الزبير حين هزم الناس يريد المدينة، حتى مر بالأحنف أو قريبا منه الخ .. «٢».

١٧ - و لعل ما ذكره البلاذرى إذا ضمنناه إلى ما تقدم يصلح بيانا لحقيقة ما جرى.

فقد روى عن قتادة، قال: لما اقتتلوا يوم الجمل كانت الدبرة على أصحاب الجمل، فأفضى على إلى الناحية التي فيها الزبير، فلما واجهه

قال له: يا أبا عبد الله، أتقاتلني بعد بيتعنى وبعد ما سمعت من رسول الله في قتالك لي ظالم؟!

فاستحيا و انسل على فرسه منصرا إلى المدينة، فلما صار بسفوان لقيه رجل من مجاشع يقال له: النور بن زمام، فقال له: أجرني.

قال النور: أنت في حواري يا حواري رسول الله.

فقال الأحنف: واعجا !! الزبير لفَّ بين غارين (أى جيشين) من المسلمين، ثم قد نجا بنفسه الخ .. «٣».

فالمراد بانصراف الزبير هو انصراف الهزيمة، لا انصراف التوبة كما هو ظاهر هذا النص إذ لو كان قد انصرف عن القتال على سبيل

التوبة، لما احتاج إلى من يجيره.

(١) الجمل ص ٣٩٠

(٢) أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ٢٥٤.

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٥٨.

الصحيح من السيرة النبوية الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٣١٠
وقد صرحت سائر النصوص التي ذكرناها آنفا بهذه الهزيمة.

صيغة أخرى لما جرى في خير:

قد تقدم: أن النبي «صلى الله عليه و آله»، قال لعلى «عليه السلام» قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده و رسوله ..
ولكن نصا آخر ذكر تفصيلا لهذه الوصية يحتاج إلى الدراسة و التأمل، فإنه «صلى الله عليه و آله» حين دفع إليه الراية قال له:

«سر في المسلمين إلى باب الحصن، وادعهم إلى إحدى ثلات خصال:
إما أن يدخلوا في الإسلام، و لهم ما للمسلمين، و عليهم ما عليهم، و أموالهم لهم ..
و إما أن يذعنوا للجزية و الصلح، و لهم الذمة، و أموالهم لهم.
و إما الحرب.

فإن اختاروا الحرب فحاربهم.

فأخذها و سار بها و المسلمون خلفه، حتى وافى بباب الحصن، فاستقبله حمأة اليهود، و في أولهم مرحبا يهدى كما يهدى البعير.
فدعاهم إلى الإسلام فأبوا، ثم دعاهم إلى الذمة فأبوا، فحمل عليهم أمير المؤمنين «عليه السلام» فانهزموا بين يديه و دخلوا الحصن و
ردوا بابه، و كان الباب حجرا منقورا في صخر، و الباب من الصخر المنقور كأنه حجر رحى، و في وسطه ثقب لطيف،
فرمى أمير المؤمنين «عليه السلام» بقوسه من يده اليسرى، و جعل يده اليسرى في ذلك الثقب الذي في وسط الحجر دون اليمنى، لأن
السيف كان في يده اليمنى، ثم جذبه إليه

الصحيح من السيرة النبوية الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٣١١
فانهار الصخر المنقور، و صار الباب في يده اليسرى.

فحملت عليه اليهود، فجعل ذلك ترسا له، و حمل عليهم فضرب مرحبا فقتله، و انهزم اليهود من بين يديه؛ فرمى عند ذلك الحجر بيده
اليسرى إلى خلفه، فمر الحجر الذي هو الباب على رؤس الناس من المسلمين إلى أن وقع في آخر العسكرية.
قال المسلمون: فذرعنا المسافة التي مضى فيها الباب فكانت أربعين ذراعا، ثم اجتمعنا على الباب لنرفعه من الأرض و كنا أربعين رجلا
حتى تهيأ لنا أن نرفعه قليلا من الأرض» «١».

ونقول:

إننا نذكر القارئ بالأمور التالية:

- إن من ينقض العهود، و يخون المواثيق إنما يعامله الناس بحزم و بقسوة، و لا- يعطونه أية فرصة للاختيار، أما إذا تكررت تلك الخيانات، و ظهر تصميمه على ممارسة العدوان في أية فرصة تسنح له، فلا يتزددون في سحقه، و تدميره، و اقتلاعه من جذوره ..

ولكن نبينا الأعظم «صلى الله عليه و آله»، لم يعامل اليهود بهذه الروحية، بل عاملهم بالعفو و بالتسامح، و بالسعى لمجرد إبطال كيدهم، و دفع شرهم. رغم تكرر خياناتهم له، و إصرارهم على نقض العهود، و إعلانهم الحرب عليه.

(١) البحار ج ٢١ ص ٢٩ و الخرایج و الجرایح ج ١ ص ١٦١ و راجع: إحقاق الحق ج ٥ ص ٣٦٨.

الصحيح من السيرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی، ج ١٧، ص: ٣١٢.

فها هو يقدم لهم خيارات تمنحهم الحياة، و تعفيهم من العقوبة، بل إن بعض تلك الخيارات يمنحهم حصانة، و حقوقا، تساویهم مع سائر من هم معه «صلی الله علیه و آله» ..

إنه يقول لهم: إن أسلموا حقنوا دماءهم، و احرزوا أموالهم، و لهم ما للمسلمين، و عليهم ما عليهم.
و إن لم يفعلوا ذلك .. فإنه أيضا لا ينظر إليهم نظرة العدو و المحارب، بل هو يعطيهم فرصة أخرى للعيش بأمن و سلام، و تكون أموالهم لهم، و لهم ذمة المسلمين.

٢- إن اقتلاع باب خير كان كافيا لإقناع اليهود بعدم جدوی الحرب، و بأن رسول الله «صلی الله علیه و آله»، و وصيه، و أولياءه مؤيدون من الله ..

و كان كافيا لأن تستسلم قلوبهم لنداء الضمير و الوجدان، و يعلنوا إيمانهم و إسلامهم.

ولكن ذلك لم يكن، بل عكسه هو الذي كان، فقد حملوا على على «عليه السلام» مرأة أخرى ..
فحمل عليهم و هزمهم ..

٣- ثم رمى ذلك الباب من يده إلى مسافات بعيدة، فكان ذلك يكفى رادعا آخر لهم عن غيهم، و دافعا لهم ليثبووا إلى رشدهم، و ليعلنوا إيمانهم.
ولكن ذلك لم يحصل أيضا.

٤- والأغرب من كل هذا و ذاك: أن النبي «صلی الله علیه و آله» لم يغير طريقة تعامله معهم، بل بقى يعتمد سياسة الصفح، و الرفق و التخفيف.

فهو بعد كل هذا العناد، و التحدى و الإصرار على موصلة الحرب، لم ينتقم

الصحيح من السيرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی، ج ١٧، ص: ٣١٣.

منهم، و لم يواجههم بما يستحقونه، بل قبل بأن يعملوه في الأرض، و أن يعطوه نصف ما يحصل منها .. مع أنهم لا يستحقون البقاء على قيد الحياة، فضلا عن أن يكون «صلی الله علیه و آله» هو الذي يهيء لهم الفرصة للحصول على ما يعتاشون به، و يلبى لهم حاجاتهم.

من سمي عليا عليه السلام بحیدر؟؟!

قد تقدم: أن عليا «عليه السلام» قال في مواجهة مرحبا:

أنا الذي سمعتني أمي حیدر كليث غابات كريه ...

وقال ثابت بن قاسم: في تسمية على «عليه السلام» بحیدر، ثلاثة أقوال:

أحدها: أن اسمه في الكتب المتقدمة أسد، و الأسد هو الحیدر.

الثاني: أن أمه فاطمة بنت أسد «رضي الله عنها» حين ولدته، كان أبوه غائبا، فسمته باسم أبيها. فقدم أبوه فسماه عليا.

الثالث: أنه كان لقب في صغره بحیدر، لأن «الحیدر» الممتلى لحمًا مع عظم بطن. و كذلك كان على «ا».

و ذكر ذلك الحلبى أيضاً ولكن لم يشر إلى أن اسمه في الكتب المتقدمة

(١) سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١٦٣ وقال: «و ذكره الشيخ كمال الدين الدميري (ره) في شرح المنهاج» و راجع: حياة الحيوان (ط المكتبة الشرفية بالقاهرة) ج ١ ص ٢٣٧ و لسان العرب (ط سنة ١٤١٦ هـ) ج ٣ ص ٨٤ و ٨٥ و مجمع البحرين ج ٣ ص ٢٦١ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٥٠ و شرح النهج للمعتزلى ج ١ ص ١٢ .
الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٣١٤ .
أسد، فراجع «١».

ثم قال: «ويقال: إن ذلك كان كشفاً من على كرم الله وجهه، بحيث إن الله أطلع علياً على رؤياً كان مرحباً قد رآها في تلك الليلة في المنام: أنأسدا افترسه، فذكّرها على كرم الله وجهه بذلك. ليخفّه، ويضعف نفسه» «٢» .
ونقول:

أولاً: لو صح قولهم: إن لكلمة حيدرٌ عدة معان، فلما ذا يختارون منها ما يوهم الناس بأمور غير محبّة؟ حتى لقد قالوا: الحيدرٌ: الممتلىء لحمًا مع عظم بطن، وكذلك كان على «عليه السلام». أى أنه قد لقب بـ«الحيدرٌ» لعظم بطنه ..
مع أنهم يقولون: إن أمّه هي التي سمته بذلك حين ولادته، فهل كان عظيم البطن من حين ولادته؟!
و إذا كان قد صرّح هو نفسه: بأنّ أمّه قد سمته بـ«حيدرٌ» و كان ذلك منذ ولادته، فما معنى قولهم: لقب بذلك منذ صغره؟!
فإن اللقب غير الاسم .. و الاسم يوضع للمولود من حين يولد، و لحوق اللقب في الصغر قد يتّأخر لمدة سنوات.
ثانياً: ما معنى قولهم: كان لقب في سفره بـ«الحيدرٌ»؟ ألا ينافي هذا قول على «عليه السلام» نفسه:
أنا الذي سميّتني أمّي حيدرٌ كلّي ثغبات كريمه ...

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٨ .

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٨ .

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٣١٥ .

ثالثاً: لماذا لا يذكرون ما قاله ابن الأعرابي: الحيدرٌ في الأسد مثل الملك في الناس، و ما قاله أبو العباس: يعني لغاظ عنقه، و قوة ساعديه؟!

رابعاً: قد ذكر ابن بري: أن أم على لم تسم عليها «عليه السلام» حيدرٌ، بل سمته أسدًا «١» .
لكنه «عليه السلام» لم يتمكن من ذكر الأسد لأجل القافية، فعبر بمعناه و هو: «حيدرٌ»، فرد عليه ابن منظور بقوله:
«و هذا العذر من ابن بري لا- يتم له، إلا- إن كان الرجز أكثر من هذه الأبيات، و لم يكن أيضاً ابتدأ بقوله: «أنا الذي سميّتني أمّي حيدرٌ»، و إلا فإذا كان هذا البيت ابتداء الرجز، و كان كثيراً أو قليلاً، كان رضى الله عنه مخيراً في إطلاق القوافي على أي حرف شاء، مما يستقيم الوزن له به» .

كقوله: «أنا الذي سميّتني أمّي الأسد»، أو «أسداً»، و له في هذه القافية مجال واسع، فنطقه بهذا الاسم على هذه القافية من غير قافية تقدمت، يجب اتباعها، و لا ضرورة صرفه إليها، مما يدل على أنه سمي حيدرٌ «٢» .

الصحيح في هذه القضية:

والصحيح هو: ما رواه المفيد عن الحسين بن علي بن محمد التمار، عن علي بن ماهان، عن عمّه، عن محمد بن عمر، عن ثور بن

يزيده، عن مكحول، قال:

لما كان يوم خير خرج رجل يقال له: مرحباً. و كان طويلاً القامة،

(١) لسان العرب (ط سنة ١٤١٦ هـ) ج ٣ ص ٨٤

(٢) المصدر السابق ج ٣ ص ٨٤ و ٨٥

الصحيح من السيرة النبوية الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٣١٦
عظيم الهمة، وكانت اليهود تقدمه لشجاعته و يساره.

قال: فخرج ذلك اليوم إلى أصحاب رسول الله «صلى الله عليه و آله»، فما واقفه قرن إلا قال: أنا مرحباً. ثم حمل عليه، فلم يثبت له.

قال: و كانت له ظئر، و كانت كاهنة، تعجب بشبابه، و عظم خلقه.

و كانت تقول له: قاتل كل من قاتلك، و غالب كل من غالبك، إلا من تسمى عليك بـ «حيدرة»، فإنك إن وقفت له هلكت.

قال: فلما كثر مناوشته، و جزع الناس بمقاومته، شكوا ذلك إلى النبي «صلى الله عليه و آله»، و سأله أن يخرج إليه علياً «عليه السلام»، فدعا النبي «صلى الله عليه و آله» علياً «عليه السلام»، و قال له: «يا علي، اكفني مرحباً».

فخرج إليه أمير المؤمنين «عليه السلام»، فلما بصر به مرحباً يسرع إليه فلم يره يعبأ به، أنكر ذلك، وأحجم عنه، ثم أقدم و هو يقول:
أنا الذي سمعتني أمي مرحباً....

فأقبل على «عليه السلام» و هو يقول:

أنا الذي سمعتني أمي حيدرة كليت غابات كريه

فلما سمعها منه مرحباً هرب و لم يقف، خوفاً مما حذرته منه ظئره، فتمثّل له إبليس في صورة حبر من أحبار اليهود، فقال: إلى أين يا مرحباً؟

قال: قد تسمى على هذا القرن بـ «حيدرة»!!

قال له إبليس: فما حيدرة؟

قال: إن فلانة ظئرى كانت تحذرني من مبارزة رجل اسمه حيدرة، و تقول: إنه قاتلك.

قال له إبليس: شوها لك، لو لم يكن حيدرة إلا هذا وحده لما كان

الصحيح من السيرة النبوية الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٣١٧

مثلك يرجع عن مثله، تأخذ بقول النساء، و هن يخطئن أكثر مما يصبن؟! و حيدرة في الدنيا كثير، فارجع فلعلك تقتله، فإن قتله سدت قومك، و أنا في ظهرك أستصرخ اليهود لك، فرده، فوالله ما كان إلا كفواق ناقة حتى ضربه على ضربة سقط منها لوجهه، و انهزم اليهود يقولون: قتل مرحباً، قتل مرحباً «أ».«

إشارات و دلالات:

إشارة

و قد تضمن هذا الحديث أموراً هامة تحسن الإشارة إليها. و الدلالة عليها، و هي التالية:

ألف: سر زعامة مرحبا:

قد ذكر الحديث: أن سبب تقديم اليهود لمرحب أمران:

أحد هما: شجاعته.

و الثاني: يسار٥.

نعم .. و هذا هو المتوقع من اليهود الذين لا يفكرون إلا بالمال، و بالدنيا، و الذين يسعون في الأرض فساداً، و يثيرون الفتنة بين الناس، و كل همهم هو الهيمنة على الآخرين، و إذلالهم، و قهرهم، فإن ذلك هو ما ينسجم مع نظرتهم الاستعلائية إلى كل من هو غير إسرائيلي، لأنهم - بزعمهم - شعب الله المختار، و قد خلق الله تعالى غيرهم من أجل خدمتهم، و قد

(١) البحار ج ٢١ ص ٩ عن الأمالى للمفید، وأمالی الطوسي ص ٤ و مدينة المعاجز ج ١ ص ١٧٨.

^{٣١٨} الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص:

تحدثنا عن جانب من آرائهم هذه في كتابنا: سلمان الفارسي في مواجهة التحدي.

إن تقدم مرحباً بهم لم يكن لأجل عقله، و دينه، و مزاياه الأخلاقية، و الإنسانية، بل لأنهم يحتاجون إلى فروسيته و شجاعته، و قوته، و يحتاجون إلى ماله و دنياه أيضاً.

ب: اکفنی مرجا:

و بعد، فما أروع كلمة رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهٖ وَسَلَّمَ»: «يَا عَلِيٌّ، اكْفُنِي مَرْحَبًا»، فإنه تحدث بصيغة المتكلّم وحده «اَكْفُنِي»، ربما لكي يشير إلى أنه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهٖ وَسَلَّمَ» هو المقصود الحقيقى لمرحبا، وأن همة اليهود منصرفة إلى النيل من شخص رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهٖ وَسَلَّمَ»، وأن لا مشكلة لمرحبا مع أحد من الناس إلا معه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهٖ وَسَلَّمَ» ..

أما سائر من حضر فلا يقيم مرحبا لهم وزنا، وهو قادر على استيعاب كل حركتهم ضده، وليشير «صلى الله عليه وآله» في كلامه هذا: إلى أن الذي يكفيه ويدفعه عنه هو خصوص على «عليه السلام» دون سواه.

ج: الناس يرددون عليا عليه السلام:

و صرحت الرواية الآنفة الذكر أيضاً بأن الناس حين جزعوا و عجزوا عن مقاومة مرحباً التجأوا إلى النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، و سألوه أن يخرج إليه علياً «عليه السلام». مع علمهم بشدة مرضه «عليه السلام»، و ذلك يدل على أنهم كانوا يعرفون طرفاً من جهاد على «عليه السلام»، و إقدامه و تضحياته في سبيل الله تعالى، و يعرفون أنه لا يتعرض له أحد إلا

^{٣١٩} الصحيح من السيرة النبوية الأعظم، مرتضي العاملی، ج ١٧، ص:

هلك، وأن مرضه لا يقصر به عن بلوغ غاياته ..

فإن صحت هذه الرواية التي نحن بصدده الحديث عنها، فهـى لا تناهى روايات إرسال غير على «عليه السلام» بالرأيـة قبلـه، لجواز أن يكون الناس قد طلبوا من النبي «صلى الله عليه و آله» إرسال على «عليه السلام» بعد فشـل الذين كانـ قد أرسـلـهم قبلـ ذلك .. بل قد يكون طلبـهم هذا قبلـ إرسـال الآخـرين أيضـاً، لكنـ النـبـي الأـعـظـم «صـلى اللهـ عـلـيهـ وـ آـلـهـ» قدـ آـثـرـ أنـ لا يـرـسـلـ عـلـيـاً «عليـهـ السـلـامـ» منـ

أول يوم لمصالح رآها ..

و لعل بعضها قد اتضح في ثانيا هذا الكتاب.

بل قد يكون قسم من المسلمين، طلبو من النبي «صلى الله عليه و آله» أن يخرج عليا «عليه السلام» لمرحب، مع عدم علمهم بحالته الصحيحة، فوافق ذلك ما كان النبي «صلى الله عليه و آله» قد عقد العزم عليه، فأعطاه الرأي، وأمره بأن يكفيه مرجبا.

ثم تعجب العارفون برمد عيني على «عليه السلام»، حين رأوه «عليه السلام» قد حضر بينهم.

وبذلك يتضح: أنه لا تناقض ولا اختلاف فيما بين هذه الرواية و رواية إعطاء الرأي لعلي «عليه السلام»، خصوصا تلك التي صرحت بأنهم قد فوجئوا على «عليه السلام».

٥: تمثيل إبليس:

و قد يستغرب البعض أن يتمثل إبليس بصورة بعض أخبار اليهود ..

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ١٧، ص: ٣٢٠:

ولكن الحقيقة هي: أنه لا غرابة في ذلك، فإن الآيات قد صرحت بأن إبليس كان من الجن .. و الجن كما دلت عليه الروايات يقدرون على التمثال، تماما كما يقدر الملائكة على ذلك.

و قد دلت الآيات و الروايات على تمثيل الملائكة، قال تعالى: فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١).

و كان جبرئيل يتمثل بصورة دحية الكلبي - على حد زعمهم -.

و قد ذكر الله تعالى: أن إبليس كان من الجن، فقال: إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ (٢).

و وأشارت الروايات: إلى أن الجن أيضا يتمثلون بصورة البشر، و يدل على ذلك: ما ورد من أن إبليس قد تمثل لقريش حينما تأمروا على قتل رسول الله «صلى الله عليه و آله»، و أشار عليهم باختيار عشرة من الرجال - كل واحد من قبيلة - و بيّنوا رسول الله «صلى الله عليه و آله»، و يضربوه بأسيافهم ليضيع دمه في القبائل ..

فقبلوا مشورته، و حاولوا تنفيذها في ليلة الهجرة، حيث بات على «عليه السلام» في فراش الرسول «صلى الله عليه و آله»، فنجى رسول الله «صلى الله عليه و آله» بسبب ذلك (٣).

و قد روى عن الحارث الأعور قال: بينما أمير المؤمنين «عليه السلام»

(١) الآية ١٧ من سورة مريم.

(٢) الآية ٥٠ من سورة الكهف.

(٣) تاريخ الأمم والملوک ج ٢ ص ٦٨ و البداية والنهاية ج ٣ ص ١٧٥ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٢١ و ٣٢٢.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ١٧، ص: ٣٢١:

يخطب على المنبر يوم الجمعة، إذ أقبل أفعى من باب الفيل ..

إلى أن تقول الرواية:

إن عليا «عليه السلام» أخبرهم: أن هذا الأفعى هو من الجن قال:

«فأتاني في ذلك، و تمثل في هذا المثال، يريكم فضل الخ ... (١).

فلاحظ قوله: «و تمثل في هذا المثال».

و في رواية أخرى: أن هاتفا كلام النبي، فقال «صلى الله عليه و آله»، له:
«اظهر رحمك الله في صورتك».

قال سلمان: فظهر لنا شيخ أذب، أشعر، قد لبس وجهه شعر غليظ الخ ..»^(٢).

و في حديث آخر: أنه «صلى الله عليه و آله» كان جالسا بالأبطح، و عنده جماعة من أصحابه .. «إذ نظرنا إلى زوبعة قد ارتفعت فأثارت الغبار، و ما زالت تدنو و الغبار يعلو إلى أن وقفت بحذاء النبي «صلى الله عليه و آله»، ثم بُرِزَ منها شخص كان فيها، ثم قال: يا رسول الله ..

إلى أن تقول الرواية:

فقال له النبي «صلى الله عليه و آله»: فاكشف لنا عن وجهك حتى نراك على هيئتك التي أنت عليها.
قال: فكشف لنا عن صورته، فنظرنا فإذا الشخص عليه شعر كثير،

(١) الثاقب في المناقب ج ٢ ص ٢٤٨ و مدينة المعاجز ج ١ ص ١٤١.

(٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٣٠٨ و مدينة المعاجز ج ١ ص ١٤٤ و ١٤٥ و الأنوار العلوية ص ١٣٣ و حلية الأبرار ج ١ ص ٢٦٨ و ج ٢ ص ٩٥ و البحار ج ٣٩ ص ١٨٣.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٣٢٢.

إذا رأسه طويل العينين، عيناه في طول رأسه، صغير الحدقتين الخ ..»^(١).

و عن الإمام الصادق «عليه السلام»: إن إبليس لعنه الله قد طلب من ربه أن: «لا-يولد لهم-أى لبني آدم- ولد إلا- ولد لى اثنان، وأراهم، ولا يرونني، وأتصور لهم في كل صورة شئت»^(٢).

وفي حديث آخر: أن رسول الله «صلى الله عليه و آله» كان جالسا، و عنده جنى يسألة عن قضايا مشكلة، فأقبل أمير المؤمنين، فتصاغر الجنى حتى صار كالعصفور الخ ..»^(٣).

يضاف إلى ما تقدم حديث يقول: إن جنية من أهل نجران تمثلت في مثال أم كلثوم «٤» فراجع.
و أمثال ذلك كثير لا مجال لاستقصائه .. و هو يدل على ما ذكرناه من

(١) مدينة المعاجز ج ١ ص ١٤٨ و ١٤٩ و حلية الأبرار ج ١ ص ٩١٨ و ج ٢ ص ٢٧٠ و عيون المعجزات ص ٤٣ و البحار ج ١٨ ص ٨٦ و ج ٣٩ ص ١٦٩ و ج ٦٠ ص ٩١ و نوادر المعجزات للطبرى ص ٥٣ و الإحتجاج للطبرسى ج ١ ص ١٦٩ و اليقين لابن طاووس ص ٢٦١ و حلية الأبرار ج ٢ ص ٩٨.

(٢) تفسير الميزان ج ٨ ص ٦١ عن تفسير القرمى.

(٣) مشارق أنوار اليقين ص ٨٥ و مدينة المعاجز ج ١ ص ١٤٢ عنه، و حلية الأبرار ج ٢ ص ١٥ و مجمع التورين ص ١٩٠.

(٤) البحار ج ٤٢ ص ٨٨ و الخرائج و الجرائح ج ٢ ص ٨٢٥ و ٨٢٦ و مرآء العقول ج ٢١ ص ١٩٨ و راجع: المجدى فى أنساب الطالبين ص ١٧ و ١٨ و مدينة المعاجز ج ٣ ص ٢٠٢ و الصراط المستقيم ج ٣ ص ١٣٠ و سفينه البحار (ط سنة ١٤١٤ هـ) ج ١ ص ٦٨٤.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٣٢٣.
قدرة الجن - و إبليس منهم - على الظهور بأية صورة أرادوا ..

شكوك حول مقتل عامر:

روى الشيخان، والبيهقي، عن سلمة بن الأكوع، قال: لما تصف القوم يوم خير، و كان سيف عامر فيه قصر، فتناول به ساق يهودي ليضربه، فرجع ذباب سيفه، فأصاب عين ركبته، فمات منه.

فلما قفلوا سمعت نفراً من أصحاب محمد رسول الله «صلى الله عليه و آله» يقولون: بطل عمل عامر، قتل نفسه. فأتيت رسول الله «صلى الله عليه و آله» وأنا أبكي فقال رسول الله «صلى الله عليه و آله»، لما رأني شاحباً ما لك؟

قلت: فداك أبي وأمي، زعموا أن عامراً حبط عمله.

قال: «من قال؟»

قلت: فلان و فلان، وأسيد بن الحضير الأنباري الخ .. «١».

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٤٦ و السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٢ و راجع: الإصابة ج ٢ ترجمة عامر بن سنان و المغازى للواقدى ج ٢ ص ٦٦٢ و عبقات الأنوار ج ٣ ص ٢٧٨ و مسند أحمد ج ٤ ص ٤٨ و عن صحيح البخارى ج ٥ ص ٧٣ و ج ٧ ص ١٠٨ و ج ٨ ص ٤١ و عن صحيح مسلم ج ٥ ص ١٨٦ و عن فتح البارى (المقدمة) ص ٣٥٨ و ج ٧ ص ٣٠٣ و المعجم الكبير ج ٧ ص ٣٣ و جزء أحاديث الشعر ص ١٠٢ و الطبقات الكبرى ج ٤ ص ٣٠٤ و تاريخ مدينة دمشق ج ٦٠ ص ٢٤٠ و البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٠٨ و السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٤٧.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٣٢٤
و نقول:

إننا نشك في هذه الرواية لما يلى:

أولاً: إن مجرد إصابة ذباب السيف لعين ركبته إنسان لا يقتضي موته، بل هي جراحة بسيطة قابلة للشفاء ..

ثانياً: إن هذا النوع من الجراحات - لو كان يؤدي بالمجروح إلى الموت - لا يوجب الموت مباشرةً، فهو ليس مثل ضرب العنق، أو الطعن في القلب، أو شق الرأس. بل هو لا - يميت إلا بعد وقت طويل، و تفاعل أمراض، و حصول مضاعفات، مع أن ظاهر الكلام هو: أن عامراً قد مات من ذلك في وقت قصير.

ثالثاً: لماذا يبكي سلمة، ألم يكن يعلم: أن من لم يتعمد قتل نفسه لا يعد قاتلاً لها، و لا موجب لحطط عمله.

رابعاً: إن ما ذكروه في وجه إصابة ذباب السيف لعين ركبته عامر مما يصعب تصوره، إلا في حالة لا تقاد تحصل إلا من تعمد فعل ذلك، و لماذا يتعمد فعل أمر يحتاج إلى تكلف و جهد، ما دام أن بإمكانه تحقيق غرضه بضرب نفسه بمواقع من السيف هي أدنى من ذبابه ..

شائعات أسيد بن حضير:

قد تقدم: أن الناس قالوا عن عامر بن الأكوع، الذي قتله مرحباً - حسب زعمهم - قد قتله سلاحه.

وفي رواية: قتل نفسه. أى فليس بشهيد.

و أن سلمة بن الأكوع قال لرسول الله «صلى الله عليه و آله»: زعموا أن

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٣٢٥
 أخي عامرا حبط عمله، أو قال: يزعم أسيد بن حضير، و جماعة من أصحابك: أن عامرا حبط عمله، إذ قتل بسيفه.
 فقال رسول الله «صلی اللہ علیہ و آله»: كذب من قال، وإن له لأجرين، و جمع بين إصبعين.
 و في رواية: وإن له لشهید.

و في نص آخر: إنه لجاهد، مجاهد قتل عربي مشى - و في لفظ: نشا بها - مثله «١».
 و نلاحظ هنا:

أولاً: أن النبي «صلی اللہ علیہ و آله» قد أجاب بعبارة تتضمن اتهاما صريحا لأولئك القائلين، بأنهم قد كذبوا فيما قالوه. حيث لم يقول:
 إنهم أخطأوا، أو نحو ذلك.

فوصفهم النبي «صلی اللہ علیہ و آله» بالكذب يدل: على أنهم متعمدون للإخبار عن أمر يعلمون أنه خلاف الواقع، وهذا يؤكّد أنهم لا يملكون من الورع ما يحجزهم عن ارتكاب الكبائر - و منها الكذب - حتى على إنسان قد نال مقام الشهادة في سبيل الله .. مع أن كل أحد يعلم: أن من لم يتعمد قتل نفسه، لا موجب لحبط عمله.

و قد حاول الحلبي: التخفيف من وقع هذا التعبير النبوى بادعاء: أن

(١) راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٢ و راجع: الإصابة ج ٢ ترجمة عامر بن سنان، و إمتاع الأسماع ص ٣١٧.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٣٢٦
 المراد بالكذب: الخطأ، أى أخطأ من قال «١».

غير أننا نقول له:

أولاً: إن هذا خلاف ظاهر الكلام، إذ كان بالإمكان أن يقول: أخطأ من قال.

ثانياً: لقد وصف سلمة بن الأكوع عامرا في هذه الرواية: بأنه أخوه، مع أنهم يقولون: إن الصحيح أنه عم، و هذا وجه آخر من وجوده ضعف هذه الرواية .. الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی ج ١٧ شائعات أسيد بن حضير: ص: ٣٢٤ و نقول:
 إن من الندرة بمكان، أن يعدل عن التعبير بالعم إلى التعبير بالأخ؛ لأجل الأخوة الرضاعية بمجردها. بل لم نجد أحداً يفعل ذلك.
 بل الإنصاف يقضي: بأن يعَدُّ هذا من الأدلة على أن عامراً كان أخاً لسلمة فعلاً، و الله هو العالم.

ابن مسلمة قاتل مرحباً .. كذبة مفضوحة:

قد تقدم أن هناك من يزعم: أن قاتل مرحباً هو محمد بن مسلمة، و ليس على بن أبي طالب «عليه السلام»، فقد روى البيهقي عن عروة، و عن موسى بن عقبة، و عن الزهرى، و عن ابن إسحاق، و عن محمد بن عمر عن

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٢ و راجع: البخاري ج ٢١ ص ٢ و ٣.

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٢ و سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١٤٦.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٣٢٧.

شيوخه، قالوا: و اللفظ لابن إسحاق، قال: حدثني عبد الله بن سهل، أخو بنى حارثة، عن جابر بن عبد الله - رضى الله عنه - قال:

خرج مرحباً اليهودي من حصن خير، و قد جمع سلاحه يقول: من يبارز؟ و يرتجز:

قد علمت خير أنى مرحباً شاكى السلاح بطل مجرب
أطعن أحياناً و حيناً أضرب إذا الليوث أقبلت تجرب
إن حمای للحمى لا يقرب
فأجا به كعب بن مالك:

قد علمت خير أنى كعب مفرج الغمى جرىء صلب
إن شب الحرب تلتها الحرب معى حسام كالعقيق عصب
نطؤكم حتى يذل الصعب نعطى الجزاء أو يفىء النهب
بكف ماض ليس فيه عتب
قال ابن هشام: و أنسدنى أبو زيد:

قد علمت خير أنى كعب و أنتى متى تشب الحرب
ماض على الهول جرىء صلب معى حسام كالعقيق عصب
بكف ماض ليس فيه عتب ند لكم حتى يذل الصعب قال: و مرحباً ابن عميرة.
قال جابر: فقال رسول الله «صلى الله عليه و آله»: «من لهذا؟»
قال محمد بن مسلم: أنا له يا رسول الله، أنا و الله المotron التائر، قتل
الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٣٢٨
أخرى بالأمس.

فأمره بأن يقوم إليه، قال: «اللهم أعنـه عليه».

(و في بعض المصادر: و أعطاه سيفه، فخرج إليه، و دعا إلى البراز، فارتजـ كلـ منهاـ).

قال: فلما دنا أحدهما من صاحبه، دخلت بينهما شجرة عمرية (غمرته) من شجر العشر، فجعل أحدهما يلوذ بها من صاحبه، فكلما لاذ منه بها اقطع صاحبه ما دونه منها، حتى برق كل واحد منهم لصاحبه، و صارت بينهما كالرجل القائم، ما فيها فتن.
ثم حمل مرحباً على محمد بن مسلم فضربه، فاتقه بالدرقة، فوقع سيفه فيها، فعضت به فأمسكته، و ضربه محمد بن مسلم فقطع فخذيه حتى قتله «١».

قالوا: و نقل رسول الله «صلى الله عليه و آله» محمد بن مسلم يوم خير سلب مرحباً: سيفه، و رمحه، و مغفره، و بيضته «٢».
قال الواقدى: «فكان عند آل محمد بن مسلم سيفه، فيه كتاب لا

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٢٧ و ١٢٨ و السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٧ و ٣٨ و المغازى للواقدى ج ٢ ص ٦٥٥ و ٦٥٦ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٥٠ و ٥١ عن الإكتفاء و عن مسنـدـ أحمدـ جـ ٣ـ صـ ٣٨٥ـ وـ مـجمـعـ الزـوـائـدـ جـ ٦ـ صـ ١٥٠ـ وـ بـغـيـةـ الـبـاحـثـ صـ ٢١٧ـ وـ تـارـيـخـ مدـيـنـةـ دـمـشـقـ جـ ٥٥ـ صـ ٢٦٨ـ وـ تـارـيـخـ الـأـمـمـ وـ الـمـلـوـكـ جـ ٢ـ صـ ٢٩٩ـ عنـ السـيـرـةـ النـبـوـيـةـ لـابـنـ هـشـامـ جـ ٣ـ صـ ٧٩٧ـ وـ الـبـداـيـةـ وـ النـهاـيـةـ جـ ٤ـ صـ ٢١٥ـ .

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٨ عن مختصر المزنى و راجـ: المغازى للواقـىـ جـ ٢ـ صـ ٦٥٦ـ .
الصـحـيـحـ منـ السـيـرـةـ النـبـوـيـةـ الأـعـظـمـ،ـ مـرـتـضـىـ العـامـلـىـ،ـ جـ ١٧ـ،ـ صـ ٣٢٩ـ :ـ
يـدرـىـ ماـ هوـ،ـ حتـىـ قـرـأـ يـهـودـيـ منـ يـهـودـ تـيـماءـ،ـ إـذـاـ فـيـهـ:
هـذـاـ سـيـفـ مـرـحـبـ مـنـ يـذـقـهـ يـعـطـبـ «١»ـ .

ابن مسلم يقتل كنانة بأخيه:

ويقولون أيضاً: إنه بعد تعذيب كنانة ابن أبي الحقيق دفعه «صلى الله عليه و آله» لمحمد بن مسلم، فضرب عنقه بأخيه محمود. و ذكروا في توجيه بشاره النبي «صلى الله عليه و آله» لمحمود هذا بنزول فرائض البنات: أن محمود بن مسلم كان متولاً، و كان ماله أكثر من أموال أخيه محمد. فلما سقطت عليه الرحى جعل يقول لأخيه: بنات أخيك لا يتبعن الأفقاء، يسألن الناس. فيقول له محمد: لو لم تترك مالاً لكان لي مال، و لم تكن فرائض البنات قد نزلت.

فلما كان يوم موته، و هو اليوم الذي قتل فيه مرحباً أرسل النبي «صلى الله عليه و آله» جعيل بن سراقة الغفارى، ليبشر محمود بأن الله قد أنزل فرائض البنات وأن محمد بن مسلم قد قتل قاتله. فسر بذلك، و مات في اليوم الذي قتل فيه مرحباً بعد ثلاثة من سقوط الرحى عليه من حصن ناعم «٢».

(١) المغازى للواقدى ج ٢ ص ٦٥٦.

(٢) إمتناع الأسماع ص ٣١٦ و المغازى للواقدى ج ٢ ص ٦٥٨.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٣٣٠
و نقول:

إن هذا الكلام كله غير صحيح، و ذلك لما يلى:

أولاً: إن الفاصل بين ما جرى في حصن ناعم حيث قتل محمود بن مسلم و بين قتل مرحباً في حصن القموص كان أياماً كثيرة تعداد العشرات ..

ثانياً: إنه لا ربط بين البشارة بنزول فرائض البنات و بين البشارة بقتل مرحباً.

ثالثاً: إن فرائض البنات قد نزلت قبل ذلك بسنوات، و يشهد لهذا: أن الآيات المرتبطة بذلك هي في سور قد نزلت قبل ذلك بزمان طويل ..

رابعاً: إن قاتل مرحباً هو على «عليه السلام»، لا محمد بن مسلم ..

و شواهد ذلك كله يجدها المتبع بالمراجعة.

خامساً: إن روایاتهم في قاتل محمود بن مسلم مختلفة و متناقضة.
فهم يدعون: أن قاتله هو مرحباً.

ثم يدعى بعضهم أيضاً: أن ابن مسلم قد قتل مرحباً بأخيه.

ثم هم يدعون: أن علياً «عليه السلام» حين فتح الحصن أخذ قاتل محمود، و دفعه لأخيه محمد بن مسلم، فقتله به ..

ثم يدعون أيضاً هنا: أن النبي «صلى الله عليه و آله» قد دفع كنانة ابن أبي الحقيق إلى محمد بن مسلم ليقتلها بأخيه محمود «١».

فلماذا هذا الاختلاف؟! و ما هو السبب في هذا التخبط؟!

و قد يقال في دفع هذا التناقض الأخير: إن علياً «عليه السلام» دفعه

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٤٣ و راجع: السير الكبير للشيباني ج ١ ص ٢١٨.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٣٣١

للنبي «صلى الله عليه و آله»، و النبي دفعه لمحمد بن مسلم، فصح نسبة ذلك إليه «صلى الله عليه و آله» تارة، و إلى على «عليه

السلام» أخرى ..

و نحن لو قبلنا هذا التوجيه، فإنه لا يدفع التناقض الآخر .. ولا يدفع التناقض بين كون القاتل لمحمود هو مرحباً، أو كنانة .. كما أن ملاحظة رواياتهم تعطي: أن هؤلاء الناس ليس لهم همّ ولا شغل إلا رواية الأحاديث في الإشادة بمحمد بن مسلم، و تسطير المآثر والبطولات له، و كأن النبي «صلى الله عليه و آله» و علياً «عليه السلام» و سواهما متحيرون في كيفية إرضاء ابن مسلم، و تطيب خاطره، و تلبية طلباته ..

سادساً: إن دعواهم تعذيب كنانة بن أبي الحقيق قبل قتله، على يد هذا تارةً و ذاك أخرى، دليل آخر على كذب هذه الرواية، إذ لا مبرر لتعذيبه.

ويكفي أن نذكر الناس بوصيَّة على «عليه السلام» بقتله عبد الرحمن بن ملجم، حيث قال:

«ما فعل ضاربي؟! أطعموه من طعامي، و اسقوه من شرابي، فإن عشت فأنا أولى بحقِّي، و إن مت فاضربوه و لا تزيدوه» ^(١).
و في نص آخر: «احبسوه، و أطبووا طعامه، و ألينوا فراشه، فإن أعش فعفو، أو قصاص الخ ..» ^(٢).

(١) المناقب للخوارزمي ص ٢٨٠ و ٢٨١.

(٢) الثقات ج ٢ ص ٣٠٣ و الأخبار الطوال ص ٢١٥ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ق ١ ص ٢٥ و ٢٦ و راجع: أنساب الأشراف (بحث تحقيق محمودي) ج ٢ ص ٤٩٥ و ٥٠٢ و ٥٠٤ .
الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٣٣٢.

حدث العاقل بما لا يليق له:

إشارة

و حول دور محمد بن مسلم في قتل مرحباً نضيف إلى ما تقدم ما قاله الحكم النيسابوري: «على أن الأخبار متواترة بأسناد كثيرة: أن قاتل مرحباً أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام» ^(١).
وقال الذهبي: الأخبار متواترة: أن قاتل مرحباً على ^(٢).
وقال الصالحي الشامي:

قلت: جزم جماعة من أصحاب المغازي: بأن محمد بن مسلم هو الذي قتل مرحباً.
ولكن ثبت في صحيح مسلم - كما تقدم - عن سلمة بن الأكوع: أن علياً - رضي الله عنه - هو الذي قتل مرحباً.
و ورد ذلك: في حديث بريدة بن الحصيب، وأبي نافع مولى رسول الله «صلى الله عليه و آله». ^(٣)
و على تقدير صحة ما ذكره جابر، و جزم به جماعة، فما في صحيح مسلم مقدم عليه من وجهين:
أحد هما: أنه أصح إسناداً.

الثاني: أن جابر لم يشهد خيراً، كما ذكره ابن إسحاق، و محمد بن عمر، و غيرهما، وقد شهد لها سلمة، و بريدة، و أبو رافع. و هم أعلم من لم يشهدوا.

و ما قيل: من أن محمد بن مسلم ضرب ساقى مرحباً فقطعهما، و لم

(١) المستدرك على الصحيحين ج ٣ ص ٤٣٧.

(٢) تلخيص مستدرك الحاكم (مطبوع مع المستدرك) ج ٣ ص ٤٣٧.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٣٣٣.

يجهز عليه، و مَرَّ به على «عليه السلام» فأجهز عليه، يأباه حديث سلمة، و أبي رافع، و الله أعلم.

و صحيح أبو عمر: أن علياً «عليه السلام» هو الذي قتل مرحباً، و قال ابن الأثير: إنه الصحيح «١».

و قال ابن الأثير: «و قيل: إن الذي قتل مرحباً، و أخذ الحصن على بن أبي طالب، و هو الأصح و الأشهر» «٢».

و قال أيضاً: «ال الصحيح الذي عليه أهل السير و الحديث: أن علياً كرم الله وجهه قاتله» «٣».

و قال الحلبى: «و قيل: القاتل له على كرم الله وجهه، و به جزم مسلم (ره) في صحيحه.

و قال بعضهم: و الأخبار متواترة به».

و قال أيضاً: «و قد يجمع بين القولين: بأن محمد بن مسلم أثبته، أى بعد أن شق على كرم الله وجهه هامته، لجواز أن يكون قد شق

هامته، و لم يثبته، فأثبته محمد بن مسلم. ثم إن علياً كرم الله وجهه وقف عليه» «٤».

ثم استدل الحلبى على ذلك بما في بعض السير عن الواقدى، قال: «لما قطع محمد بن مسلم ساقى مرحباً، قال له مرحباً: أجهز علىّ.

فقال: لا، ذق الموت كما ذاقه أخي.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٢٧ و ١٢٨ و عن أسد الغابة ج ٤ ص ٣٣١.

(٢) الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢١٩.

(٣) شرح مسلم للنحوى ج ١٢ ص ١٨٦ عن ابن الأثير.

(٤) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٨.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٣٣٤.

و مَرَّ به على فضرب عنقه، و أخذ سلبه، فاختصما إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله» في سلبه.

فقال محمد: يا رسول الله، ما قطعت رجليه و تركته إلا ليذوق الموت، و كنت قادرًا أن أجهز عليه.

فقال على كرم الله وجهه: صدق.

فأعطى سلبه لمحمد بن مسلم «١».

و قالوا: لعل هذا كان بعد مبارزة عامر بن الأكوع لمرحباً، فلا ينافي ما مر عن فتح الباري «٢».

و في الإستيعاب: «و الصحيح الذي عليه أكثر أهل السير و الحديث أن علياً قاتله» «٣».

و نقول:

إن ما تقدم هو محض اكاذيب ولا يصح، و الذي قدمناه من النصوص الصحيحة، و المتواترة كاف في إثبات ذلك، و نزيد هنا ما

يلى:

١- على عليه السلام يفي بوعده:

رووا: أن علياً «عليه السلام» لما فتح الحصن، أخذ الرجل الذي قتل أخيه محمد بن مسلم، و سلمه إلى ابن مسلم، فقتله بأخيه ..

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٨. وأشار إلى ذلك في الإمتناع ص ٣١٥ والمغازى للواقدي ج ٢ ص ٦٥٦ وراجع: السير الكبير ج ٢ ص ٦٠٦.

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٨.

(٣) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٨.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٣٣٥.

وفي نص آخر: أن النبي «صلى الله عليه وآلها» دفع كنانة لمحمد بن مسلمة ليقتله «١».

ولا منافاة بين الروايتين، إذ إن علياً «عليه السلام» لا يورد ولا يصدر إلا عن أمر رسول الله «صلى الله عليه وآلها»، فهو قد سلمه إليه بعد أن أحرز الإذن منه «صلى الله عليه وآلها» ..

فيصبح أن يقال: إن النبي «صلى الله عليه وآلها» دفعه إليه، ويصح أيضاً القول: بأن علياً «عليه السلام» فعل ذلك.

٢- الإشتراك في قتل محمود:

إن دعوى اشتراك مرحباً، و كنانة بن الريبع، و الرجل الذي سلمه على «عليه السلام» ل محمد بن مسلمة - إن دعوى اشتراك الثلاثة - في قتل محمود بن مسلمة «٢» غير مقبولة:

أولاً: لثبت أن ابن مسلمة لم يقتل مرحباً بأخيه - كما زعموا - لكي يصح قوله: إنه قتله بأخيه الذي كان قد شارك في قتله، بل قاتل مرحباً هو على «عليه السلام» ..

ثانياً: لما روى: من أن علياً «عليه السلام» قد سلم قاتل محمود إلى أخيه محمد. و هو لم يسلم إليه مرحباً قطعاً .. و لم يسلم إليه كنانة لأجل ذلك أيضاً.

ثالثاً: قيام احتمال أن يكون محمد بن مسلمة قد فر مع الفارين في غزوة خيبر، كما سنرى في الفقرة التالية، فإنه إذا كان قد فر و انهزم، فلا يكون قد

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٩.

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٩.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٣٣٦.

قتل مرحباً بأخيه أيضاً.

٣- ابن مسلمة يفر بالرأي أيضاً:

لقد ورد في بعض النصوص: ما يشير بقوة احتمال أن يكون محمد بن مسلمة أحد الذين أعطاهم النبي «صلى الله عليه وآلها» الرأي و هرب، فقد روى ابن الأثير بإسناده عن بريدة، قال: «لما كان يوم خيبر أخذ أبو بكر اللواء، فلما كان من الغد أخذه عمر. و قيل (أخذه): محمد بن مسلمة (أي و هرب)، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآلها»: لأدفعن لوابي إلى رجل لم يرجع حتى يفتح الله عليه.

فصلى رسول الله «صلى الله عليه وآلها» صلاة الغداء، ثم دعا باللواء، فدعا علياً «عليه السلام» و هو يشتكى عينيه الخ .. «١».

فقد دلت هذه الرواية: على أن ابن مسلمة كان هو أو عمر قد هرب في خير. و مما يؤيد ذلك: الرواية التي تقول: إن جماعة طلبو الرأي من النبي «صلى الله عليه و آله» في خير، فلم يعطهم إياها، وأعطها على «عليه السلام»، ففتح الله عليه «».٢

(١) أسد الغابة ج ٤ ص ٢١ و العمدة لابن البطريق ص ١٥٦ و عن المناقب لابن المغازلي ص ٨٨.

(٢) تذكرة الخواص ص ٢٥ عن أحمد في الفضائل و راجع: مسند أحمد ج ٣ ص ١٦.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٣٣٧.

٤- الإختصار في سلب مرحبا:

ثم إن الحديث عن اختصار على «عليه السلام» و محمد بن مسلمة إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله» في سلب مرحبا، مكتوب أيضا، بدليل:

أنهم قد روا: أن عليا «عليه السلام» لم يقدم على سلب عمرو بن عبد ود وهو نفس سلب، و حين طالبه عمر بن الخطاب بذلك قال: «كرهت أن أبز السبّي ثيابه» ١.

قال المعترلى: فكان حبيبا (يعنى أبيا تمام الطائى) عناه بقوله:

إن الأسود أسود الغاب همها يوم الكريهة في المسلوب لا السلب ٢ كما أنه «عليه السلام» قال لعمرو بن عبد ود حين طلب منه أن لا يسلبه حلته: هي أهون على من ذلك ٣.

فمن كان كذلك: فهو لا يجاحش على السلب، ولا ينزع أحدا فيه، فضلا عن أن يرفع الأمر إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله» ليفصل فيه.

(١) شرح النهج للمعترلى ج ١٤ ص ٢٣٧.

(٢) شرح النهج للمعترلى ج ١٤ ص ٢٣٧.

(٣) كنز الفوائد للكراجى ص ١٣٧ و البحار ج ٢٠ ص ٢١٦.

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٣٣٩.

الفهارس

اشارة

١- الفهرس الإجمالي ٢- الفهرس التفصيلي

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ١٧، ص: ٣٤١.

١- الفهرس الإجمالي

الفصل الرابع: كتاب النبي صلّى الله عليه و آله إلى المقوقس ٥٠ - ٥

الفصل الخامس: كتاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى النجاشي الثاني	٥١-٦٢
الباب الخامس: حصن خير الفصل الأول: من المدينة .. إلى خير	٦٥-١١٤
الفصل الثاني: قبل أن يبدأ القتال	١١٥-١٤٦
الفصل الثالث: فتح حصن ناعم	١٤٧-١٦٨
الفصل الرابع: فتح سائر حصنون النطة و الشق	١٦٩-٢١٢
الباب السادس: فتح خير الفصل الأول: المنهزون الفاشلون	٢١٥-٢٤٨
الفصل الثاني: وقفات لا بد منها	٢٤٩-٢٨٦
الفصل الثالث: قتل مرحبا .. أحداث و تفاصيل	٢٨٧-٣٣٨
الفهارس	٣٣٩-٣٥٣
ال الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص:	٣٤٣

٢- الفهرس التفصيلي

الفصل الرابع: كتاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى المقوقس كتاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى المقوقس:	٧
قصة هذه الرسالة:	٩
الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عند المقوقس:	١٠
الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مع الملك في السر:	١١
كتاب المقوقس إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:	١٢
هدايا المقوقس إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:	١٤
عليك إثم القبط:	١٨
الحرص على الملك:	١٩
شبهات المقوقس، لماذا؟!:	١٩
دور الدعاء في دعوة الأنبياء عليهم السلام:	٢٠
هدايا المقوقس:	٢٢
القطط لا تطاوئه:	٢٢
و جحدوا بها واستيقننها أنفسهم:	٢٣
كتاب آخر مشكوك فيه:	٢٤
كلمات عن المقوقس:	٢٥
لا تسمع القبط منك حرفا واحدا:	٢٦
ال صحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص:	٣٤٤
كتابه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى النجاشي الأول من مكة:	٢٨
إسلام النجاشي الأول:	٣٠
كلام الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عند النجاشي الأول:	٣١
إنما يفتضح الغاجر:	٣٢

- كتاب النجاشي الأول إلى النبي صلى الله عليه و آله: ٣٣
 رسول النجاشي الأول و هدايه: ٣٦
 الإقرار للنجاشي الأول بالملك: ٣٨
 سلام عليك: ٣٩
 أحمد إليك الله: ٣٩
 الملك: ٤٠
 القدوس: ٤٠
 السلام، المؤمن: ٤١
 المهيمن: ٤١
 العزيز العبار المتكبر: ٤٢
 شهادة رسول الله صلی الله عليه و آله لعيسى أولاً: ٤٣
 مريم البول، الطيبة، الحصينه: ٤٤
 فخلقه من روحه و نفخه: ٤٦
 كما خلق آدم عليه السلام بيده و نفخه: ٤٦
 الموالاة على طاعة الله عز و جل: ٤٧
 أدعوك و جنودك: ٤٨
 الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٣٤٥
 الفصل الخامس: كتاب النبي صلی الله عليه و آله إلى النجاشي الثاني كتاب النبي صلی الله عليه و آله إلى النجاشي الثاني: ٥٣
 النجاشي ثلاثة، أسلم منهم اثنان: ٥٥
 النجاشي يموت و هو مهاجر: ٥٩
 إخلاص النجاشي: ٦٠
 كتابه صلی الله عليه و آله إلى النجاشي الثالث: ٦١
 الباب الخامس: حصنون خير الفصل الأول: من المدينة .. إلى خير ..
 تقديم: ٦٧
 بداية: ٦٨
 ماذا عن خير؟!: ٦٩
 خير مقدسة!!: ٧١
 تاريخ غزوء خير: ٧٢
 في أي شهر كانت؟!: ٧٤
 مدة حصار خير: ٧٥
 مدة إقامته صلی الله عليه و آله في خير: ٧٥
 الاستئثار إلى خير: ٧٥
 المستخلف على المدينة: ٧٨

خدمة أنس للنبي صلى الله عليه و آله: ٧٩

أم سلمة في خير أيضا: ٨١

إحساس يهود المدينة بالخطر: ٨٢

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٣٤٦

إجراءات في الطريق إلى خير: ٨٥

لمن الشعر المتقدم؟!: ٩٠

الخطأ في مضمون شعر عامر: ٩٠

ارتياز عامر لرسول الله صلى الله عليه و آله: ٩١

الإستغفار أمارة الشهادة: ٩١

لا تحل الجنة ل العاص: ٩٢

الكثرة لا خير فيها: ٩٤

أكذوبة الفتاة الحائض: ٩٦

إختياز الطريق إلى خير: ٩٩

التطير و التفاؤل: ١٠٠

لا حول ولا قوّة إلا بالله: ١٠١

المطلوب هو الخير لا الغنائم: ١٠٣

ابن أبي يحدر اليهود: ١٠٦

غضفان تخاف، فتراجع: ١٠٧

الفصل الثاني: قبل أن يبدأ القتال ..

وصول رسول الله صلى الله عليه و آله إلى خير: ١١٧

الجيش هو الخميس: ١٢٠

خربت خير: ١٢٠

إنحسار الإزار عن فخذ رسول الله صلى الله عليه و آله: ١٢١

لا يظن اليهود: أنه صلى الله عليه و آله يغزوهم: ١٢٦

الأذان علامة الإسلام: ١٢٧

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٣٤٧

إستعراضات و انتفاحات كاذبة: ١٢٩

مشورة الحباب: ١٣١

ألف: الإنقاذه من رسول الله صلى الله عليه و آله: ١٣٣

ب: إذا أمسينا تحولنا: ١٣٤

الحباب ذو الرأي من هو؟!: ١٣٤

ج: حديث الراحلة: ١٣٦

د: بناء المسجد في خير: ١٣٧

صوابية تدبير اليهود: ١٣٧

قطع تخيل النطأة: ١٣٩

الأمان لمن أراد: ١٤١

من دخل التخل فهو آمن: ١٤٢

جعل على عليه السلام على المقدمة: ١٤٣

التشكك في قيادة على عليه السلام: ١٤٣

على عليه السلام يسمع الناس أقوال النبي صلى الله عليه و آله: ١٤٥

جبرئيل يحب عليا عليه السلام: ١٤٦

الفصل الثالث: فتح حصن ناعم ..

حصار حصن ناعم: ١٤٩

على فرس، أو على حمار؟! ١٥٢

قتال رسول الله صلى الله عليه و آله في خير: ١٥٢

الريات بدأت في خير: ١٥٣

الزموا الأرض جلوسا: ١٥٥

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٣٤٨

نداء لا تحل الجنة ل العاص: ١٥٥

الإنسبات ضرورة لا تقبل الجدل: ١٥٧

تمنى لقاء العدو: ١٥٧

يسلم الراعي و تعود الغنم: ١٥٩

متى شبع النبي صلى الله عليه و آله من خبز الشعير؟! ١٦٣

محمد بن مسلم يقتل في حصن ناعم: ١٦٤

أين قتل ابن مسلم؟! ١٦٨

الفصل الرابع: فتح سائر حصون النطأة و الشق حصار و فتح حصن الصعب بن معاذ: ١٧١

فرار المسلمين .. و ثبات الحباب: ١٧٨

لماذا الإحراج؟: ١٧٩

أوسمة أسلم: ١٨٠

الموقف الشائن: ١٨١

اللواء للحباب بن المنذر: ١٨١

الصعب أكثرها طعاما: ١٨٢

تسخين الماء في آنية اليهود: ١٨٣

أعظم حصون خير: ١٨٤

الافتخار في الحرب: ١٨٥

حديث الشاتين، و قطع الغنم: ١٨٦

- الحباب بن المنذر في الواجهة: ١٨٧
 ابن مسلم ي يقول: بِسْمِ إِلَّيْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ١٨٨
 الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٣٤٩
 الإهتمام بالطعام والغنية: ١٨٩
 مدة الحصار: ١٨٩
 حصن قلة الزبير: ١٩٠
 بطولات موهومه: ١٩٣
 نصب المنجنيق: ١٩٥
 ذراري اليهود لم تكن في حصن الشق: ١٩٦
 ابن مسلم تارة، و الحباب أخرى: ١٩٧
 موقع عثمان هو الأنسب: ١٩٨
 عمر يأمر بضرب عنق شخص: ١٩٩
 لا يعرف المنجنيق إلا هذا اليهودي: ٢٠١
 لماذا خص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ابن مسلم بخطابه؟!: ٢٠٢
 إسهامات عمر في فتح خير: ٢٠٣
 قتل مرحباً في القموص لا في الصعب: ٢٠٤
 حصون الشق: ٢٠٥
 ماذا عن فتح حصن النزار؟!: ٢٠٩
 صفية في حصن النزار: ٢١٠
 الباب السادس: فتح خير الفصل الأول: المنهزمون الفاشلون ..
 بداية: ٢١٧
 القموص أعظم حصون خير: ٢١٧
 حصار القموص: ٢١٨
 الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٣٥٠
 رب اليهود: ٢١٩
 رايات الفاشلين: ٢٢٠
 رايتان أم ثلاث؟!: ٢٣١
 إرسال عمر مرتين: ٢٣٢
 أين ابن مسلم، و الحباب، و الزبير؟!: ٢٣٣
 كتائب اليهود تهاجم الأنصار: ٢٣٣
 ألف: تعمد التعنيم على الحقائق: ٢٣٥
 ب: لواء الأنصار، أم لواء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؟!: ٢٣٦
 ج: حفظ ماء وجه الأنصارى: ٢٣٧

- د: أين كان المهاجرون؟! ٢٣٨
 ه: نداء رسول الله صلى الله عليه و آله في اليهود: ٢٣٨
 و: الصحابة يفرون حتى عن على عليه السلام !! ٢٤٠
 تعابير ذات مغزى: ٢٤٠
 أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟!؟ ٢٤٣
 عرّفهم ما يجب عليهم: ٢٤٤
 حق الله و حق رسوله: ٢٤٥
 لأن يهدى الله بك نسمة: ٢٤٥
 اليهود، و كلمة التوحيد: ٢٤٧
 التدرج في الاعتقادات، و في الأحكام: ٢٤٧
 الفصل الثاني: وقفات لا بد منها هل قاتل المهزومون في خير؟! ٢٥١
 الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٣٥١
 ١- يحب الله و رسوله: ٢٥٤
 ٢- يحبه الله و رسوله: ٢٥٥
 التزوير الرخيص .. تصرف و حذف: ٢٥٦
 أقوال النبي صلى الله عليه و آله في المصادر و المراجع: ٢٥٧
 ابن الصباغ ينقل عن صحيح مسلم: ٢٦٢
 ٣- كرار غير فرار: ٢٦٤
 ٤- لا يولي الدبر: ٢٦٥
 ٥- لا يرجع حتى يفتح الله عليه: ٢٦٥
 ٦- لا يخزيه الله أبداً: ٢٦٥
 حتى أنت يا عمر؟!؟ ٢٦٦
 مقارنة ذات مغزى: ٢٧٠
 سعادتهم برمد على عليه السلام: ٢٧٢
 كلهم يرجو أن يعطها: ٢٧٤
 حتى قريش: ٢٧٦
 لماذا الإعلان المسبق؟!؟ ٢٧٦
 التدخل الإلهي: ٢٧٧
 النبي صلى الله عليه و آله يصنع المعجزة: ٢٧٨
 متى رمدت عينا على عليه السلام؟ ٢٧٩
 على عليه السلام فاجأهم: ٢٨٢
 لباس على عليه السلام في الحر و البرد: ٢٨٣
 الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٣٥٢

الفصل الثالث: قتل مرحبا .. أحداث و تفاصيل ..

علوم و الذى أنزل التوراء: ٢٨٩

قتل على عليه السلام مرحبا و الفرسان الثمانية: ٢٩١

قطع رأس مرحبا لماذا؟! ٢٩٧

صفية تتدخل لمصلحة ولدها: ٢٩٧

الزبير حوارى رسول الله صلى الله عليه و آله: ٣٠٠

لماذا تعظيم الزبير؟! ٣٠٣

صيغة أخرى لما جرى في خير: ٣١٠

من سمي عليا عليه السلام بحيدرة؟! ٣١٣

الصحيح في هذه القضية: ٣١٥

إشارات و دلالات: ٣١٧

ألف: سر زعامة مرحبا: ٣١٧

ب: أكفى مرحبا: ٣١٨

ج: الناس يريدون عليا عليه السلام: ٣١٨

د: تمثل أبيليس: ٣١٩

شكوك حول مقتل عامر: ٣٢٣

شائعات أسيد بن حضير: ٣٢٤

ابن مسلمة قاتل مرحبا .. كذبة مفضوحة: ٣٢٦

ابن مسلمة يقتل كنانة أخيه: ٣٢٩

حدث العاقل بما لا يليق له: ٣٣٢

١- على عليه السلام يفى بوعده: ٣٣٤

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٧، ص: ٣٥٣

٢- الإشتراك في قتل محمود: ٣٣٥

٣- ابن مسلمة يفر بالرأي أيضا: ٣٣٦

٤- الإختصاص في سلب مرحبا: ٣٣٧

الفهارس:

١- الفهرس الإجمالي ٣٤١

٢- الفهرس التفصيلي ٣٤٣

الصحيح من السيرة النبي الأعظم، مرتضى العاملی، ج ١٨، ص: ٥

تعريف مركز القائمة باصفهان للتحرييات الكمبيوترية

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهدوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبه/٤١).

قال الإمام على بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحْمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَتَتَّبَعُونَا... (بنادر البحر - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الإسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا(ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمة" الشفافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - "رحمه الله" - كان أحداً من جهابذة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشغفه بأهل بيته (صلوات الله عليهم) ولا سيما بحضور الإمام على بن موسى الرضا (عليه السلام) وبساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أليس مع نظره ودرايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠) الهرجية القمرية)، مؤسسة وطريقه لم ينطفي مصباحها، بل تنتفع بأقوى وأحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمة" للتحرّي الحاسوبي - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧) الهرجية القمرية) تحت عناء سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعدته جمع من خريجي الحوزات العلمية و طلاب الجامع، بالليل والنهار، في مجالاتٍ متعددة: دينية، ثقافية و علمية...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافة الثقلين (كتاب الله و أهل البيت عليهم السلام) و معارفهم، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحرّي الأدق للمسائل الدينية، تخليف المطالب النافعة - مكان البلاطـة أو الرديـة - في المحامـيل (الهواتف المنقولـة) و الحواسـيب (= الأجهـزة الكـمبيـوتـرـية)، تمـهـيد أرضـيـة واسـعـة جـامـعـة ثـقـافـيـة عـلـى أساسـاتـ مـعـارـفـ القرـآن و أـهـلـ الـبـيـتـ عليهم السلام - بـيـاعـثـ نـشـرـ المـعـارـفـ، خـدـمـاتـ لـلـمـحـقـقـيـنـ وـ الطـلـابـ، توـسـعـةـ ثـقـافـةـ القرـاءـةـ وـ إـغـنـاءـ أـوـقـاتـ فـرـاغـةـ هـوـاـ برـامـجـ العـلـومـ الإسلاميةـ، إـنـالـةـ المـنـابـعـ الـلـازـمـةـ لـتـسـهـيلـ رـفـعـ الـأـبـاهـامـ وـ الشـبـهـاتـ الـمـنـتـشـرـةـ فـيـ الجـامـعـةـ، وـ...

- منها العدالة الاجتماعية: التي يمكن نشرها و بشـها بالـأـجـهـزةـ الـحـدـيـثـةـ مـتـصـاعـدـةـ، عـلـىـ أـنـهـ يـمـكـنـ تـسـرـيـعـ إـبـراـزـ الـمـرـاقـقـ وـ التـسـهـيـلـاتـ - في آفاقـ الـبـلـدـ - وـ نـشـرـ الـثـقـافـةـ الـاسـلـامـيـةـ وـ الـإـيـرانـيـةـ - فـيـ أـنـحـاءـ الـعـالـمـ - مـنـ جـهـةـ أـخـرىـ .
- من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتبية، نشرة شهرية، مع إقامة مسابقات القراءة

ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقية و مكتبة، قابلة للتشغيل في الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المعارض ثلاثية الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركة و... الأماكن الدينية، السياحية و...

د) إبداع الموقع الإلكتروني "القائمة" www.Ghaemiyeh.com و عدة مواقع أخرى

ه) إنتاج المنتجات العرضية، الخطابات و... للعرض في الفنون القمرية

و) الإطلاق و الدعم العلمي لنظام إجابة الأسئلة الشرعية، الأخلاقية و الاعتقادية (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

ز) ترسيم النظام التلقائي و اليدوي للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعية و اعتبرية، منها بيت الآيات العظام، الحوزات العلمية، الجامع، الأماكن الدينية كمسجد جمكران و...

ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسة" الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركون في الجلسة

ى) إقامة دورات تعليمية عمومية و دورات تربية المربي (حضوراً و افتراضياً) طيلة السنة

المكتب الرئيسي: إيران/أصفهان/شارع "مسجد سيد" / "ما بين شارع" بنج رمضان "ومفترق" وفائي / "بنية" "القائمة"

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧) الهرجية القمرية

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٥٢٠٢٦ ١٠٨٦٠

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الإلكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الالكتروني: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٣٥٧٠٢٣-٢٣٥٧٠٢٥ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التِّجَارِيَّةُ وَالْمَبَيْعَاتُ ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين (٢٣٣٣٠٤٥) (٠٣١١)

ملحوظة هامة:

الميزانية الحالية لهذا المركز، شَعَبِيَّة، تبرٍعٍية، غير حكومية، وغير ربحية، اقتُنِيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا تُوافي الحاجة المتزايد والمتسَع للامور الدينية والعلمية الحالية ومشاريع التوسعة الثقافية؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المُسَمَّى بالقائمية) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقية الله الأعظم (عَجَلَ اللَّهُ تَعَالَى فَرْجَهُ الشَّرِيفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - في حد التَّمَكُّن لـكُلَّ احِدٍ منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ وَاللهُ وَلِي التَّوْفِيق.



للحصول على المكتبات الخاصة الأخرى
أرجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للإيصال من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

